الثقافة الإسلامية : المستوى الثاني

مقرر: القيم والأخلاق

أستاذ المقرر:

د.أيمن صبحي صديق

إشراف :

د. عبد الرحمن عابد الغريبي

رئيس قسم الثقافة الإسلامية

أهداف المستوى الثاني

١. **تكوين التصور الصحيح عن القيم والأخلاق والآداب الإسلامية.**
٢. **ترسيخ معاني القيم والأخلاق الإسلامية مع مقارنتها مع مثيلاتها في الثقافات الأخرى.**
٣. **إبراز تميز القيم والأخلاق في الإسلام عن غيره.**
٤. **ترغيب الطلاب في تحويل القيم والأخلاق الإسلامية إلى واقع تطبيقي.**

المستوى الثاني

الثقافة الإسلامية(القيم والأخلاق)

القسم الأول:: القيم الإسلامية.

الوحدة الأولى: المدخل: تعريف القيم الإسلامية، أنواعها، وخصائصها وسماتها، الفرق بينها وبين الأخلاق.

الوحدة الثانية: القيم الإسلامية العليا: (العبادة، الحق، الإحسان، الحكمة، الرحمة، الصدق).

الوحدة الثالثة: القيم الإسلامية الحضارية: (الاستخلاف، المسؤولية، النظام والانضباط، النظافة، التفاؤل).

القسم الثاني: الأخلاق الإسلامية.

الوحدة الأولى: ١) تعريف الأخلاق، مكانتها من الدين، وأهميتها، علاقتها بالعقيدة والعبادات والمعاملات.

٢) خصائص الأخلاق في الإسلام، النظرية الأخلاقية عند الأمم في القديم والحديث.

الوحدة الثانية: أصول مكارم الأخلاق: الصبر، العفة، الشجاعة، العدل.

الوحدة الثالثة: نماذج من الأخلاق الفاضلة: الإخلاص، المراقبة، الصدق، الحياء، الشكر.

الوحدة الرابعة: ١) أصول مساوئ الأخلاق: الجهل، الظلم، الشهوة، الغضب.

٢) نماذج من الأخلاق الرذيلة: الكبر، البذاءة

الوحدة الخامسة: نماذج من الأخلاق الرذيلة: الكسل، التشاؤم، الحسد، الغفلة.

القسم الثالث: الآداب الإسلامية:

الوحدة الأولى: الآداب الإسلامية العليا: الأدب مع الله، الأدب مع النبي ع، الأدب مع القرآن الكريم.

الوحدة الثانية: آداب النفس(١): آداب الطعام والشراب، آداب اللباس والزينة.

الوحدة الثالثة: يتبع آداب النفس(٢): آداب المزاح والضحك، آداب التسوق، آداب السفر.

القسم الرابع: الأخلاق والآداب المهنية:

الوحدة الأولى: تعريف المهن وضوابطها وأخلاقها.

الوحدة الثانية: نماذج من أخلاق المهن وآدابها، الطريق إلى الأخلاق.

خطة المستوى الثاني

الثقافة الإسلامية(القيم والأخلاق) توزيع المقرر على الأسابيع الدراسية

القسم	عنوانه	الوحدة	الموضوع	الأسبوع	الساعات
القسم الأول	القيم الإسلامية	١	المدخل: تعريفها، أنواعها، وخصائصها وسماتها، الفرق بينها وبين الأخلاق.	الأول	٢
		١	القيم الإسلامية العليا: (العبادة، الحق، الإحسان، الحكمة، الرحمة، الصدق).	الثاني	٢
		٢	القيم الإسلامية الحضارية: (الاستخلاف، المسؤولية، النظام والانضباط، النظافة، التفاؤل).	الثالث	٢
القسم الثاني	الأخلاق الإسلامية	١	المدخل: ١) تعريفها، مكانتها من الدين، وأهميتها، علاقتها بالعقيدة والعبادات والمعاملات. ٢) خصائص الأخلاق في الإسلام، النظرية الأخلاقية عند الأمم في القديم والحديث	الرابع	٢
		٢	أصول مكارم الأخلاق: الصبر، العفة، الشجاعة، العدل.	الخامس	٢
		٣	نماذج من الأخلاق الفاضلة: الإخلاص، المراقبة، الصدق، الحياء، الشكر.	السادس	٢
			الاختبار النصفي:	السابع	٢
		٤	١) أصول مساوئ الأخلاق: الجهل، الظلم، الشهوة، الغضب. ٢) نماذج من الأخلاق الرذيلة:	الثامن	٢
		٥	نماذج من الأخلاق الرذيلة: الكبر، البذاءة، الكسل، التشاؤم، الحسد، الغفلة.	التاسع	٢
القسم الثالث	الآداب الإسلامية	١	الآداب الإسلامية العليا: الأدب مع الله، الأدب مع النبي ع، الأدب مع القرآن الكريم.	العاشر	٢
		٢	آداب النفس(١): آداب الطعام والشراب، آداب اللباس والزينة.	الحادي عشر	٢

		٣	آداب النفس(٢): آداب المزاح والضحك، آداب التسوق، آداب السفر.	الثاني عشر	٢
القسم الرابع	الأخلاق والآداب المهنية	١	تعريف المهن وضوابطها وأخلاقها.	الثالث عشر	٢
		٢	نماذج من أخلاق المهن وآدابها، الطريق إلى الأخلاق.	الرابع عشر	٢

الوحدة الأولى

مدخل إلى الأخلاق في الإسلام.

١) تعريف الأخلاق، مكانتها، وعلاقتها بالعقيدة والعبادات والمعاملات.

٢) خصائص الأخلاق في الإسلام، النظرية الأخلاقية عند الأمم في القديم والحديث.

تعبر الاخلاق عن المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني ، والتي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على الوجه الأكمل والأتم ويتميز هذا النظام الإسلامي في الأخلاق بطابعين :

الأول : أنه ذو طابع إلهي، بمعنى أنه مراد الله سبحانه وتعالى .

الثاني: أنه ذو طابع إنساني، أي للإنسان مجهود ودخل في تحديد هذا النظام من الناحية العملية. وهذا النظام هو نظام العمل من أجل الحياة الخيرية، وهو طراز السلوك وطريقة التعامل مع النفس والله والمجتمع. وهو نظام يتكامل فيه الجانب النظري مع الجانب العملي منه، وهو ليس جزء من النظام الإسلامي العام بل هو جوهر الإسلام ولبه وروحه السارية في جميع نواحيه:إذ النظام الإسلامي –على وجه العموم –مبني على مبادئه الخلقية في الأساس، بل إن الأخلاق هي جوهر الرسالات السماوية على الإطلاق فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) فالغرض من بعثته – صلى الله عليه وسلم – هو إتمام الأخلاق، والعمل على تقويمها، وإشاعة مكارمها، بل الهدف من كل الرسالات هدف أخلاقي، والدين نفسه هو حسن الخلق. ولما للأخلاق من أهمية نجدها في جانب العقيدة حيث يربط الله سبحانه وتعالى ورسوله –صلى الله عليه وسلم –بين الإيمان وحسن الخلق، ففي الحديث لما سئل الرسول صلى الله عليه وسلم: أي المؤمنين أفضل إيمانا ؟ قال صلى الله عليه وسلم: (أحسنهم أخلاقاً) ثم إن الإسلام عدّ الإيمان برا، فقال تعالى: ((ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب. ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين)) وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (البر حسن الخلق) والبر صفة للعمل الأخلاقي أو هو اسم جامع لأنواع الخير. وكما نجد الصلة بين الأخلاق والإيمان، نجدها كذلك بين الأخلاق والعبادة، إذ إن العبادة روح أخلاقية في جوهرها، لأنها أداء للواجبات الإلهية. ونجدها في المعاملات –وهي الشق الثاني من الشريعة الإسلامية بصورة أكثر وضوحاً.وهكذا نرى أن الإسلام قد ارتبطت جوانبه برباط أخلاقي، لتحقيق غاية أخلاقية، الأمر الذي يؤكد أن الأخلاق هي روح الإسلام، وأن النظام التشريعي الإسلامي هو كيان مجسد لهذه الروح الأخلاقية.

أ خلق حسن: وهو الأدب والفضيلة، وتنتج عنه أقوال وأفعال جميلة عقلا وشرعاً.

ب خلق سيئ: وهو سوء الأدب والرذيلة، وتنتج عنه أقوال وأفعال قبيحة عقلا وشرعاً.

ولقد جاءت دعوته صلى الله عليه وسلم إلى فضائل الأخلاق سامية زاكية، فقد روي عن أسامة

بن شريك قال: كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم كأنما على رؤوسنا الطير، ما يتكلم منا متكلم، إذ جاءه أناس فقالوا: من أحب عباد الله تعالى ؟ قال: (أحسنهم خلقاً) وحسن الخلق من أكثر الوسائل وأفضلها إيصالاً للمرء للفوز بمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والظفر بقربه يوم القيامة حيث يقول: (إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً)

الأخلاق والممارسة الإيمانية:

إن الأخلاق في الإسلام لا تقوم على نظريات مذهبية، ولا مصالح فردية، ولا عوامل بيئية تتبدل وتتلون تبعا لها، وإنما هي فيض من ينبوع الإيمان يشع نورها داخل النفس وخارجها، فليست الأخلاق فضائل منفصلة، وإنما هي حلقات متصلة في سلسلة واحدة، عقيدته أخلاق، وشريعته أخلاق، لا يخرق المسلم إحداها إلا أحدث خرقا في إيمانه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن) وسئل صلى الله عليه وسلم: أ يكذب المؤمن ؟ قال: (لا) ثم تلا قوله تعالى: ((إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون)) فالأخلاق دليل الإسلام وترجمته العملية، وكلما كان الإيمان قوياً أثمر خلقا قوياً

دوام الأخلاق وثباتها:

كما أن الأخلاق في الإسلام ليست لونا من الترف يمكن الاستغناء عنه عند اختلاف البيئة، وليست ثوبا يرتديه الإنسان لموقف ثم ينزعه متى يشاء، بل إنها ثوابت شأنها شأن الأفلاك والمدارات التي تتحرك فيها الكواكب لا تتغير بتغير الزمان لأنها الفطرة ((فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله))

طبيعة السلوك الإنساني:

الإنسان مخلوق مزدوج الطبيعة، فهو من طين وروح، وهو كذلك مزدوج الاستعداد. وهو مزود باستعدادات متساوية للخير والشر، والهدى والضلال، وإنه قادر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر على وجه الإجمال غالباً. قال تعالى: ((فألهمها فجورها وتقواها)) وقال تعالى: ((وهديناه النجدين))

وبجانب هذه الاستعدادات الفطرية الكامنة، فإن هناك قوة واعية مدركة مغروسة في البشر، فمن استخدمها في تزكية نفسه وتطهيرها من الشر أفلح، ومن أخمد هذه القوة خاب وخسر، قال الله تعالى: ((قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دساها))

السلوك وأنواعه:

السلوك هو عمل الإنسان الإرادي المتجه نحو غاية معينة مقصودة، تهدف إلى تحقيق مطالب جسدية أو نفسية أو روحية أو فكرية.

والسلوك نوعان:

١- خلقي: وهو ما كان نابعا عن صفة نفسية قابلة للمدح أو الذم. كإعطاء الفقير، والإنفاق في وجوه الخير حال كونه نابعا عن جود وكرم، وكذلك الإقدام دفاعا عن الحق، وإزهاقا للباطل حال كونه نابعا عن الشجاعة، فهذه صفات حميدة، لأنها من فضائل الأخلاق، فآثارها تابعة لها في الحكم. روى أبو سعيد الخدري -رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {لا يحقرن أحدكم نفسه} قالوا: يا رسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه ؟ قال:(يرى أن عليه مقالا، ثم لا يقول فيه، فيقول الله عز وجل يوم القيامة، ما منعك أن تقول كذا أو كذا ؟ فيقول: خشيت الناس، فيقول الله (فإياي كنت أحق أن تخشى)

٢- سلوك إرادي غير خلقي : منه ما هو استجابة لغريزة جسدية كالأكل المباح عن جوع ، والشرب المباح عن ظمأ ، فقد يجوع الإنسان فيأكل ملبيا حاجة عضويته، وهنا نقول : إن تناوله للطعام بتأثير دوافع الجوع سلوك لا علاقة له بميزان الأخلاق إيجابا أو سلبا ، ولكن شرهه الزائد عن الحاجة، والموقع له في المضرة سلوك ناتج عن خلق غير محمود ، أما قناعته فيه والتزامه بمقدار الحاجة -ذلك بضبط نفسه عن دوافع الشره -سلوك أخلاقي كريم ، ناشئ عن قوة إرادته العاقلة التي تمنعه عن مواقع الضرر .

ومن هذا يتبين لنا الآتي:

١- أن السلوك إما أن يكون سلوكا خلقيا، وإما أن يكون سلوكا لا علاقة له بالأخلاق.

٢- أن السلوك الإرادي غير الخلقي يكون استجابة لغرائز، شريطة أن يكون على قدر الحاجة بلا زيادة ولا نقصان. فمثلا: الأكل قدر الحاجة سلوك إرادي خلقي إذا كان استجابة لغريزة الجوع، فإذا زاد عن الحاجة أو نقص تحول إلى سلوك أخلاقي ذميم عند الزيادة، لأنه نابع عن صفة مرذولة هي الشره، أما عند النقص فيكون محموداً إذا كان نابعا عن قناعة مع نية صالحة، لأنها من الفضائل.

الأخلاق بين الجبلة والاكتساب:

إن الأخلاق ليست مكتسبة على إطلاقها، كما أنها ليست موهوبة على إطلاقها، وإنما تتضافر الفطرة السليمة مع دلالة العقل التام السوي في إدراك وتقرير جانب من الأخلاق، ثم يأتي دور الشرع ليكمل الفطرة، ويحمي العقل، ويضع الضوابط العامة، التي ترقى بالفرد والمجتمع من الوجهة الخلقية.والناس بفطرتهم -مع توفير الظروف الملائمة- يميلون إلى النماذج والصفات الخلقية الخيرة، ويشعرون بالراحة التامة عند ممارسة مثل هذه الأدوار التي توصف بالعدل والحق والجمال، كما ينفرون بفطرتهم. من الاتجاهات الخلقية الشاذة، ويتذمرون من النماذج الخلقية المنحرفة، إذ يشعرون بغرابتها على فطرتهم، ومناقضة تلك النماذج لها. وكذلك فإنه إذا ما التقت طبيعة القوى الفطرية هنا مع وظيفة

العقل، فإنه يكون ماضيا في تحقيق كماله الوظيفي في الجانب العملي.ومع هذا فإن أثر هذين الجانبين الفطري والعقلي في مجال الأخلاق يظل ناقصا تماما، وغير قادر على تحقيق الكمال الإنساني المنشود، ومن ثم يأتي دور الشرع ليكمل الفطرة، ويقوم العقل، ويرشد أحكامه، وبذلك تصبح معالم الشرع وتوجيهاته، مع سلامة الفطرة وصحة النظر العقلي، ركائز تتضافر في بناء الكمال الخلقي للإنسان. من خلال العرض السابق يتبين لنا أن الأخلاق تنقسم إلى قسمين:

الأول: الأخلاق الفطرية: وقد دلت أحاديث كثيرة على أن من الأخلاق ما هو فطري، يتفاضل به الناس في أصل تكوينهم الفطري، ومن ذلك:ما روى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، والأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف) وهذا الحديث دليل على فروق الهبات الفطرية الخلقية، وفيه يثبت الرسول –صلى الله عليه وسلم – أن خيار الناس في التكوين الفطري هم أكرمهم خلقا، وهذا التكوين الخلقي يرافق الإنسان ويصاحبه على جميع أحواله. وروي عن حذيفة بن اليمان قال: حدثنا رسول الله– صلى الله عليه وسلم– حديثين، قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدثنا: (إن الأمانة نزلت في جدر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة) في هذا الحديث بيان عن الأمانة في الناس وعما تصير إليه فيهم، فقد أبان الرسول صلى الله عليه وسلم حقيقة من حقائق التكوين الخلقي الفطري في الناس، وهذه الحقيقة تثبت أن الأصل في الناس أن يكونوا أمناء.وقوله صلى الله عليه وسلم للمنذر بن عازر: (إن فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والأناة، فقال يا رسول الله كانا بي أم حدثا ؟ قال: (بل قديم) فقال الحمد لله الذي جبلني على خصلتين يحبهما.

ت– ومن خلال المثالين السابقين نلاحظ أن ذلك كان قبل البعثة، ومع ذلك كانت هناك آداب وأخلاق متأصلة فيهم وقد أقرها الشرع فيما بعد، مثل الكرم، وإكرام الضيف وغيره مما اتصف به العرب قبل البعثة.

ث وحين بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم – النساء قال: {بايعني على أن لا تشركن بالله شيئا إلى أن قال: (ولا تزنين) قالت هند بنت عتبة: هل تزني الحرة ؟فسؤالها يدل على أنفة وعفة وطهارة، وتلك هي الفطرة السوية التي فطرهن الله عليها، تعرف الحق، وتتجه للخير. والفطرة حين تسلم من العوارض المشوشة عليها، والتأثيرات المخدرة لها، وتسقط عنها الحوائل، فإنها عندئذ تستقيم لربها، وتعرف الحق، وتدعوا إلى كل خلق جميل.

الأخلاق المكتسبة: فكما أن هناك أخلاق فطرية، كذلك بإمكان أي إنسان أن يكتسب بعض الفضائل والأخلاق، وذلك بالتربية المقترنة بالإرادة والقيم، والناس في ذلك متفاوتون بمدى سبقهم وارتقائهم في سلم الفضائل، كما أن كل إنسان عاقل يستطيع بما وهبه الله من استعداد عام أن يتعلم

نسبة من العلوم والفنون، وأن يكتسب مقداراً ما من أي مهارة عملية من المهارات. وتفاوت الأساس، والطبائع لا ينافى وجود استعداد عام صالح لاكتساب مقدار من الصفات الخلقية، وفي حدود هذا الاستعداد العام، وردت التكاليف الشرعية الربانية العامة، ثم ترتقي من بعده مسؤوليات الأفراد بحسب ما وهب الله كلا منهم من فطر، وبحسب ما وهب كلا منهم من استعدادات خاصة، ووفق هذا الأساس، وضع الإسلام قواعد التربية على الأخلاق الفاضلة.

خصائص الأخلاق في الإسلام:

إن الفضائل الأساسية للمجتمع من صدق ووفاء وأمانة وعفة وإيثار من الفضائل الاجتماعية المرتبطة بنظام الشريعة العامة كالتسمية عند الطعام، وإفشاء السلام، وتحريم الخلوة بالأجنبية، كلها أمور لا يستغني عنها مجتمع كريم، مهما تطورت الحياة، وتقدم العلم بل تظل قيما فاضلة ثابتة.إن الأخلاق في الإسلام لا تتغير ولا تتطور تبعا للظروف الاجتماعية والأحوال الاقتصادية، بل هي حواجز متينة ضد الفوضى والظلم والشر، كما قال الله تعالى: ((تلك حدود الله فلا تعدوها))

أما مبررات خاصية الثبات فتتمثل في الأمور التالية:

١- لأن الفطرة البشرية ثابتة في عمر الإنسانية يرثها الأحفاد عن الأجداد ((كل مولود يولد على الفطرة)) فالخلق فطرة، وكذلك القيم الاجتماعية ثابتة.

٢- إن الأخلاق الاجتماعية نابعة عن الدين، وتصلح لجميع الناس، وتفترض الخير المطلق، لأن شارعها هو الله سبحانه وتعالى، الذي راعى فيها الخير العام قال تعالى: ((ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير))

٣- إن المنهج الإسلامي يقوم أساسا على عناصر ثابتة مرنة قادرة على استيعاب تغيرات الحياة بأزمانها المرتبطة بالإنسان نفسه، وبالحدود والضوابط التي لا سبيل إلى تجاوزها، وفي مقدمتها قاعدة الالتزام الأساسية التي تقيم للإسلام أصوله الأخلاقية، ومن هذه الأصول ثبات القيم الأخلاقية لارتباطها بالإنسان وفطرته البشرية

آثار ثبات الأخلاق:

يترتب على خاصية الثبات في الأخلاق الإسلامية الآثار والمزايا التالية:

١- تخليص المجتمعات من ظاهرة القلق والإضرابات التي تسودها، وتمكين الأواصر الإنسانية بالود والرحمة بينهما، خلافا للمجتمعات التي تتبدل فيها القيم الاجتماعية بحسب التغيرات الاقتصادية، حيث

نجدها تعيش في قلق واضطراب.

٢- التفريق بين الأخلاق والتقاليد، فالأخلاق ثابتة لأنها جزء من الدين الموصى به، وهي بذلك كيان متكامل رباني المصدر، إنساني الهدف. أما التقاليد فمن طبيعتها أن تتغير كلما تغيرت مبررات وجودها، ولكن ليس بالإمكان تغير الأخلاق، لأنها تقوم على أسس ثابتة كالحق والعدل والخير.

٣- إن عامل الثبات في الأخلاق يبعث الطمأنينة في حياة الفرد، وفي حياة المجتمع. والثبات على الأخلاق مطلوب لأن الأمور بخواتيمها، وبدون الاستقامة والثبات على الحق تفوت الثمرة، ولا يصل المسلم إلى الغاية.

النظرية الأخلاقية عند الأمم وفكرة الإلزام الخلقي:

إن أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية لايستطيع أفراده أن يعيشوا متفاهمين سعداء ما لم تربط بينهم روابط متينة من الأخلاق الكريمة.ولو فرضنا وجود مجتمع من المجتمعات على أساس تبادل المنافع المادية فقط، من غير أن يكون وراء ذلك غرض أسمى، فإنه لا بد لسلامة هذا المجتمع من خلقي الثقة والأمانة على أقل التقدير.فمكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية لا يستغني عنها مجتمع من المجتمعات، ومتى فقدت الأخلاق التي هي الوسيط الذي لابد منه لانسجام الإنسان مع أخيه الإنسان، تفكك أفراد المجتمع، وتصارعوا، وتناهبوا مصالحهم، ثم أدى بهم ذلك إلى الانهيار ثم الدمار. فإذا كانت الأخلاق ضرورة في نظر المذاهب والفلسفات الأخرى، فهي في نظر الإسلام أكثر ضرورة وأهمية، ولهذا فقد جعلها مناط الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة، فهو يعاقب الناس بالهلاك في الدنيا لفساد أخلاقهم.قال تعالى: ((ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا)) وقال تعالى: ((وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون)) بل إن الإسلام يخضع الأعمال العلمية للمبادئ الأخلاقية، سواء كان ذلك في مجال البحث، أو في مجال النشر لتوصيله للناس. ولقد اهتم الإسلام بالأخلاق لأنها أمر لابد منه لدوام الحياة الاجتماعية، وتقدمها من الناحيتين المادية والمعنوية، فالإنسان -دائما -بحاجة ماسة إلى نظام خلقي يحقق حاجته الاجتماعية، ويحول دون ميوله ونزعاته الشريرة ويوجهه إلى استخدام قواه في مجالات يعود نفعها عليه وعلى غيره. إن الإسلام يدرك تمام الإدراك ماذا يحدث لو أهملت المبادئ الأخلاقية في المجتمع، وساد فيه الخيانة والغش، والكذب والسرقة، وسفك الدماء، والتعدي على الحرمات والحقوق بكل أنواعها، وتلاشت المعاني الإنسانية في علاقات الناس، فلا محبة ولا مودة، ولا نزاهة ولا تعاون، ولا تراحم ولا إخلاص.

إنه بلا شك سيكون المجتمع جحيما لا يطاق، ولا يمكن للحياة أن تدوم فيه، لأن الإنسان بطبعه

محتاج إلى الغير، وبطبعه ينزع إلى التسلط والتجبر والأنانية والانتقام. قال تعالى: ((وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد)) لذا جاء الإسلام بأسس ومعايير يتحتم علينا السير وفقا لها، وهي ليست أسسا ومعايير وضعية، وإنما وحي يوحى على هيئة أوامر ونواه ومباحات ومحظورات، فمن أطاع الله أثابه ومن عصاه عاقبه. وتمتاز الأخلاق الإسلامية بأنها واقعية عملية وليست مثالية، كما أنها تؤكد حرية الإنسان واختياره ومسئوليته عن فعله، وتتميز أيضا بأنها إيجابية شاملة بعيدة عن الانحراف والغلو، وهي بذلك صالحة لكل زمان ومكان. كما أن الإسلام شرع أحكاما لحماية المجتمع من التردي الخلقي الذي يؤدى إلى الهلاك، وذلك واضح في العقوبات الحدية والتعزيرية.

الإلزام الخلقي

الإلزام من أهم الأسس التي يقوم عليها النظام الأخلاقي في الإسلام . والإلزام هو الالتزام من الإنسان في مواجهة البشرية كلها، بناء على كونه مكلفا في هذه الحياة، وله أمانة ورسالة، وله حرية الإرادة التي تحكم عمله، وتكون مناطا للجزاء، لذا كان الالتزام الأخلاقي أبرز معالم المسئولية الفردية

أما أهميته فهو دعامة الأخلاق الكبرى، وتتضح ذلك في المعاني التالية:

١- إن زوال فكرة الإلزام يقضي على جوهر الغاية التي تحققها الأخلاق، فإذا انعدم الإلزام انعدمت المسؤولية، وإذا انعدمت المسؤولية ضاع كل أمل في وضع الحق في نصابه وإقامة العدالة

٢- إن الخير الأخلاقي متميز بتلك السلطة الآمرة تجاه الجميع بتلك الضرورة التي يستشعرها كل فرد -أيا كانت الحالة الراهنة لشعوره -وهي ضرورة تجعل من العصيان أمرا حقيقيا مستهجنا

مصادر الإلزام الخلقي:

استكمل القرآن طرق الإلزام وأنواعها، وسلط الوازعات على عقل المؤمن ثم على قلبه وضميره، ونفسه وغرائزه، وطباعه وحسده، فانتزع الدواء من مكمن الداء، وشمل بهذا الإلزام الكبائر والصغائر، والأخلاق والآداب، وجعل الفرد رقيبا على نفسه وعلى المجتمع، وجعل المجتمع رقيبا على الفرد

وتكاد هذه الالزامات تنحصر في الأتي:

١- الوحي الديني: حيث أن الدين يدل الإنسان على الخير، والأخلاق الحميدة. قال تعالى: ((هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين))

٢- العقل: فهو الذي يرشد الإنسان إلى الأخلاق الحميدة السليمة واجتناب الرذائل وقد ذكر القرآن الكريم البراهين العقلية، والحكمة في كثير من العبادات والمعاملات، من ذلك قوله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم

تفلحون. إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون)) وقوله تعالى: ((أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون))

٣- الإلزام بوازع الترهيب والترغيب: سلكت التربية الإسلامية في الإلزام بهذا الوازع طرقا كثيرة منها:

-الترهيب بانتقام الله في الدنيا من العاصي الظالم قال تعالى: ((لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد))

-والترغيب بما عنده سبحانه وتعالى. وقال تعالى: ((فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون)) قال تعالى: ((ولو أن أهل القرى أمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون))

٤-الإلزام بوازع السلطان: إن بعض الناس لا ينفع معهم وازع العقل، ولا وازع الترغيب والترهيب، فكان لابد من وازع أعظم في نفوسهم هو وازع السلطان، وهو العقوبات التي فرضتها الشريعة، وفوض أمرها إلى الحاكم.يقول الله تعالى: ((والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم)) ويقول تعالى: ((الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله)) فاجتماع الوازعات كلها في الإسلام استكمال لطرق الإلزام لكل من سول له شيطان الهرب من أمر الطاعة والالتزام

الوحدة الثانية

أصول مكارم الأخلاق:

١) الصبر.

٢) العفة.

٣) الشجاعة.

٤) العدل.

أصول مكارم الأخلاق

تمهيد:

كل أمر لا بد له من أصول يعتمد عليها وتكون له قاعدة تجعله مؤصلاً تأصيلاً علمياً، فالإسلام له أصوله الثلاثة التي لا منجى للعبد في القبر إلا بمعرفتها وهي: (من ربك، ما دينك، ومن نبيك)، واللغة لها أصولها، والحديث والتفسير والفقه كلٌ منها له أصوله التي يقوم عليها.

والأخلاق لها أصولها التي تنشا منها وتتفرع عنها طرفي الأخلاق: أصول الأخلاق الحسنة، وأصول الأخلاق السيئة، وفيما يلي بيان كلا القسمين.

أصول مكارم الأخلاق

ذكر ابن القيم أنَّ الأخلاق الحسنة لها أصول أربعة تقوم عليها، فقال: "**وحسن الخلق يقوم على أربعة أركان لا يتصور قيام ساقه إلا عليها: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل**"[1]. وبيان كل أصل من هذه الأصول على النحو التالي:

الأصل الأول: الصبر

الصبر في اللغة: حبس النفس عن الجزع. والتصبر: تكلُّف الصبر[2].

وفي الإصطلاح: عبارة عن ثباتِ باعثِ الدين في مقاومة الهوى[3]. فهو حمل النفس على أداء الطاعات، واجتناب المنهيات، وتقبُّل البلاء برضا وتسليم.

وهذا التعريف أدقُّ التعريفات، إذ أنَّ باعث الهوى قد يدفع الإنسان إلى التكاسل عن أداء الطاعات، أو فعل المنهيات، أو إلى الضجر والجزع عند الإبتلاء، فيقاومه باعث الدين. وفي الحديث: **(عجبًا لأَمْرِ الْمؤْمِنِ إنَّ أمْرَهُ كُلّهُ خيْرٌ ولَيْسَ ذاكَ لأَحَدٍ إلا للْمُؤْمِنِ إن أصَابَتْهُ سرَّاءُ شكَرَ فكَانَ خيْرًا له وَإنْ أصَابَتْهُ ضرَّاءُ صبَرَ فكَانَ خيْرًا له).** [4].

وقد امر الله تعالى بالصبر في كتابه فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ البقرة: ١٥٣، وقال: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ النحل: ١٢٧، وذكر أنَّه من أخلاق الأنبياء & فقال: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ﴾ الأنعام: ٣٤.

وهو سبب للفلاح في الدنيا ونيل محبة الله، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾آل عمران: ٢٠٠.

وأخيرا: فإنَّ الصابرين موعودون بالجنة، كما قال تعالى: ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ الإنسان: ١٢، وقال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴾الفرقان: ٧٥.

وقد ضرب الأنبياء & أروع الأمثلة في الصبر، فقد واجهوا أشدَّ أنواع الأذى من أعدائهم، بالهمز واللمز، ووصفهم بأقذع[5] الأوصاف، أو بالضرب أو القتل أو الإخراج من ديارهم، وهم مع ذلك كلِّه صابرون على إيمانهم ودعوتهم على الله.

---

(١) مدارج السالكين (٢/٣٠٨).

(٢) مختار الصحاح (ص١٤٩).

(٣) إحياء علوم الدين(٤/٦٥).

(٤) أخرجه مسلم، برقم (٢٩٩٩).

(٥) يقال: أقذعَ فلانٌ لفلانٍ إقذاعاً، إذا شتَمه شتماً يستفحَش، وهو القَذع. تهذيب اللغة(١/١٤٤).

لذلك كانت مهمة الرسل & ومن تبعهم من الدعاة والصالحين تحتاج لأشد أنواع الصبر، لما يجدونه من مشقة في ذلك، ف**عن سعد بن أبي وقاص > قال: قلت: يا رسول اللّهِ: أيُّ الناس أشَدُّ بلاءً؟ قال: (الْأَنْبِيَاءُ، ثمَّ الْأَمْثَلُ فالْأَمْثَلُ، فيُبْتَلَى الرّجُلُ على حسَبِ دينِهِ، فَإِنْ كان دينُهُ صُلبًا اشْتدَّ بلَاؤُهُ، وَإِنْ كان في دينِهِ رقَّةٌ ابتلى على حسَبِ دينِهِ، فما يبْرَحُ الْبلَاءُ بالْعَبْدِ حتى يتْرُكَهُ يمشي على الأرض ما عليه خَطيئَةٌ)**(٦).

أنواع الصبر:

للصبر ثلاثة أنواع ذكرها العلماء وذلك باعتبار متعلقه، وهي:

الأول: الصبر على امتثال أوامر الله تعالى:

إنَّ من طبيعة النفس البشرية أنَّها تحب الراحة والسكون، وتستصعب ما يقطع تلك الراحة، وإنَّما تأتي الأوامر الربانية مخالفة لشهوات النفوس ليتحقق الابتلاء، فمن آثر مراد الله على هوى نفسه فهو المؤمن، ومن قدَّم هواه خسر مرضاة الله واتخذ إلهه هواه، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ الجاثية: ٢٣.

فالصلوات مثلا تأتي في أوقات تستوجب على المسلم ترك راحته ليؤديها، ويسمع المؤذن يكرر في صلاة الفجر: (**الصلاة خير من النوم**)، فالمؤمن يترك الفراش، ويقوم ليؤدي فريضة من أعظم أسباب دخول الجنة بعد التوحيد، يقول النبي ﷺ: (من صلى البَرْدَيْنِ دخل الجَنَّةَ)(٧)، **والبردان: الفجر، والعصر.**

والتغلُّب على شهوة المال وحبُّ جمعة وكنزه وإخراج زكاته طيبة بها نفسه وبذل الصدقة والمعروف للناس لهو من أشق الطاعات على النفوس، خاصة إذا علمنا أن الله تعالى جعل المال محبوبا للنفوس مزينا لها، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾ آل عمران: ١٤.

وحبس النفس عن الطعام والشراب وسار المفطرات ساعات طويلة ابتغاء الأجر والثواب من الله تعالى لهو الصبر بعينه، لذا جعل الله تعالى جزاءها غير معلوم، كما قال ﷺ: (**قال الله عز وجل كلُّ عمَلِ بن آدمَ له إلا الصِّيامَ فإنه لي وأنا أجْزِي بهِ**) (٨).

وكذلك سائر العبادات والقربات: كالحج، وبر الوالدين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

---

(٦) أخرجه الترمذي، برقم(٢٣٩٨)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٧) أخرجه البخاري، برقم(٥٤٨).

(٨) أخرجه مسلم، برقم(١١٥١).

وصلة الرحم، والتزام النساء بالحجاب...إلخ، كل ذلك مفتقر للصبر، ولا يستطيع العبد القيام به إلا بالتحلي بالصبر ابتغاء الأجر والثواب من الله تعالى.

الثاني: الصبر عما حرم الله

لقد خلق الله الجنة وحفَّها بالمكاره، أي أنَّه لا يوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المكاره، وخلق النار حفَّها بالشهوات، ف**عن أنسِ بن مالكٍ قال: قال رسول اللهِ** ﷺ : (حُفّتْ الْجَنَّةُ بِالْمكَارِهِ وَحفَّتْ النّارُ بالشَّهَوَاتِ)[٩]، والشهوات: كل ما تستلذه النفس وتهواه، خاصة من الأمور المحرمة كالخمر، والزنا، والغيبة، والنميمة، والنظر المحرم، والسماع المحرم، وغير ذلك من المحرمات.

وإنَّ الصبر في الدنيا عن المحرمات أسهل من الصبر لحظة واحدة على عذاب النار، فقد نظر جبريل إلى النار وما حفت به من الشهوات فقال مخاطبا ربَّه: (**وعِزَّتِكَ لقد خشِيتُ أنْ لا ينْجُوَ منها أحَدٌ إلا دخَلَهَا**)[١٠]. لما رأى من الشهوات التي توقع الناس فيها، وكلها محبوبة مرغوبة، فلن ينجو منها إلا من قوي إيمانه وأخذ نفسه بالصبر عن شهواته المحرمة ابتغا الأجر من ربه.

الثالث: الصبر على أقدار الله:

قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ** ﴾ البلد: ٤، وما أكثر كبد الدنيا وعنائها، فمن ولادة الإنسان إلى مماته وهو يتقلب بين نعم الله وأقداره، وقد بين المولى –عز وجل– أنَّ الخير والشر فتنة، فقال: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** ﴾ الأنبياء: ٣٥، فلا يظن الإنسان أنَّ الفتنة في الشر فقط؛ بل حتى الخير فهو من الفتنة والبلاء الذي يحتاج من الإنسان الصبر، فالمال قد يطغي بالإنسان، وكذلك الصحة، والفراغ، فكلُّها تحتاج إلى صبر. والشر كذلك فتنة، فالفقر والمرض فتنة، والحروب والكوارث فتنة، وفقد الأحباب–خاصة الولد– فتنة، فيحتاج الإنسان للصبر، يقول النبي ﷺ: (**إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ قَالَ اللَّهُ لِلْمَلائِكَةِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَمَا قَالَ؟ قَالُوا: اسْتَرْجَعَ وَحَمِدَكَ. قَالَ: أَبَنُوا لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ**)[١١].

---

(٩) أخرجه مسلم، برقم (٢٨٢٢).

(١٠) أخرجه الترمذي، برقم (٢٥٦٠)، وقال حديث حسن صحيح. .

(١١) أخرجه ابن حبان، برقم (٢٩٤٨).

الأصل الثاني: العفة:

العفة لغة: الكف، وهي: الكف عما لا يحل ولا يجمل، قال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ النور: ٣٣، وتأتي كذلك بمعنى: الشيء القليل. (١٢)

وفي الاصطلاح: كفُّ النفس عمَّا لا يحسن الوقوع فيه من الأقوال والأفعال. وهي قريبة من المعنى اللغوي.

فالكف هو: منع النفس وحجبها. ما لا يحسن هو: البعد والتعفف عن كل بذئ من القول أو الفعل، سواءً كان ذلك علانية أو سراً، وأخص السر هنا؛ لأنَّ الكثير يتورع عن الحرام أمام أعين الناس، لكن الامتحان الأصعب عندما يخلو الإنسان بمحارم الله، فإن عفَّ نفسه كان له من الأجر العظيم عند الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ الملك: ١٢.

والعفة تكون في صورٍ منها:

١) الكف عن النظر إلى ما حرَّم الله، قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ النور: ٣٠.

٢) البعد عن الزنا، قال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ النور: ٣٣.

٣) التعفف عن ذلِّ المسألة لما في أيدي الناس، حتى وإن كان في حاجة شديدة، فيُظهِرُ للناس أنَّه غني من شدة التعفف، قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ البقرة: ٢٧٣، ويقول النبي ﷺ: (**اليَدُ العُلْيَا خَيرٌ من اليَدِ السّفْلَى، وَابدَأْ بمَنْ تَعولُ، وَخَيرُ الصّدَقَةِ عن ظَهرِ غنًى، ومَنْ يَسْتَعْفِفْ يعِفَّهُ الله، ومَنْ يَستَغْنِ يغْنِهِ الله**) (١٣).

وقد عدَّها بعض السلف من الكمال، يقول محمد بن الحننفية :: (الكمال في ثلاثة: العفَّة في الدين، والصبر على النوائب، وحسن التدبير في المعيشة)(١٤). وقال الشافعي: (الفضائل أربع: إحداها: الحكمة، وقوامها الفكرة، والثانية: العفَّة، وقوامها الشهوة، والثالثة: القوة، وقوامها الغضب، والرابعة: العدل، وقوامه في اعتدال قوى النفس). (١٥)

---

(١٢) انظر المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ١٠٢/١.

(١٣) أخرجه البخاري، برقم (١٣٦١).

(١٤) ينظر: أنساب الأشراف(٤٦٣/٣).

(١٥) أخرجه البخاري، برقم (١٣٦١).

فوائد العفة:

إنَّ للعفة فوائد عدة يجنيها الفرد أولا، ثم المجتمع، ثم الأمة، ومن أبرزها:

١) تجعل صاحبها من السبعة الذين يظلُّهم الله بظله يوم القيامة، يقول النبي ﷺ: (**سَبعَةٌ يظِلُّهُمْ الله في ظلِّهِ يوم لا ظلَّ إلا ظِلّهُ: الْإِمَامُ الْعَادلُ، وشَابٌّ نشَأَ في عبَادَةِ رَبّهِ، وَرَجلٌ قَلْبهُ معَلَّقٌ في الْمَسَاجدِ، وَرَجلَانِ تحَابَّا في اللّهِ اجتَمَعَا عليه وتَفَرَّقَا عليه، وَرَجلٌ طَلَبَتهُ امرَأَةٌ ذاتُ مَنْصبٍ وجَمَالٍ فقال: إنِّي أخَافُ اللّهَ، ورَجُلٌ تصَدَّقَ فأخْفَى حتى لا تعْلَمَ شمَالُهُ ما تُنْفقُ يَمينُهُ، ورَجُلٌ ذكَرَ اللّهَ خَاليًا ففَاضَتْ عيْنَاهُ**)[١٦].

٢) تُنجي صاحبها حين الوقوع في الابتلاء، وتصديق ذلك حديث الثلاثة الذين أطبقت عليهم الصخرة في الغار، فكان أحدهم يسأل الله بعفته عن الوقوع في الحرام مع ابنة عمِّه[١٧].

٣) يعين الله صاحب العفة ويحقق له مراده، يقول النبي ﷺ: (**ثلَاثَةٌ حقٌّ على اللّهِ عوْنُهُمْ: الْمُجَاهدُ في سَبيلِ اللّهِ، والْمُكَاتَبُ الذي يُريدُ الْأَدَاءَ، وَالنَّاكحُ الذي يُريدُ الْعفَافَ**)[١٨].

٤) سلامة المجتمع من الفواحش، فالمجتمع الخالي من الفواحش مجتمع سمت أخلاقه وارتقى أفراده؛ لأنَّ الفاحشة منبوذة ديناً وعرفاً، فالذوق الإنساني يأنف من الفاحشة أياً كانت.

أنواع العفة:

تتنوع العفة إلى أنواع من أبرزها:

١) عفَّة اللسان: وتكون ذلك بحفظه عن ألفاظ الشرك وقول الزور والكذب والغيبة والنميمة السخرية والاستهزاء.

٢) عفَّة الفرج: وتكون ذلك بحفظه عن الزنا واللواط، فعن سهل بن سعد أنَّ رسول الله ﷺ قال: (**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**)[١٩].

٣) عفَّة البطن: وتكون بالحرص على أكل الحلال، قال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾** ﴾ المائدة: ٨٧ – ٨٨.

---

(١٦) ذكر ذلك الغزالي في الإحياء ٤/ ٤٢٥

(١٧) أخرجه البخاري، رقم (٥٦٢٩).

(١٨) أخرجه الترمذي، برقم (١٦٥٥)، وقال حديث حسن. .

(١٩) أخرجه البخاري، برقم(٦٤٧٤).

٤) عفَّة البصر: وتكون بحفظه عن النظر إلى ما حرَّم الله، قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ النور: ٣٠ ـ ٣١ قال ابن تيميّة :: "قد أمر اللّه في كتابه بغضِّ البصر، وهو نوعان: غضُّ البصر عن العورة، وغضُّه عن محلِّ الشَّهوة. فالأوّل منهما: كغضّ الرّجل بصره عن عورة غيره، كما قال النّبيّ ﷺ (**لا ينظر الرّجل إلى عورة الرّجل ولا المرأة إلى عورة المرأة**)، ويجب على الإنسان أن يستر عورته. وأمّا النّوع الثّاني: فهو غضّ البصر عن الزّينة الباطنة من المرأة الأجنبيّة وهذا أشدّ من الأوّل

٥) عفَّة السمع: وتكون بحفظه عن سماع الحرام كالغنا والغيبة والكذب والبهتان والسخرية، وكل ما حرَّم الله، قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ النساء: ١٤٠.

٦) العفَّة عن المال الحرام، وتكون بالحذر من الكسب الحرام وقطع الطمع عمَّا في أيدي الناس، فعن خولة الأنصارية –رضي الله عنها– قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: (**إنَّ رجالا يتخوَّضون في مال الله بغير حقٍّ فلهم النَّار يوم القيامة**)[٢٠].

وليُعلم أنَّ شرط الثواب على العفَّة أن يترك الممنوع ابتغاء الثواب من الله تعالى، فإن تَرَك الأمر لأنَّه ينتظر أكثر منه، أو لأنَّه لا يوافقه، أو لجمود شهوته، أو خوف من عاقبته، أو لأنَّه ممنوع من تناوله، أو غير عارف به، فليس ذلك من العفة؛ بل هو إمَّا اصطياد، أو تطبب، أو مرض، أو خوف، أو عجز، أو جهل، وترك ضبط النفس عن الشهوة أذم من تركها عن الغضب[٢١].

موانع العفة:

إنَّ التزام العفة أمر شاق بطبعه على النفوس، فإن انضاف إلى ذلك من يدعو للتساهل بها وتهوين شأنها، أو انتقاص المتعففين ووصفهم بما ينفِّر من صنيعهم كان كذلك أشد على النفوس وأعظم، ومن أبرز تلك الموانع والمثبطات مايلي:

١) **وسائل الإعلام غير المنضبطة**: إن غالب وسال الإعلام لا تراعي العفة ولا تدعو إليها؛ بل إنَّ أكثرها يسعى للحيلولة دونها، فالقنوات الفضائية، والشبكة العنكبوتية (الأنترنت)، والإذاعات المسموعة، والصحف والمجلات، لهي أشد خطراً، وأكبر مانع عن العفة بما تبثه من برامج وصور مخلة فاضحة، أو تصور الأفعال المشينة والمحرمة –سواء في الأعراض أو الأموال– على أنَّها بطولات وتحضُّر وتقدم.

---

(٢٠) أخرجه البخاري، برقم(٣١١٨).

(٢١) ينظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة (ص٣١٩).

٢) **عدم القناعة:** فقد أصبح همُّ بعض الناس جمع المال من أي طريق؛ حتى وإن كان الطريق محرماً، مما دعا البعض إلى أن يسأل الناس من غير حاجة، فأراق ماء وجهه في الدنيا ليمزِّق لحمه في الآخرة، يقول النبي ﷺ: **(ما يزَالُ الرَّجلُ يَسأَلُ الناس حتى يَأْتيَ يوم الْقيَامَةِ ليس في وَجْهِهِ مزْعَةُ لَحمٍ)**[٢٢]، **فأين من يستكثرون المال بسؤال الناس عن هذا الحديث.**

الوسائل المعينة على العفة:

١. **مراقبة الله تعالى وتقواه في السر والعلانية:** فالله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ غافر: ١٩، ويقول ابن عباس >: (هو الرجل يكون بين الرجال، فتمرُّ بهم امرأة فينظر إليها، فإذا نظر إليه أصحابه غضَّ بصره) [٢٣].

٢. **سؤال الله أن يصرف السوء والفحشاء:** كما قال يوسف ؛: ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ يوسف: ٣٣، وهنا يتجلَّى دور الصبر عمَّا حرم الله، والعفة عن الوقوع فيه.

٣. **الزواج المبكر:** فقد أخبر النبي ﷺ أنَّ الزواج المبكر من الأمور المعينة على العفة، فيقول: **(يا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، من اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فإنَّه أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لم يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فإنَّه له وِجَاءٌ)**[٢٤].

٤. **القناعة:** وهي الرضا بما كتب الله للعبد، والزهد عمَّا في أيدي الناس، والتوكل على الله في طلب الرزق، كلُّ ذلك من التعفف، يقول النبي ﷺ: **(ومَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ الله ومَنْ يسْتَغْنِ يُغْنِهِ الله ومَنْ يتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ)**[٢٥].

---

(٢٢) أخرجه البخاري، برقم (١٤٠٥).

(٢٣) تفسير السمعاني ١٣/٥

(٢٤) أخرجه مسلم، برقم (١٤٠٠).

(٢٥) أخرجه مسلم، برقم (١٠٥٣).

الأصل الثالث: الشجاعة:

الشجاعة لغة: شدَّة القلب عند البأس، وأصل هذه المادة يدل على جُرأةٍ وإقدام. يُقال: شجُع شجاعةً: اشتد عند البأس[1].

والشجاعة اصطلاحاً: الإقدام على المكاره، من الأقوال والأفعال عند الحاجة إلى ذلك، وثبات الجأش، والاستهانة بالخوف[2].

وعكس الشجاعة الجُبْن، فالجبن هو الخوف مما لا ينبغي الخوف منه لا قولاً ولا فعلاً، فالجبان لا يظفر بما يريد ولا يساعده الصبر على ذلك.

والشجاعة صنفان:

أحدهما: الشجاعة الحربية، وهي الإقدام على مواقع القتال، والثبات عند ملاقاة الأعداء.

وثانيهما: الإقدام على اتخاذ القرار، وقول الحق، وإبداء الرأي والنصيحة، ولو لذي جاه أو سلطان يكره أن يؤمر بمعروف، أو يُنهى عن منكر، وهذا ما يسمى بالشجاعة الأدبية.

الفرق بين الشجاعة والقوة والجراءة:

أولا: الفرق بين الشجاعة والقوة: يظن البعض أن هناك تشابه بين الشجاعة والقوة، وهما في الحقيقة متغايران، فالشجاعة ثبات القلب عند النوازل وإن كان ضعيف البدن أو البطش، يقول ابن القيم –رحمه الله– "**وكان الصديق –رضي الله عنه– أشجع الأمة بعد رسول الله ﷺ، وكان عمر وغيره أقوى منه، ولكن برز على الصحابة كلهم بثبات قلبه في كل موطن من المواطن التي تزلزل الجبال، وهو في ذلك ثابت القلب، ربيط الجأش، يلوذ به شجعان الصحابة وأبطالهم، فيثبتهم، ويشجعهم**"[3].

ثانيا: الفرق بين الشجاعة والجراءة: إنَّ أكثر ما يتَّسم به الشجاع هو الثبات، وذلك في أي موقف كان، أي أنَّ الشجاع يقدِّر للأمور تقديرها، أمَّا الجراءة فهي الإقدام بلا مبالاة، ومع عدم النظر في العواقب، فالجرئ قد يهلك نفسه لعدم الثبات والحكمة، وقد يسيء أكثر مما يصلح.

الشجاعة في الكتاب والسنة وأقوال السلف:

لقد امتدح الله تعالى الشجاعة وحثَّ عليها في مواطن القتال فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة(٣/٢٤٧).

(٢) انظر تهذيب الأخلاق المنسوب للجاحظ ٢٧.

(٣) كتاب الفروسية(ص٥٠٠).

﴿ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ﴾الأنفال: ١٥. وقال أيضا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾الأنفال: ٦٥، وهنا نلاحظ أن الله حث على الشجاعة بصيغة الصبر، فالصبر يعتبر من أهم ما يميز الشجاع.

وكان ﷺ يتعوذ من أربع كلمات دبر كل صلاة فيقول: (**اللهم إني أعُوذُ بكَ من الجُبْنِ، وأَعُوذُ بكَ أنْ أُردَّ إلى أَرذَلِ العُمُرِ، وأَعُوذُ بكَ من فِتنَةِ الدُّنيَا، وأَعُوذُ بكَ من عذَابِ القَبْرِ**)[1]. وعن عبادة بن الصامت –رضي الله عنه– **قال: بَايَعنَا رَسولَ اللّهِ ﷺ على السَّمعِ والطَّاعَةِ في الْعسْرِ وَالْيسْرِ، وَالمَنْشَطِ وَالمَكْرَهِ، وعَلَى أثَرَةٍ عَلَينَا، وعَلَى أنْ لا ننَازِعَ الأَمْرَ أَهلَهُ، وعَلَى أنْ نَقولَ بالْحَقِّ أَينَمَا كنا، لا نخَافُ في اللّهِ لَومَةَ لَائمٍ**[2].

وهنا نلاحظ أنَّ الصحابة –رضوان الله عليهم– بايعوا رسول الله ﷺ **على أمور تتجلى فيها الشجاعة بأسمى معانيها، وتُظهر أنَّ الشجاعة ليست في الاندفاع؛ وإنما في الحكمة والثبات، فالسمع والطاعة لولاة الأمر، وضبط النفس وعدم منازعتهم أمرهم وإن جاروا وإن ظلموا، وقول الحق في كل مكان وزمان، وعدم الخوف من لوم اللائمين في قول الحق.**

وقال أبو بكر الصديق > لخالد بن الوليد > : (احرص على الموت، توهب لك الحياة). فهذه وصية شجاع لشجاع. وكان عمر بن الخطاب > يقول: (الجبن والشَّجَاعَة غرائز في النَّاس، تلقى الرجل يقاتل عمَّن لا يعرف، وتلقى الرجل يفرُّ عن أبيه)، وسئل بعضهم عن الشَّجَاعَة فقال: (جبلَّة نفسٍ أبيَّة، قيل له: فما النَّجدة؟ قال: ثقة النفس عند استرسالها إلى الموت، حتى تحمد بفعلها دون خوف). وقيل: الجبناء يهربون من الخطر والخطر يفر من وجه الشجعان.

وقال ابن القيم: (الجبنُ والشَّجَاعَة غرائز وأخلاق، فالجبان يفر عن عرسه، والشجاع يقاتل عمَّن لا يعرفه، كما قال الشاعر:

يفرُّ جبانُ القومِ من أمِّ نفسه ويحمي شجاعُ القومِ من لا يناسبه،

والشجاع ضد البخيل؛ لأن البخيل يضنُّ بماله، والشجاع يجود بنفسه، كما قال القائل:

كم بينَ قومٍ إنَّما نفقاتهم مالٌ وقوْمٍ يُنفِقونَ نفُوسا[3].

---

(١) أخرجه البخاري، برقم(٢٦٦٧).

(٢) أخرجه مسلم، برقم(١٧٠٩).

(٣) الفروسية لابن القيم ٤٩٨.

فوائد الشجاعة:

الشَّجَاعَة لها فوائد متعددة، منها:

١) **أنها سبب لانشراح الصدر**: قال ابن القيم :: "إنَّ الشجاع منشرح الصدر، واسع البطان، متَّسع القلب. والجبان أضيق النَّاس صدرًا، وأحصرهم قلبًا، لا فرحة له ولا سرور، ولا لذة له ولا نعيم إلا من جنس ما للحيوان البهيمي، وأمَّا سرور الروح ولذتها، ونعيمها، وابتهاجها، فمحرَّم على كل جبان، كما هو محرَّم على كل بخيل، وعلى كل معرض عن الله سبحانه، غافل عن ذكره، جاهل به وبأسمائه تعالى وصفاته ودينه، متعلِّق القلب بغيره"[١].

٢) **الشَّجَاعَة تحمل صاحبها على عزة النفس وإيثار معالي الأخلاق والشيم**: قال ابن القيم: "والشَّجَاعَة تحمله على عزَّة النفس، وإيثار معالي الأخلاق والشيم، وعلى البذل والندى، الذي هو شجاعة النفس وقوَّتها على إخراج المحبوب ومفارقته، وتحمِلُه على كظم الغيظ، والحلم، فإنَّه بقوة نفسه وشجاعتها يمسك عنانها، ويكبحها بلجامها عن النزغ والبطش، كما قال ﷺ: **(ليس الشّدِيدُ بِالصُّرعَةِ؛ ولَكِنَّ الشّدِيدَ الذي يَملِكُ نَفسَهُ عِندَ الْغضَبِ)**[٢]، وهو حقيقة الشَّجَاعَة، وهي مَلَكَة يقتدر بها العبد على قهر خصمه"[٣].

٣) **الرجل الشجاع يُحسن الظن بالله تعالى**: قال ابن القيم :: "الجبن خُلُق مذموم عند جميع الخَلق. وأهل الجبن: هم أهل سوء الظن بالله. وأهل الشَّجَاعَة والجود: هم أهل حسن الظن بالله، كما قيل: الشَّجَاعَة وقاية، والجبن مقتلة، وقد أكذب الله سبحانه أطماع الجبناء في ظنِّهم أنَّ جبنهم ينجيهم من القتل والموت، فقال تعالى: ﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾الأحزاب: ١٦"[٤].

٤) **لا تتم مصلحة الإمارة والسياسة إلا بالشَّجَاعَة**: قال ابن تيمية: "لا تتم رعاية الخلق وسياستهم، إلا بالجود الذي هو: العطاء، والنجدة التي هي: الشَّجَاعَة، بل لا يصلح الدين والدنيا إلا بذلك"[٥].

٥) **الشَّجَاعَة أصل كثير من الفضائل**: فمن يتصف بالشَّجَاعَة يتحلَّى أيضًا بالنجدة، وعظم الهمة، والثبات، والصبر، والحلم وعدم الطيش، والشهامة، واحتمال الكد.

---

(١) زاد المعاد(٢/٢٦).

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٥٧٦٣).

(٣) مدارج السالكين(٢/٣٠٨).

(٤) كتاب الفروسية(ص٤٩١).

(٥) السياسة الشرعية(ص٤٩).

صور الشَّجَاعَة ومظاهرها:

١) **الشَّجَاعَة عند القيام بالأعمال التي تحتاج إلى رباطة جأش ومخاطرة:** كالأعمال العسكرية، وأعمال الإنقاذ والإغاثة حين الكوارث ونحوها.

٢) **استجماع العقل والرشد عند الشدائد:** فإنَّ من أعظم مظاهر الشَّجَاعَة، حضور الذهن عند الشدائد، فالشجاع إذا صادفه أمر جَلل قابله برزانة وثبات، فيتصرف بذهن حاضر، وعقل ثابت غير مشتت.

٣) **الشَّجَاعَة الأدبية:** وتتمثل في إبداء الإنسان رأيه وتوضيح ما يعتقد أنَّه حقٌّ، مهما ظنَّ النَّاس به، فيقول الحق بأدب، وإن تألَّم منه النَّاس، ويعترف بالخطأ، وإن نالته عقوبة، ويرفض العمل بما لا يراه صوابًا، ويتخذ القرار الصحيح ولو ثبطه من حوله.

٤) **الجرأة في بيان الحق وإنكار المنكرات:** قالﷺ: **(إنَّ من أَعظَمِ الجِهَادِ كلِمَةَ عَدلٍ عِندَ سُلطَانٍ جائِرٍ)**[1].

٥) **الإقدام في ساحات الوغى:** فمتى اضطر إلى القتال كان شجاعا مستهينا بالموت في سبيل الله، لأجل الدفاع عن الدين والنفس والعرض والوطن.

وسائل اكتساب الشَّجَاعَة:

إنَّ كل خلق حسن يمكن إكتسابه، والشجاعة يمكن اكتسابها بما يلي:

١) الإيمان بالله وحسن التوكل عليه: قال تعالى: ﴿ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾آل عمران: ١٦٠.

٢) اللجوء إلى الله بالدعاء والإكثار من الذكر: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾الأنفال: ٤٥.

٣) ترسيخ عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر، وأنَّه لن يصيب الإنسان إلا ما كتب الله له، قال تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾التوبة: ٥١.

٤) التنشئة على الشجاعة من الصغر له تأثيرٌ كبير في إكساب المرء مفاهيمَ الشجاعة وقوَّة القلب وتعزيزها، وذلك بأمور هي:

- خوض التجارِب وتنوُّعها يجعل العقل يعتادُ عليها وإن كانت مخيفة.
- مواجهة ما حولنا من مخاوف بواقعية واتزان يتعزز فينا القوَّة ورباطةُ الجأش.

---

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٢١٧٤)، وقال حديث حسن.

- تدريبُ النفس على الأمور التي تتطلب الشجاعة، كالغوص، وركوب الخيل، والسير في الظلام، ونحوها؛ فإنَّ ذلك يقوي القلب ويكسبُ القوّة والشجاعة.
- اقتناع النفس بأنَّ معظم مثيرات الجُبن، لا تعدو كونها مجرَّد أوهام لا حقيقة لها.
- القدوة الحسنة، وعرض مشاهد الشجعان، وذكر قصصهم ومواقفهم يؤثر في النفوس ويورثها الشجاعة.

الأصل الرابع: العدل:

العدل لغةً: خلاف الجور، وهو المساواة بلا حيف ولا جور، وهو أقرب للتقوى من الجور[1].

واصطلاحًا: الأمر بالتوسط بين الإفراط والتفريط، مع إعطاء كل ذي حق حقه، والمساواة بين المتساويين. قال ابن حزم :: **"حدُّ العدل أن تعطي من نفسك الواجب وتأخذه، وحدُّ الجور أن تأخذه ولا تعطيه"**[2].

أهمية العدل:

أرسل الله تعالى الرسل -عليهم السلام- للدعوة لعبادته وحدة وإقامة العدل بين عباده، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾الحديد: ٢٥. يقول ابن القيم -رحمه الله- "إنَّ الله أرسل رسله وأنزل كتبه، ليقوم الناس بالقسط، وهو: العدل الذي قامت به الأرض والسموات، فإذا ظهرت أمارات العدل، وأسفر وجهه بأيِّ طريق كان، فثمَّ شرع الله ودينه"[3].

والعدل تتوقف عليه سعادة وطمأنينة المجتمع، فإذا اتصف المجتمع بالعدل قامت المحبة بينهم، وأمِنُوا على أموالهم وأعراضهم، فإذا ما أمن الناس سَعِد المجتمع بالعدل، وعمل الفرد فيه بحرية ونشاط، فيزداد الإنتاج ويستقر الأفراد، وإذا انعدم العدل في المجتمع سادة الفوضى، وتفشى الظلم والعدوان، وانعدمت الأخلاق، واضطرب نظام المجتمع بأسره، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل: ٩٠

الفرق بين العدل والإنصاف:

الإنصاف: إعطاء النصف من الشيء وأخذ النصف، من غير زيادة أو نقصان، تقول: أنصف من نفسه إذا أعطى من دون زيادة أو نقص، أمَّا العدل: يكون في الإنصاف وفي غير الإنصاف، كالحكم

(١) أيسر التفاسير(١/٣٣٥).

(٢) الأخلاق والسير(ص٣٣).

(٣) الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية(ص١٩).

مثلاً، فنقول للسارق إذا قطعت يده: أنَّه أقيم عليه العدل، ولا نقول أقيم عليه الإنصاف [1].

أنواع العدل:

إنَّ العدل يدخل في كل جوانب الحياة، ومن ذلك:

١) **عدل الولاة والحكام:** يجب على الوالي –سواء كانت ولايته عامة أو خاصة– أن يعدل بين من استرعاه الله عليهم، فالله جعل للإمام العادل مثوبة عظيمة، يقول النبيﷺ: (**سَبعَةٌ يظِلُّهُمْ الله في ظلِّهِ يوم لا ظلَّ إلا ظِلّهُ: الْإِمَامُ الْعَادلُ، وشَابٌّ نشَأَ في عبَادَةِ رَبّهِ، وَرَجلٌ قَلْبهُ معَلَّقٌ في الْمَسَاجدِ، وَرَجلَانِ تحَابَّا في اللّهِ اجتَمَعَا عليه وتَفَرَّقَا عليه، وَرَجلٌ طَلَبَتهُ امرَأَةٌ ذاتُ مَنْصبٍ وجَمَالٍ فقال: إنِّي أخَافُ اللّهَ، ورَجُلٌ تصَدَّقَ أخْفَى حتى لا تعْلَمَ شمَالُهُ ما تُنْفقُ يَمينُهُ، ورَجُلٌ ذكَرَ اللّهَ خَاليًا ففَاضَتْ عيْنَاهُ**)[2]، وعليه أن يستعين بأهل العدل، يقول ابن تيمية: "**يجب على كل ولى أمر أن يستعين بأهل الصدق والعدل، واذا تعذر ذلك استعان بالأمثل فالأمثل**"[3].

٢) **العدل في الحكم بين المتخاصمين:** وهذا من أهم صور العدل، حتى وإن كان أحد المتخاصمين من ذوي القربى؛ لأنَّ الله أمر بذلك وأكَّد عليه في قوله: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ** ﴾ النساء: ٥٨، وكذلك العدل في تطبيق الحدود والعقوبات الشرعية، فقد قال النبي ﷺ: (**وَالَّذي نفْسُ مُحمَّدٍ بيده لو أنَّ فَاطمَةَ بنت مُحمَّدٍ سرَقَتْ لقَطَعْتُ يدَهَا**)[4].

٣) **العدل في الشهادة:** حتى ولو كانت على ذوي القربى، قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ** ﴾الأنعام: ١٥٢.

٤) **العدل مع النفس:** وذلك بعدم تكليفها ما لا تطيق، قال تعالى: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا** ﴾ البقرة: ٢٨٦، والنبي ﷺ **يقول:** (**إنَّ لجَسَدِكَ عَلَيكَ حقًّا**)[5].

٥) **العدل بين الزوجات:** لقد جعل الله تعالى مظنة العدل شرطاً لتعدد الزوجات فقال: ﴿ **فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ۝٣** ﴾ النساء: ٣ ، وحذَّر النبيﷺ من الميل لزوجة من دون الزوجات فقال: (**من كانت له امْرأَتَانِ فمَالَ إلى إحْدَاهُمَا جاء يوم الْقيَامَةِ وَشقُّهُ مَائلٌ**)[6].

---

(١) انظر الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ٨٠.

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٦٢٩).

(٣) مجموع الفتاوى(٦٧/٢٨).

(٤) أخرجه البخاري، برقم (٤٠٥٣).

(٥) أخرجه البخاري، برقم (١٨٧٤).

(٦) أخرجه أبو داود، برقم (٢١٣٣)، وصححه الألباني.

٦) **العدل بين الأولاد:** فلا يفاضل بينهم إلا بسبب مقبول شرعا؛ لأنَّ التفضيل بلا سبب يوقع العدواة والبغضاء بينهم، فعن النعمان بن بشير > **قال: أَعطَانِي أبي عطِيَّةً، فقالت عَمرَةُ بنت روَاحَةَ: لا أَرضَى حتى تُشهِدَ رسُولَ اللّهِ ﷺ. فأَتَى رسُولَ اللّهِ ﷺ فقال: إني أَعطَيْتُ ابنِي من عَمرَةَ بنت روَاحَةَ عطِيَّةً، فَأَمَرَتنِي أنْ أُشهِدَكَ يا رسُولَ اللّهِ، قال: (أَعطَيْتَ سائِرَ ولَدِكَ مِثلَ هذا) قال: لا، قال: (فاتَّقُوا اللّهَ وَاعدِلُوا بين أَولَادِكُمْ. قال: فرَجَعَ فرَدَّ عطِيَّتَهُ)**[1].

٧) **العدل في الكيل والوزن:** والعدل واجب في كل المعاملات المالية، حيث أمر الله بإيفاء الكيل والوزن، قال تعالى: ﴿ **أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ** ﴾الشعراء: ١٨١، وقد أهلك الله قوم شعيب –عليه السلام– بسبب كفرهم بالرسول، وتطفيفهم الكيل والوزن، وبخس الناس أشياءهم فقال: ﴿**وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ** ﴾الأعراف: ٨٥.

٨) **العدل مع الأعداء والخصوم:** إنَّ النفس البشرية تجزع وتكره، وقد يدفعها ذلك للظلم، فأمر الله بالعدل في هذه الحال بقوله: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ المائدة: ٨. وللعدل مع الناس سواء كانوا محبوبين أم لا، وسواء كانوا مسلمين أم كفارا تقريب لنفوسهم، وتأليف لقلوبهم، واستمالة لهم لهذا الدين، وليعلموا أنَّه دين عدل لا يظلم أحدا.

فوائد العدل:

إنَّ البشرية إذا قامت بالعدل كما امر الله تعالى فإنها تجني ثمارا طيبة وفواد حسنة، منها:

١) **شيوع الأمن في الأوطان:** فتحصل به طمأنينة النفوس، ويشعر الناس بالاستقرار، وبذلك يُقضى على المشكلات الاجتماعية، والاضطرابات التي تحدث في الدول، بسبب الظلم.

٢) **نزول البركة وعموم الخير:** فمتى عمَّ العدل بين الناس –حكاما ومحكومين– انعكس ذلك على البلاد بعموم الخير، ونزول البركة. وبالظلم ينقلب الحال، يقول وهب بن منبه :: (إذا همَّ الوالي بالعدل، أدخل الله البركات في أهل مملكته حتى في الأسواق والأرزاق، وإذا همَّ بالجور، أدخل الله النقص في مملكته حتى في الأسواق والأرزاق)[2].

٣) **دوام الملك:** فالله يمكِّن للسلطان في ولايته ما حقق العدل بين رعيته، وقيل في الحِكَم: (أحقُّ الناس بدوام الملك وباتصال الولاية أقسطهم بالعدل في الرعية وأخفهم عنها كلاً ومؤونة)[3].

---

(١) أخرجه البخاري، برقم(٢٤٤٧).

(٢) بدائع السلك(ص٢٢٧).

(٣) بدائع السلك(٢٣١).

٤) **نوال محبة الله تعالى**: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ الممتحنة: ٨.

٥) **شيوع المحبة بين الناس**: فإنَّ انتشار العدل في المجتمع يجعله قوياً متماسكاً، فتعم المحبة والإخاء في كل أرجاء البلاد، فينعكس ذلك على السمع والطاعة لولي الأمر في غير معصية الله تعالى.

الوحدة الثالثة

نماذج من الأخلاق الفاضلة

١) الإخلاص

٢) الحياء

٣) الشكر.

نماذج من الأخلاق الفاضلة

النموذج الأول: الإخلاص

إنَّ مراد الله تعالى من توحيده والإخلاص له، فلا تصح عبادة بدونه، وقد جعله الله في أشرف مكان في الإنسان وهو القلب، الذي هو محلَّ نظر الله من عبده، قال النبي ﷺ: (**إنَّ اللّهَ لا ينْظُرُ إلى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ؛ وَلَكنْ ينْظُرُ إلى قُلُوبكُمْ وَأَعْمَالكُمْ**)[1].

الإخلاص لغة: مشتق من خَلَص، بمعنى: **تنقية الشيء وتهذيبه يقولون خلصته من كذا**[2].

إصطلاحاً: هو إفراد الله سبحانه بالقصد والطاعة، وتنقية الإعمال من الشرك والرياء.

فالمخلص تستوي أعماله في الظاهر والباطن.

لذلك كان الإخلاص شرطاً من شروط قبول العمل، فمن أحسن الاقتداء بالنبي ﷺ في عبادته، ثم جعلها خالصة لوجه الله، فقد حقق شرطي قبول العبادة.

وإخلاص العمل لله واجب بنص القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ الزمر: ١١ – ١٢.

وبيَّن النبي ﷺ أنَّ الإخلاص هو غاية الأعمال، وأنَّ من لم يُخلص فقد فسد عمله، فقال: (**إنَّما الْأَعْمَالُ بالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لكُلِّ امْرِئٍ ما نوَى، فمَنْ كانت هِجرَتُهُ إلى دُنيَا يُصِيبُها أو إلى امرَأَةٍ يَنكِحُهَا فَهِجرَتُهُ إلى ما هاجَرَ إليه**) [3].

وقال الجنيد: الإخلاص سرٌّ بين الله والعبد، لا يعلمه مَلَك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيميله[4]. وقيل: الإخلاص ألاّ تطلب على عملك شاهداً إلا الله، ولا مجازياً سواه، والمخلص هو الذي يقوم بأعمال الطاعة من: صلاة، وصيام، وحج، وزكاة، وقراءة للقرآن ابتغاء وجه الله، والثواب منه، وليس لأن يمدحه الناس ويذكروه، أمَّا المرائي فهو الذي يكون هدفه ذكر الناس له، فلا أجر له عند الله.

كيف يتحقق الإخلاص؟:

إنَّ تحقيق الإخلاص لله ﷻ في العبادة يكون باستكمال ثلاثة أمور:

الأول: تنقية العمل من الالتفات إلى غير الله، فلا يُريد بعمله رئاء الناس ومدحهم، أو نيل شيء من حظوظ الدنيا كالمال أو الجاه ونحوهما؛ بل يكون مراده مرضاة الله فحسب.

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢٥٦٤).

(٢) انظر مقاييس اللغة لابن فارس ٢٠٨/٢

(٣) أخرجه البخاري، برقم(١).

(٤) تفسير القرطبي(١٤٦/٢).

الثاني: احتقار عمله مع بذل مجهوده فيه، فلا يُعجَب بطاعته وعمله فيكون ذلك سبباً لحبوطه وبطلانه.

الثالث: موافقة العمل لهدي النبي ﷺ، إذ كل عمل ليس على هديه ﷺ فهو مردود على صاحبه؛ قال ﷺ: **(من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)**[(١)]، أي: مردود عليه لا يُقبل منه.

قال ابن القيم : بعد ذكره هذه الثلاثة: "فهذه الأركان الثلاثة: هي أركان السير، وأصول الطريق التي من لم يبن عليها سلوكه وسيره فهو مقطوع، وإن ظنَّ أنَّه سائر، فسيره إمَّا إلى عكس جهة مقصوده، وإمَّا سير المقعد والمقيَّد، وإمَّا سير صاحب الدابة الجموح، كلَّما مشت خطوة إلى قدام رجعت عشرة إلى الخلف.

فإنَّ عُدم الإخلاص والمتابعة انعكس سيره إلى خلف، وإن لم يبذل جهده ويوحِّد طلبه سار سير المقيَّد، وإن اجتمعت له الثلاثة فذلك الذي لا يجارى في مضمار سيره، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم" [(٢)].

ومما يُعين على الإخلاص مايلي:

- **الإكثار من الدعاء**: فقد كان من أكثر دعاء النبي ﷺ: **(يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)**[(٣)]، وقال أويس القرني: (إذا قمت فادع الله أن يصلح لك قلبك ونيَّتك، فلن تعالج شيئاً أشد عليك منهما)[(٤)].
- **التغلُّب على حظوظ النفس**: قال ابن الجوزي: (ما أقلَّ من يعمل لله خالصاً؛ لأنَّ أكثر الناس يحبون ظهور عباداتهم)[(٥)]. قال الشاعر:

يَهْوَى الثَّنَاءَ مُبَرِّزٌ وَمُقَصِّرٌ حُبُّ الثَّنَاءِ طَبِيعَةُ الْإِنْسَان

- **إخفاء العبادات غير المشاهدة والإكثار منها**: كقيام الليل، وصدقة السر، والبكاء خالياً من خشية الله.
- **الخوف من الشرك بنوعيه، والدعاء بكفارة الرياء**: ففي حديث الوقاية من الشرك يقول النبي ﷺ: **(قولُوا: اللهم إنا نعُوذُ بكَ من أنْ نُشْرِكَ بكَ شيْئاً نعْلَمُهُ وَنَسْتَغْفِرُكَ لمَا لاَ نعْلَمُ)**[(٦)].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧١٨).

(٢) مدارج السالكين(٢/٩٧).

(٣) أخرجه الترمذي في السنن برقم (٣٥٢٢)، وقال الألباني حديث صحيح.

(٤) تفسير التستري لسهل بن عبد الله التستري ١/١٤١. وصفوة الصفوة لابن الجوزي ٢/٥٥.

(٥) صيد الخاطر(ص٢٤٩).

(٦) أخرجه أحمد في المسند، برقم(١٩٦٢٢). وقال الهيثمي في الزوائد: رجال أحمد رجال الصحيح غير أبي علي ووثقه ابن حبان ١٠/٢٢٤

قوادح الإخلاص وعلاجها:

إنَّ من أبرز ما يقدح في الإخلاص مايلي:

١) **تعلق القلب بغير الله، حبًّا وخوفا ورجاءً:** وعلاجه باليأس مما في أيدي الناس، وتعليق القلب بالله وحده والتوكل عليه والرغبة فيما عنده، ويعلم أنَّ الممدوح حقاً من رضي الله عنه وأحَبَّه وإن ذمَّه الناس، قال بعض السلف: منذ عرفت الناس لم أفرح بمدحهم ولم أحزن على ذمهم، فحامدهم مفرِّط، وذامهم مفرِّط[1].

٢) **الرياء: وعلاجه** يكون بقول الدعاء المذكور سابقاً، ويقينه أنَّ الخلق لا ينفعون ولا يضرون حقيقةً، فلا يشغل نفسه بهم فيتعب، ويضر دينه، ويحبط عمله.

٣) **الإعجاب بالعمل:** فالعجب بالعمل يقود إلى الكبر ورؤية حظّ النفس، والغفلة عن إخلاص العمل لله تعالى، ويدفع لتزكية النفس، أو احتقار الآخرين، والله تعالى يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾ النجم: ٣٢، ويقول: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾﴾ الحجرات: ١٣ ، **وعلاجه:** أن يعلم العبد أنَّ قيامه بالعمل الصالح فضل من الله تعالى عليه فيشكره على توفيقه إيَّاه.

ثمرات الإخلاص:

١) **قبول العمل:** وكما أسلفنا أنَّ الإخلاص شرط من شروط قبول الأعمال.

٢) **إجابة الدعاء عند التوسل بالعمل الصالح الخالص لله تعالى:** كقصة الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة في الغار، فما نجو إلا عندما دعوا الله بأعمال أخلصوا له فيها.

٣) **نيل شفاعة النبيﷺ: فعن أبي هريرة س قال: قيلَ: يا رسول الله، من أَسعَدُ الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول اللّه ﷺ: (لقد ظَنَنتُ يا أبَا هرَيْرَةَ أنْ لا يَسْأَلنِي عن هذا الحديث أحَدٌ أوَّلُ منْكَ لمَا رأيت من حرْصِكَ على الحديث، أَسعَدُ الناس بشَفَاعَتِي يوم الْقيَامَةِ: من قال لا إلَهَ إلا الله خَالصًا من قَلْبِهِ، أو نَفْسِهِ)**[2].

٤) **حصول الأجر ودخول الجنة:** قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ النساء: ١٤٦.

٥) **النشاط لمزيد من العمل الصالح وفعل الخير:** قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ الإنسان: ٩.

---

(١) روى هذه المقولة أبو نعيم الأصبهاني في كتابه حلية الأوبياء عن مالك بن دينار(٢/٣٧٢).

(٢) أخرجه البخاري، برقم(٩٩).

النموذج الثاني: الحياء:

الحياء لغة: ضدُّ الوقاحة، وهو: الحشمة، والانقباض والانزوا، فيقال: حَيِيَّ حياءً، واستحيا واستحى فهو: حَيِيٌّ [١].

واصطلاحاً: خلقٌ يبعث على اجتناب كل ما هو قبيح، وما ينافي الشرع الحنيف [٢].

فالحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به ويذم، وهو انقباض للنفس، يصونها عمَّا يعيبها من قول أو فعل، فيدفعها إلى ترك القبيح، ويمنعها من التقصير في حقِّ كل ذي حق.

والفرق بين الحياء والخجل: هو أنَّ الحياء يدفع لاجتناب القبائح خشية الذمِّ والعيب، أمَّا الخجل: فيدفع لاجتناب الأفعال حسنة كانت أو قبيحة خوفا وجبنا. وأيضاً فالحيي قوي الشخصية وأمَّا الخجول فضعيفه.

مكانة الحياء من الدين:

الحياء صفة من صفات الله تعالى، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنَّه قال: (**إنَّ اللّهَ لأ حَيِيٌّ ستِّيرٌ، يحِبُّ الحَيَاءَ وَالسَّترَ**)[٣]. عن سلمان > قال: قال رسول الله ﷺ: (**إنَّ ربكم تبارك وتعالى حييٌ كريمٌ يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردَّهما صفرا**) [٤].

وهو شعبة من شعب الإيمان فقد قال ﷺ: (**الإيمانُ بضْعٌ وسِتُّونَ شُعْبةً، والْحَيَاءُ شُعْبةٌ من الْإيمانِ**)[٥]؛ لأنَّ الحَيَاء يقطع صاحبه عن المعاصي، ويحجزه عنها، فصار بذلك مِن الإيمان. وقال أيضا: (**إنَّ ممَّا أدْرَكَ الناس من كلَامِ النُّبُوّةِ الْأُولى: إذا لم تستح فاصْنَعْ ما شئْتَ**)[٦]، وهذا دليل على أنَّ الحَيَاء لم يزل أمره ثابتاً، واستعماله واجباً منذ زمان النُّبوَّة الأولى.

وكان الصحابة –رضوان الله عليهم– يصفون النبي ﷺ فيقولون: (**كان ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها**)[٧].

وقد أمر النبي ﷺ بالحياء فقال: (**استَحْيُوا من اللّهِ حقَّ الحَيَاءِ**) قالوا: يا رسول الله: إنّا نَستحيِي والحمد لله، **قال:** (**ليس ذاكَ، ولَكِنَّ الِاستِحْيَاءَ من اللّهِ حقَّ الحَيَاءِ: أنْ تَحفَظَ الرَّأسَ وما**

---

(١) انظر المحكم والحي ط الأعظم لابن سيده ٣٩٩/٣.

(٢) انظر موسوعة فتح الملهم بشرح صحيح الأمام مسلم للشيخ شبير العثماني ٥٦٥.

(٣) أخرجه أبو داود، برقم (٤٠١٢)، وصححه الألباني.

(٤) أخرجه أبو داود، برقم (١٤٨٨).

(٥) أخرجه البخاري، برقم (٩).

(٦) أخرجه البخاري، برقم (٥٧٦٩).

(٧) أخرجه البخاري، برقم(٣٥٦٢).

وعَى، وَالبَطْنَ وما حوَى، وَلتَذْكُرْ المَوْتَ وَالبِلَى، ومَنْ أرَادَ الآخِرَةَ ترَكَ زِينةَ الدُّنيَا، فمَنْ فعَلَ ذلك فقَدْ استَحْيَا من اللّهِ حقَّ الحَيَاءِ)[1]، وهنا بيان أنَّ الحياء يشمل جميع الأعمال الظاهرة والباطنة.

وقد ذكر الله موقفا يتجلى فيه الحياء فقال سبحانه عن موسى –عليه السلام–: ﴿ **فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا** ﴾القصص: ٢٥، وهنا لفتة ربانية تُسمع كل النساء في حال هذه الفتاة الحيية العفيفة، حيث إنَّها كانت في الحالتين حييةٌ، فالقارئ عندما يقف على كلمة (**استحياء**) في قوله: ﴿ **فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ** ﴾، يبين حال الفتاة حين مشيتها إلى موسى ؛ أنَّها في أدب وعفَّة وحياء، أمَّا إذا وقف على كلمة (**تمشي**) ثم استأنف القراءة في قوله: ﴿ **عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا** ﴾، فهنا يُبين حال الفتاة حينما بدأت تتكلم مع موسى ؛، وهذا من بلاغة القرآن حيث بيَّن حال الفتاة في مشيتها وكلامها أنَّها حيية عفيفة بأخصر العبارات، قال مجاهد: (يعني: واضعةً ثوبها على وجهها ليست بخرَّاجةٍ ولا وَلَّاجةٍ)، وقال الطَّبري: (فأَتَتْهُ تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ، وهي تسْتَحْيِي منه)[2].

أقسام الحياء: ينقسم خلق الحياء إلى قسمين:

الأول: الحياء الفطريُّ: وهو الذي يُولَد مع الإنسان، كحياء الإنسان عندما تنكشف عورته أمام النَّاس لأوَّل مرة، وهذا النَّوع مِن الحَيَاء منحةٌ أعطاها الله لعباده.

الثاني: الحياء المكتسب: وهو الذي يكتسبه المسلم مِن دينه، فيمنعه مِن فعل ما يُذَمُّ شرعًا، مخافة أن يراه الله حيث نهاه، أو يفقده حيث أمره.

فوائد الحياء:

١) أمارة على إيمان من اتَّصف به، فعن عبد الله بن عمر –رضي الله عنه–: مرَّ النبي ﷺ على رجل وهو يعاتب أخاه في الحياء يقول: إنَّك لتستحيي حتى كأنَّه يقول: قد أضرَّ بك. فقال رسول الله ﷺ: (**دعه فإنَّ الحياء من الإيمان**) [3].

---

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٢٤٥٨)، وحسنه الألباني.

(٢) ينظر: تفسير الطبري(٦١/٢٠).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري، برقم(٦١١٨)، ومسلم برقم(٣٦).

١) يدفع صاحبه لقول الحق، إذ السكوت عن الحق ليس من الحياء، قال تعالى: ﴿**وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ**﴾ الأحزاب: ٥٣، فالله تعالى لا يمنعه الحياء من بيان الحق لعباده، وكذلك ينبغي لعباده.

٢) يُطيِّب أفعال صاحبه، فيحول بينه وبين فعل ما يستقبح، فلا يظهر منه إلا الخير والصلاح، قال ﷺ : (**الحَيَاءُ لا يَأْتي إلا بخَيْرٍ**)[١].

من مظاهر انعدام الحيا أو قلَّته:

١. المجاهرة بالذُّنوب والمعاصي وعدم الخوف مِن الله.
٢. لبس النِّساء الملابس التي تصف الأجسام، أو الضَّيِّقة أو المفتوحة مِن الأعلى والأسفل.
٣. حديث المرأة مع الرَّجل الأجنبي عند خروجها واختلاطها به.
٤. التَّلفُّظ بالألفاظ البذيئة وورفع الصوت في الأماكن العامة، كالأسواق وساحات المدارس والجامعات، فقد سئلت عائشة -رضي الله عنها- عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : (**لم يكن فاحشا ولا متفحشتا ولا صخابا في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح**)[٢].
٥. كلام الرَّجل مع غيره بالأسرار الزَّوجية والأمور الخاصَّة التي تحصل بينه وبين زوجته.
٦. كشف العورات وعدم سترها.

---

(١) أخرجه البخاري، برقم(٥٧٦٦).

(٢) أخرجه الترمذي، برقم(٢٠١٦)، صححه الألباني.

النموذج الثالث: الشكر:

الشكر لغة: مصدر شَكَر يشكر، وهو عرفان الإحسان ونشره، والشكور كثير الشكر[1]، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ٣﴾ الإسراء: ٣.

والشكر اصطلاحاً: الثناء على المنعم بما أعطاك من معروف[2].

الفرق بين الشكر والحمد[3]:

هناك من ذهب إلى أن الحمد والشكر بمعنى واحد، يقول ابن عباس >: (**الحمد لله هو الشكر والاستخذاء لله والإقرار بنعمته وهدايته وابتدائه وغير ذلك**)، **وقال القاضي عياض: (الشكر والحمد بمعنى واحد، لكنَّ الحمد أعمُّ، فكل حامد شاكر وليس كل شاكر حامداً).**

ومنهم من قال أنَّ لكل منهما معنى مستقل عن الآخر، قال بعض العلماء: «إن الشكر أعم من الحمد لأنه باللسان وبالجوارح والقلب، والحمد إنما يكون باللسان خاصة، وقيل الحمد أعم؛ لأن فيه معنى الشكر ومعنى المدح، وهو أعم من الشكر؛ لأن الحمد يوضع موضع الشكر ولا يوضع الشكر موضع الحمد». والراجح أن بينهما فرق؛ لأن الحمد يكون في مقابل النعمة ويكون بدومها، بخلاف الشكر الذي لا يكون إلا مقابل النعمة فقط.

أنواع الشكر:

الأول: شكر الله تعالى على نعمه: وقد عرَّفه ابن القيم بقوله: "الشكر ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبة، وعلى جوارحه انقيادًا"[4].

ويتحقق ذلك بما يلي:

١) اليقين بأنَّ كل النِّعم منه تعالى، كما قال: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ النحل: ٥٣، وأنَّا لو أردنا إحصاءا ما استطعنا إلى ذلك سبيلا؛ ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ إبراهيم: ٣٤.

٢) إقرار اللسان بأنَّ النِّعم كلَّها من الله تعالى، قال نبي الله داود ؛: كيف أشكرك يارب، والشكر نعمة منك؟ قال: الآن قد عرفتني وشكرتني[5].

---

(١) تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري ١٠/١٠

(٢) انظر جامع العلوم في اصطلاحات الفنون لمحمد علي الفاروقي ٢٢٢/٢

(٣) ينظر: كتاب الحمد في القرآن الكريم والسنة النبوية للدكتور عبد الرحمن الغريبي ٢١-٢٢-٢٣.

(٤) مدارج السالكين(٢٤٤/٢).

(٥) ذكره القرطبي في تفسيره(٢٩٨/١).

٣) إظهار نعمة الله وتسخيرها في طاعته ومرضاته سبحانه، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص م قال: قال رسول اللهﷺ : (**إنَّ الله يُحبُّ أن يرى أثر نعمته على عبده**)[١].

الثاني: شكر أصحاب الفضل الدائم: كالوالدين، فقد قال الله تعالى: ﴿ **وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾** ﴾ لقمان: ١٤، ويُلحق بهم المعلمون، والحكام العدول، ونحوهم.

الثالث: شكر كل من يقدم للإنسان خدمة، قال النبيﷺ: (**من صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوا به فادعوا له حتى تروا أنَّكم قد كافأتموه**)[٢]. وإنَّ الذي لم يعتاد شكر الناس على إحسانهم له لا يُوفَّق لشكر الله تعالى، قال النبيﷺ: (**من لا يَشكُرُ الناس لا يَشكُرُ اللّهَ**)[٣].

فوائد الشكر:

يظهر فضل هذا الخلق بما يلي:

١. **ينجي من عذاب الله تعالى إذا اقترن مع الإيمان**: قال تعالى: ﴿ **مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾** ﴾النساء: ١٤٧.

٢. **رضا الله عمن يحمده ويشكره**: قال تعالى: ﴿**وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ** ﴾الزمر: ٧ ، هذا إذا اعتبرنا أنَّ الحمد والشكر بمعنى واحد، يقول النبي ﷺ: (**إنَّ اللّهَ لَيَرْضَى عن العَبْدِ أنْ يَأكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحمَدَهُ عليها أو يَشرَبَ الشَّربَةَ فَيَحمَدَهُ عليها**)[٤].

٣. **دوام النعم زيادتها**: قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾** ﴾إبراهيم: ٧.

---

(١) أخرجه الترمذي، برقم(٢٨١٩)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه أبو داود، برقم(١٦٧٢)، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه الترمذي، برقم (١٩٥٤)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) أخرجه مسلم، برقم(٢٧٣٤).

موانع الشكر:

إنَّ من أبرز ما يثبط الناس عن الشكر بكل أنواعه، مايلي:

١) **الشيطان:** فهو من أكبر المتربصين بالإنسان؛ يصرفه عن كل خير، ويدعوه لكل شرٍّ، ويحول بينه وبين الشكر كما قال الله عنه: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾الأعراف: ١٧ .

٢) **الأمن مكر الله:** فترى كثيراً من ضعاف الإيمان ينظر إلى الكفرة والطغاة وهم يرفلون في النعم مع ما هم عليه من الكفر والطغيان، فيأمن على نفسه؛ لأنَّه يرى أنَّه أحسن منهم حالاً منهم، والله يقول: ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾الأعراف: ٩٩.

٣) **الاغترار بكثرة النعم:** إذ يتقلَّب الإنسان في نعم كثيرة، ولم يذق لوعة الحرمان منها ساعة فيظُنُّ أنَّها لن تزول، فينسى شكر ربه، وقد يكون كفرانها سببا في زوالها، قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴿٧﴾ ﴾إبراهيم: ٧.

٤) **الكبر والغرور:** إذ أنَّ بعض الناس لا يرى لأحد من الخلق فضلا مهما فعلوا، فيأخذ منهم ولا يعطيهم، وينتفع بهم ولا ينفع أحدا منهم، وماذاك إلا لخبث النفوس، ودناءة الأخلاقه، ولؤم الطباع.

٥) **النظر لمن هو فوقه في النعم فيحتقر ما عنده فلا يشكرها،** فعن أبي هريرة س قال: قال رسول الله ع: (انظروا إلى من أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله)[1].

٦) **الاستهزاء بأصحاب البلاء:** فإنَّ الاستهزاء بمن ابتلاه الله ببلاء قد يكون سببا في انتقال الابتلا للمستهزي، قال ﷺ: **(لا تظْهِرْ الشّمَاتَةَ لِأَخِيكَ فيَرْحَمَهُ الله ويَبْتَلِيكَ)**[2].

---

(١) أخرجه مسلم، برقم(٢٩٦٣).

(٢) أخرجه الترمذي، برقم (٢٥٠٦)، وقال: حديث حسن غريب.

الوحدة الرابعة

أصول مساوئ الأخلاق

١) **الجهل.**
٢) **الظلم.**
٣) **الشهوة.**
٤) **الغضب**

أصول مساوئ الأخلاق

سبق أنَّ لمحاسن الأخلاق أصولاً تقوم عليها، فكذلك مساوئ الأخلاق لها أصول، وإنَّ كل ذنب يقترفه الإنسان –كبيرا كان أو صغيراً– دافعه أحد أربعة أمور، هي: الجهل، الظلم، الشهوة، الغضب.

فمتى اتصف الإنسان بواحدة منها فإنَّه سيكون عرضة لارتكاب الذنوب، ولا نعني هنا المسلم أو غير المسلم، وإنَّما الأمر عام في البشرية كلها، ومن تخلَّص منها فسيكون –بلا شك– محققا معنى الإنسانية الصحيحة، وعندها ستعيش المجتمعات حالة من الأمن والطمأنينة والرفاهية. وفيما يلي بيان لأصول مساوئ الأخلاق:

الأصل الأول: الجهل

لقد حثَّ الله تعالى على العلم، ورفع منزلة العلماء فقال: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ المجادلة: ١١، وفضَّل العلماء على الجهلة فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾ الزمر: ٩.

والجهل: خلاف العلم(١)، وهو: اعتقاد الشيء خلاف ما هو عليه.

ويعتبر ظهور الجهل وانتشاره من علامات قرب الساعة ودنو القيامة، قال النبيﷺ: (**إنَّ بين يدَيْ السّاعَةِ لأياما يُرْفَعُ فيها الْعلْمُ، وَيَنْزلُ فيها الجَهْلُ، وَيَكْثرُ الهَرْجُ، وَالهَرْجُ: القَتْلُ**)(٢).

أقسام الجهل:

ينقسم الجهل إلى قسمين هما:

١- الجهل البسيط: وهو عدم العلم بالشيء أصلام، أو نقص علمه عن إدراكه كاملاً، وهذا يزول بالتعلُّم، وصاحبه يقبل العلم ولا يعانده.

٢- الجهل المركب: وهو الاعتقاد الجازم بخلاف الواقع، فيكون صاحبه مخالفاً لمعرفة الشيء، ومعتقداً أنَّ ما يعلمه هو الحق، وهذا القسم لا يقبل العلم، ولا يتقبل التعليم.

أبرز أمارات الجهل:

١) **ترك العمل بالعلم**: فإنَّ من علم شيئا من العلم النافع ينبغي له امتثاله وتطبيقه في حياته، فإن لم يفعل كان ذلك سفها وحمقا، إذ كيف يعرف الصواب ويستمر في فعل الخطأ. قال ابن مسعود س: (تعلَّموا، تعلَّموا، فإذا علمتم فاعملوا)(٣).

٢) **الاستدلال بالنصوص الشرعية في غير مواضعها**: فإنَّ الذي يستشهد بالدليل بغير علم، يَضِل في نفسه ويُضِل الناس، وقد يستحل ما حرَّم الله بأدلة في غير موضعها، كما قال عنهم النبي ﷺ: (**يَخْرجُ من أمتي قَومٌ يسِيئُونَ الأَعمَالَ، يقرؤون الْقرْآنَ لاَ يتجاوز حَنَاجِرَهمْ**)(٤).

٣) **النزاع في العلوم والمسائل والرد على العلماء قبل استكمال العلم**: فيظن الجاهل أنَّه إذا عرف من العلم طرفه يستطيع أن يناقش ويردَّ على العلماء، فيكون بذلك وقع في جهل عظيم، خاصة إذا كان

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ٤٨٩/١.

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٦٦٥٤).

(٣) أخرجه الدارمي في السنن، برقم (٣٦٦).

(٤) أخرجه أحمد في المسند، برقم (٥٥٦٢)، وصححه الألباني.

ذلك في العلوم الدينية، يقول النبي ﷺ: (**إن القُرْآنَ لم يَنزِلْ يُكذِّبُ بَعضُهُ بَعضاً، بلْ يُصدِّقُ بَعضُهُ بَعضاً، فما عَرَفتُمْ منه فَاعمَلُوا بهِ، وما جَهِلتُمْ منه فرُدُّوهُ إلى عالِمِهِ**) [1].

٤) **الانصراف الكلي للعلوم الدنيوية وترك علوم الشرعية:** لقد أباح الله تعالى للمسلم أن يتعلم من العلوم الدنيوية المباحة ما فيه نفع وفادة لنفسه ولوطنه وأمته؛ إلا أنَّه لم يعذره في ترك تعلم ما تصح به عقيدته وعباداته ومعاملاته من علوم الدين، فالعلم الضروري واجب التعلُّم، وفي هذا يقول النبيﷺ : (**طلب العلم فريضة على كل مسلم**)[2].

٥) **تجزئة الشريعة، والإيمان ببعضها والعمل به دون البعض الآخر:** وهذا الجهل ليس له حدٌّ، فمن يردُّ بعض نصوص من الشريعة بدعوى أنَّها لا تصلح لهذا الزمان، أو يطالب بالاكتفاء بالقرآن وترك السنة، فهم من هذا الصنف، وقد أخبر النبيﷺ عنهم بقوله: (**لا أُلْفِينَّ أحَدَكُمْ مُتّكِئًا على أرِيكَتِهِ يأْتِيهِ أمْرٌ مِمّا أمَرْتُ بِهِ أو نهَيْتُ عنه فيقول: لا أدْرِي، ما وجَدْنَا في كِتابِ اللّهِ أتبعناه**)[3]. وقد أنكر الله تعالى على مثل هؤلاء فقال: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ البقرة: ٨٥.

أسباب الجهل:

١) **كيد أعداء الإسلام:** علم أعداء الإسلام أن قوة الإسلام تكمن في العلم والعلماء، فقاموا بالتلاعب في مناهج التعليم في بلاد المسلمين وذلك بمحاولة استبعاد القرآن الكريم والسنة النبوية والتاريخ الإسلامي الصحيح، كما قاموا بالتشكيك في عقائد المسلمين وإثارة الشبهات.

٢) **جهود أهل البدع في تجهيل الأتباع:** فالبدعة إحداث في دين الله، وإهمال للسنن وإحلال البدع، ونشر للخرافة والجهل.

٣) **حبُّ الرئاسة والتصدر:** وهذا من أسباب الجهل التي جعلت صاحبها لا يقبل أن يكون مخطئاً حتى لا تسقط مكانته وتتأثر منزلته، فيتمسك برأيه وإن كان غير صحيح.

٤) **التأثر بالنظريات الفكرية الضالة،** فقد أبرز التقدم العلمي الذي ظهر في الغرب نظريات تخالف الدين ولا تؤمن بالغيب، كالداروينية والوجودية، وهي تناقض مايقرره الإسلام بشأن بداية الخلق، والغاية منه. فمتى تأثر بها الفكر الإنساني فإنّه يرتكس في ضلالات الجهل والغواية.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، برقم (٦٧٠٢)، وقال صححه الألباني.

(٢) أخرجه ابن ماجه، برقم(٢٢٤)، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه الترمذي، برقم(٢٦٦٣)، وقال: حديث حسن صحيح.

٥) **ثقل طلب العلم**: والعلم لا يُنال بالراحة والنعيم، فالعلم يحتاج إلى جلد وبذل الجهد في طلبه، ولا يتوصل إليه إلا الرجال الأفذاذ، فنجد الكثير يعرض عن العلم بسبب المشقة مما أدى إلى انتشار الجهل، يقول الشاعر:

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبِرا

٦) **عدم تقدير العلم والعلماء**: وهذا لا يكون عادة إلا ممن كان جهله جهلاً مركبا، فلا يتبع الدليل الصحيح، ولا يقدر آراء العلماء؛ لأنَّ همَّه الانتصار لذاته ورأيه.

٧) **الخجل**: وهو من أسباب الجهل، وذلك أن الخجل يمنع صاحبه من السؤال عمَّا يُشكل عليه في دينه ودنياه، فيبقى في جهله، فلا تعلَّم علما صحيحاً، ولا طبَّق شرعاً أكيدا.

الأصل الثاني: الظلم

الظلم: ضد العدل، وهو الجور ومجاوزة الحدِّ، وأن تضع الشيء في غير موضعه[1].

لقد حرَّم الله تعالى الظلم بجميع صوره، ونزه ذاته -تبارك وتعالى- عنه فقال: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ آل عمران: ١٠٨، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾يونس: ٤٤، وفي الحديث الذي يرويه النبي ﷺ **عن ربه: (قال الله تعالى: يا عِبادِي إنِّي حرَّمْتُ الظّلْمَ على نفْسِي وجَعَلْتُهُ بيْنَكُمْ مُحرَّمًا فلا تظَالَمُوا)**[2]، وبيَّن النبيﷺ **أنَّ عاقبة الظلم وخيمة يوم القيامة بقوله: (الظّلْمُ ظُلُماتٌ يوم الْقِيامَةِ)**[3].

وليعلم الظالم أنَّه ليس بعيداً عن الله تعالى، حتى وأن أطال به الأمد، فإذا حان وعده أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، يقول النبيﷺ: **(إنَّ اللّهَ لَيُمْلي للظَّالِمِ حتى إذا أخَذَهُ لم يُفْلتْهُ، ثمَّ قرَأَ ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾هود: ١٠٢)**[4].

أقسام الظلم: ينقسم الظلم إلى قسمين رئيسين، وتحت كل واحد منهما أنواع، وهما كما يلي:

الأول: ظلم الإنسان لنفسه: ومن أبرز أنواعه مايلي:

١) الكفر والشرك، وهو أعظم أنواع ظلم الإنسان لنفسه كما قال تعال:﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ **لقمان: ١٣.**

٢) **الكذب على الله:** وهو أن يفتري كلاماً من عند نفسه وينسبه إلى الله -عز وجل-، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾الأنعام: ٢١.

٣) **التعدي على حدود الله:** فمن حرَّم ما أحلَّ الله، أو أحلَّ ما حرَّم الله، فقد ارتكب ظلماً عظيماً، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾البقرة: ٢٢٩.

٤) **كتم الشهادة:** فمن كتم الحق، أو غير فيه وأظهر ضده، فهو ظالم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾البقرة: ١٤٠.

الثاني: ظلم الإنسان لغيره من الخلق، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾الشورى: ٤٢. ومن أبرز أنواعه مايلي:

---

(١) انظر تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري ١٤/٢٧٤.

(٢) أخرجه مسلم ٤/١٩٩٤. برقم (٢٥٧٧).

(٣) أخرجه البخاري ٢/٨٦٤. برقم (٢٣١٥).

(٤) أخرجه البخاري ٤/١٧٢٦. برقم (٤٤٠٩).

١) **القتل بغير الحق:** فإنَّ الله تعالى حرَّم قتل النفوس إلا بحق، فقال: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾الإسراء: ٣٣. وقال ﷺ : (**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنِّي رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزان، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**)[١] . وقال أيضا في حق الكافر المعاهد: (**من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإنَّ ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما**)[٢] ؛ بل أخبر عن عذاب قاتل الحيوان بغير حقٍّ بالنار فقال: (**عُذِّبت امرأة في هرَّة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض**)[٣] .

٢) **أخذ أموال الناس بغير حق:** وهذا من الظلم الذي حرَّمه الله، سوا كان ذلك بالسرقة والغش والتدليس، أو التعدي على الأملاك والحقوق، فقد قال النبيﷺ: (**من أَخَذَ شِبْرًا من الأرض ظُلْمًا فإنَّه يُطوَّقُهُ يوم الْقِيامَةِ من سبْعِ أَرَضِينَ**)[٤].

٣) **ظلم الضعفاء من الناس،** فقد حذَّر من ذلك النبي ﷺ، فعن أبي هريرة > قال: قال رسول اللهﷺ: (**اللهم إنِّي أُحَرِّج حقَّ الضعيفين: اليتيم، والمرأة**)[٥] . وقال تعالى في شأن حقِّ اليتيم: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾النساء: ١٠.

٤) **الظلم الواقع في الأسر:** وله صور عديدة منها: ظلم الأولاد لوالديهم بالعقوق، وظلم الأزواج لزوجاتهم في النفقة والمبيت وسوء العشرة، وظلم البنات بعدم تزويجهن، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ ﴾ النساء:١٩، أو بتزويجهن بغير الكفء، وظلم الأخوات وحرمانهنَّ من الميراث...إلخ.

حكم معاونة الظالم:

لقد أمر الله تعالى بالتعاون على الخير ونهى عن ضده فقال: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ المائدة: ٢ ومن أعان ظالماً فهو مثله، ومشارك له في الأثم والعدوان، ومستحق لسخط الله، فعن ابن عمر م قال: قال رسول الله ﷺ: (**من أعان على خصومة بظلم**

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٦٨٧٨) ، ومسلم برقم(١٦٧٦).

(٢) أخرجه البخاري، برقم(٣١٦٦).

(٣) أخرجه البخاري، برقم(٣٤٨٥).

(٤) أخرجه البخاري ١١٦٨/٣. برقم (٣٠٢٦).

(٥) أخرجه ابن ماجه، برقم(٣٦٧٨)، وحسَّنه الألباني.

(أو يعين على ظلم) لم يزل في سخط الله حتى ينزع)[1] .

هل للظالم توبة؟

باب التوبة مفتوح لكل عاصٍ إذا توفرت فيه شروط التوبة، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾النساء: ١١٠، وقال: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾المائدة: ٣٩، وشروط التوبة من الظلم أربعة:

١- الكفُّ عن الظلم. ٢- الندم على فعله. ٣- العزم على عدم العودة له. ٤- ردُّ ما أخذ بالظلم، او طلب العفو والمسامحة من المظلوم.

(١) أخرجه ابن ماجه، برقم(٢٣٢٠)، وصححه الألباني.

الأصل الثالث: الشهوة.

الشهوة لغة: مصدر شها، وهي: اشتياق النفس إلى الشيء.

واصطلاحاً: هي نزوع النفس إلى محسوسٍ لا يُتمالك عنه.(١)

وهي تعلق بملذات الدنيا، والانشغال عن الآخرة، وهي الطريق إلى ارتكاب كل الخطايا، فالزنى يبدأ بشهوة الجسد، والسرقة تبدأ بشهوة حُبِّ المال، والقتل يبدأ بشهوة الانتقام، ولذلك ينبغي للإنسان أن يكبح شهواته ويتغلَّب عليها، حينها سيسلم من الوقوع في كثير من المعاصي، فالفرح ليس بنيل الشهوات، وإنَّما بضبطها لتسلم من الوقوع في المحرمات.

وينبغي للإنسان أن يمنع نفسه عن الوقوع تحت تأثير شهوته، لأنَّها إن واقعتها سيصعب انفطامها، ولن يستطيع على ذلك إلا من استعان بالله على الخلوص منها.

والشهوة تتدرجٌ بصاحبها، فتبدأ بالتفكير فيها، ثم التعلُّق بها، ثم الانقياد لها، ثم التنفيذ، ثم التكرار، حينها يصبح الإنسان عبداً لشهوته لا يقدر على التخلص من ذلك.

وقد يظن البعض أن التخلص من التفكير في الشهوة هو أن يستكملها حتى يستريح منها، وهذا خداع للنفس؛ لأنَّ الشهوة لا يمكن إشباعها.

وقد عدد الله بعض الشهوات التي يُحبها الإنسان في قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٤، وفي هذه الآية الكريمة يُبين الله تعالى أنَّ الشهوات محببة ومزينة للنفس، فبدأ بالنساء، ثم الأولاد، ثم الأموال، وقد أخبر الله أنَّها فتنة للإنسان، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾التغابن: ١٥، ثم ذكر الخيل، والأنعام وهي: الإبل والبقر والغنم، ثم الحرث، وفي هذه تجتمع ملذات الدنيا، وقد تلهي الإنسان عن الآخرة، فعقَّب بقوله: ﴿ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾، وعندما سمع عمر بن الخطاب س هذه الآية قال: (اللهم إنَّا لا نَسْتَطيعُ إلا أنْ نَفرَحَ بمَا زَيَّنْتَهُ لنا، اللهم إنِّي أَسْأَلكَ أنْ أنْفِقَهُ في حَقِّهِ)(٢).

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ١٨٨/١.

(٢) أخرجه البخاري في ترجمة باب قول النبي (هذا المال خضرة حلوة) (٢٣٦٥/٥).

أبرز أنواع الشهوات:

إنَّ الشهوات التي رُكِّب منها الإنسان أنواع من أبرزها:

١) **شهوة تعظيم الذات:** وهي أقوى الشهوات تأثيراً على سلوك الإنسان، حيث تدفعه إلى ممارسة سلوكيات غير أخلاقية، كالإعجاب بالنفس، وحُبُّ المدح والثناء، والتكبُّر على الناس والتعالي عليهم.

٢) **شهوة التملك وجمع المال:** وهي سبب الخطيئة التي أخرجت آدم ؛ من الجنة، قال تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴿١٢٠﴾ ﴾ طه: ١٢٠، وقال: ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ ﴾ الفجر: ٢٠، فحبُّ المال فطرة، ولكن ينبغي ضبطها بضابطين: صحة مصدره، ومشروعية سبيل صرفه، وهما جواب السؤال عنه يوم القيامة: من أين اكتسبه، وفيم أنفقه؟ ومع ذلك يجب الحذر من الغفلة عن الله والانشغال به.

٣) **شهوة الفرج:** وهي غريزة في الرجال والنساء، ومن حِكَمِها استمرار النسل البشري إلى قيام الساعة، وقد أمر الحق سبحانه بالطريقة الصحيحة لقضائها بالنكاح الصحيح، وحذَّر من الحياد عن ذلك؛ لإنَّه من حاد سيصبح عبداً لشهوته، وتكون سببا لمرض قلبه، كما قال تعالى: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ ﴾ الأحزاب: ٣٢.

وينبغي أن يُعلم أنَّ الشرع الحنيف لا يطلب من الإنسان ترك شهوات والانخلاع من ذاته بالكلية، فهذا أمر لا يمكن نيله ولا الصبر عليه، إنَّما يريد تهذيب الشهوات، ولا يكون ذلك إلا بطاعة الله فيها، بامتثال ما شرع والكفِّ عمَّا نهى عنه وزجر، والصبر على مكابدتها، وبذل الجهد في تقويمها وتهذيبها احتسابا للأجر عند الله تعالى.

بين العقل والجسد:

قد بيَّنت النصوص الشرعية أنَّ النفس الإنسانية مفطورة على حُبِّ الشهوات والتعلق بها، وأوضحت الدراسات أنَّ الإنسان بين دافعين لابد أن يستجيب لأحدهما، إمَّا الجسد وهو دافع الإقبال على الشهوة، وإمَّا العقل وهو دافع البعد عنها، فمن انغمس في الشهوات والملذات وصار عبداً لها فقد أشبع جسده، وهذا الإشباع سيهوي به إلى ذُلِّ المعصية في الدنيا، وعذاب الله في الآخرة إن لم يُغفر له. ومن أشبع مطالب العقل وارتقى بالروح عن الرذائل والملهيات فقد استبدل الذلَّ والانحطاط بالفضيلة والقرب من الله تعالى، فيرتقي في الدنيا، ويسعد في الآخرة.

وقد بيَّن الله سبحانه أنَّ من أهمل عقله واتبع هواه سيصبح كالأنعام بل أضل منها، فقال: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ الأعراف: ١٧٩.

وسائل الوقاية من الشهوة:

١) **استحضار مراقبة الله تعالى:** فإنَّ استحضار القلب لوجود الله، وتعظيم أمره يكفي العبد هموم الدنيا ويعينه على نفسه ونزواتها، ويفتح قلبه إلى حبِّ الله تعالى وعبادته، تقرباً إليه، ويبعث في نفسه الخوف منه[١].

٢) **مجاهدة شهوات النفس:** وذلك بتهذيبها، والابتعاد عن مواطنها وكل ما يدعو إلى إثارتها والوقوع فيها، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ العنكبوت: ٦٩، فمن جاهد نفسه نال هداية الله، وكان الله معه.

٣) **النظر إلى عواقب إطلاق النفس في شهواتها:** وذلك بأن يضع نفسه أمام خيارين: إمَّا الوقوع في الشهوة المحرمة فيكون ذليلاً بها، أو مدافعتها والابتعاد عنها فينال بذلك كرامة الدنيا وأجر الآخرة، وليعلم أنَّ مقارفة الشهوات المحرمة ليس ضررها قاصرا عليه فقط، بل يتعدَّى إلى الأخرين، وفيها: انتهاك لكرامة نفسه وعفَّتها، فإن لم يكن هم الإنسان نفع نفسه، فلا أقلَّ من منع ضرره عن الآخرين، قال أبو ذر س: يا رسول الله، أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال: (**تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك**)[٢].

٤) **إشغال النفس بالنافع المفيد:** فالنفس إن أُهملت تمادت في طلب الشهوات، فلابد من إشغالها فيما يعود بالنفع عليها في الدنيا والآخرة، يقول الشاعر:

والنفسُ كالطفلِ إن تهملهُ شَبَّ على حُبِّ الرَّضاعِ وإنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِم

٥) **التفكُّر فيما أعده الله في الآخرة لمن ضبط هواه وشهواته:** وذلك بأن يجعل نصب عينه أنَّ نعيم الدنيا قليل، وأنَّ ما عند الله باقٍ لا ينفد، ويعلم أنَّ عذاب الله شديد لمن خالف أمره واتَّبع هواه، وليس بعاقلٍ من باع نعيم الجنة بشهوة ساعة، ﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ النحل: ٩٦.

الأصل الرابع: الغضب

---

(١) لأجل هذا يجب أن يعتني المسلمون عند تربية النشء بتربيتهم على مبدأ تعظيم الحلال والحرام، وليس على مراعاة العيب؛ لأنَّ من تربى على العيب سيخشى الناس ولا يخشى الله، ومن تربى على تعظيم الحلال والحرام، خاف الله قبل أن يخاف من الناس، فيكون ذلك رادعاً له عن كل شهوة محرمة، وهذا ما يُسمى في الدراسات الحيثة بالرقابة الذاتية.

(٢) أخرجه مسلم، برقم(٨٤).

الغضب: ضد الرضا، وهو ثوران دم القلب لقصد الانتقام[1].

ومن هذا التعريف نجد أن الغضب عبارة عن تغير حالة مزاجية دافعة للانتقام، وغالباً ما تكون عاقبتها وخيمة.

والغضب من الصفات الذميمة التي نهى عنها النبي ﷺ، فعن أبي هريرة س أنَّ رجلًا قال للنبي ﷺ: أوصِنِي، قال: (**لا تغْضَبْ، فرَدَّدَ مِرارًا. قال: لا تغْضَبْ**)[2]، وفي ترديده ﷺ دليل على ذمِّ هذه الصفة، وأنَّ ما يعقبها وبال على صاحبها.

أقسام الغضب:

ينقسم الغضب إلى قسمين:

الأول: الغضب المحمود: وهو أن يكون لله إذا انتهكت حُرماته، والغضب على أعداء الله المتجبرين على أوليائه الصالحين، وهذا الغضب أمارة على الإيمان، وهنا نبين أنَّ هذا الغضب لابد أن تصحبه الحكمة، حتى لا تكون النتائج عكس المرجو منها.

الثاني: الغضب المذموم: وهو الغضب لغير ماذكر في القسم المحمود، كالغضب انتصارا للنفس، أو عدوانا على الناس، وهو الذي نهى عنه النبي ﷺ وكرر ذلك بقوله: (**لا تغضب**)؛ لأنَّ هذا الغضب يخرج صاحبه عن العقل والرشد ويدفعه إلى ما لا تحمد عُقباه.

أسباب الغضب:

إنَّ للغضب أسبابا كثيرة، ومن أبرزها مايلي:

١) **الإعجاب بالنفس والاغترار بالذات:** فالمغتر بنفسه يحتقر الناس ولا يقبل منهم شيئا؛ بل يخرج عن طوره ويستشيط غضبا لأدنى معارضة أو نقاش.

٢) **المراءُ والجدال:** وهذا الأمر قد يجر صاحبه إلى الغضب؛ لأن المكثر من الجدال يرى أنَّه على صواب، ويريد أن يأطر الناس على رأيه، فمن لم يستجب له غضب عليه، وقد نهى النبيﷺ عن ذلك، وبيَّن عاقبة من ترك المراء بقوله: (**أنا زَعيمٌ ببَيْتٍ في ربَضِ الْجنَّةِ لمَنْ ترَكَ الْمرَاءَ وَإنْ كان مُحقًّا**)[3].

---

(١) انظر المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم ١٧.

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٥٧٦٥).

(٣) أخرجه أبو داود، برقم (٤٨٠٠)، وصححه الألباني.

٣) **كثرة المزاح**: فالمزاح في أصله ليس مذموما إلا إذا تعدَّى الحدود الشرعية، فالنبيﷺ كان يمزح ويحب المزح، والصحابة ن كذلك، ولكن إن تجاوز المزاح حدَّه انقلب إلى الضد، كأن يستنقص أحدهم بالكلام مازحاً، أو يسخر منه، أو يؤلمه ألما حسيا أو معنويا، فيستثير غضبه، فينقلب المزاح جداً، فيتقاتلان.

٤) **الجهل**: فالجاهل يظن أنَّ سرعة غضبه واندفاعه إنما هو شجاعة وقوة وعزَّة نفس، ويظنُّ أنَّ ترك الغضب قادح في الرجولة، وهذا خطأ ومنافٍ لكلام النبيﷺ حيث يقول: (**ليس الشّدِيدُ بِالصُّرعَةِ، إنَّما الشّدِيدُ الذي يَملِكُ نَفسَهُ عِندَ الغَضَبِ**)[1].

٥) **أسباب لا إرادية**: هناك أسباب للغضب لا إرادية، وقد تتحكم بمشاعر الإنسان وتدفعه للغضب، وإن كان في الأصل حليماً، كألم المرض، والإرهاق الجسدي أو النفسي، أو بسبب التغيرات الهرمونية كما يحدث للنساء أيام حيضها وحملها، فينبغي على من يتعامل معهم أن يراعي حالتهم النفسية وإن أشتد غضبهم، بالإضافة إلى أنَّه ينبغي لمن تعرَّض لمثل هذه المتغيرات أن يضبط نفسه قدر المستطاع.

آثار الغضب:

للغضب آثار على الإنسان من أشهرها وأكثرها وقوعا، ومنها:

١- تغيُّر شكل الإنسان: فيحمرُّ وجهه، وتنتفخ أوداجه، ويصبح في صورةٍ غير صورته، ولو رأى الغضبان نفسه حال الغضب لعاد عن غضبه وسكنت نفسه.

٢- البذاءة والفحش في الكلام: فينطلق لسانه بالسبِّ والشتم، وسائر الألفاظ التي يستحي أن يقولها حال هدوئه، وقد يتخذ قرارات يندم عليها طول حياته، كمن يُقسم على قطيعة رحمه، أو يطلق زوجته.

٣- الأفعال المشينة: فقد يؤدي الغضب بصاحبه إلى تصرفات سيئة، كضرب نفسه وشقِّ ثوبه، أو الاعتداء باليد، أو تخريب الممتلكات، وربما يصل الغضب بصاحبه إلى القتل، وعندها يندم حين لا ينفع الندم.

٤- انعكاس الحال: فقد يرجع أثر الغضب على الغضبان في صحته، فيصاب بمرض الضغط، أو السكري، أو جلطة تقعده عن الحركة أو تعيقه، أو ينفجر فيه عرق يموت من لحظته.

علاج الغضب:

لقد أرشد النبي ﷺ الغضوب لأقوال وأفعال تُعينه في التغلُّب على سورة الغضب التي انتابته، ومن

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٥٧٦٣).

أشهر ذلك مايلي:

١) **تغيير الحال**: فإن كان الغاضب واقفاً جلس، وإن كان جالساً اضطجع، يقول النبيﷺ: (**إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلا فَلْيَضْطَجِعْ**)[١].

٢) **الاستعاذة من الشيطان الرجيم**: لأنَّ كل غضب وراءه شيطان، فحين يُستعاذ منه يذهب الغضب، وقد تشاتم رجلان أمام النبيﷺ، فاحمرَّ وجه أحدهما، فقال النبيﷺ: (**إني لَأَعلَمُ كلِمَةً لو قالَهَا ذهَبَ عنه ما يجِدُ، لو قال: أعُوذُ بِاللّهِ من الشَّيطَانِ ذهَبَ عنه ما يجِدُ**)[٢].

٣) **كظم الغيظ**، وقد قال تعالى في كتابه: ﴿**وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤**﴾ آل عمران: ١٣٤، وهذا ما أرشد له النبيﷺ من طلب منه الوصية فقال: (**لا تغْضَبْ، فرَدَّدَ مِرارًا، قال: لا تغْضَبْ**)[٣] .

٤) **ضبط النفس**: وذلك بأن يُكفها عن مسببات الغضب، فإن شعر بالغضب فعليه أن يحاول ضبط نفسه قدر المستطاع، فلا يتخذ أيَّ قرار أو تصرُّف؛ حتى لا يقع منه ماينادم عليه.

٥) **التصبر والتحلم**: وذلك بأن يروِّض نفسه مرة بعد أخرى على ضبط النفس، حتى يتحول ذلك إلى سجية راسخة، قال أبو الدرداء س: (العلم بالتعلُّم، والحلم بالتحلُّم، ومن يتحرَّ الخير يعطه، ومن يتوقّ الشّرّ يوقه)[٤] .

---

(١) أخرجه ابن حبان، برقم (٥٦٨٨).

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٣١٠٨).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية(٥/١٧٤).

الوحدة الخامسة

نماذج من الأخلاق الرذيلة

١) الكبر.
٢) البذاءة.
٣) الكسل.
٤) التشاؤم.
٥) الحسد.
٦) الغفلة.

نماذج من الأخلاق الرذيلة:

النموذج الأول: الكبر:

الكبر لغة: العَظَمَة والتَّجَبُّر، كالكِبْرِياء، والكِبر بالكسر من التكبر [١].

واصطلاحاً: كما عرفه النبي ﷺ: (الْكِبْرُ بطَرُ الْحَقِّ وغَمْطُ الناس) [٢]. ومعنى غمط الناس أي: احتقارهم.

والكبر والعزة من صفات الله تعالى لا ينبغي أن يتصف بها الإنسان، قال تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ الجاثية: ٣٧، عن ابن عباس> قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: (**الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النَّار**)[٣].

أنواع الكبر وأحكامها:

للكبر ثلاثة أنواع:

الأول: التكبر على الله تعالى: وهو أفحش أنواع الكبر، وصاحبه كافر كفراً أكبر، وإن مات على ذلك فهو خالد مخلد في نار جهنم، ويكون ذلك بالاستنكاف والاستكبار عن عبادته تعالى والخضوع لأمره واجتناب نهيه، وجحد شرائعة، قال تعالى:﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ النمل: ١٣ - ١٤ ، وقال: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾غافر: ٦٠.

الثاني: التكبر على النبي ﷺ: ويكون ذلك بالامتناع عن اتِّباعه وطاعته، والأنفة عن امتثال سنَّته وطريقته، ومن ذلك ما ثبت أنَّ رجلا أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال ﷺ : (**كل بيمينك**). قال: لا أستطيع. قال ﷺ : (**لا استطعت**)، ما منعه إلا الكبر. قال الراوي: فما رفعها إلى فيه[٤]. قال النووي: "في هذا الحديث جواز الدعاء على من خالف الحكم الشرعى بلا عذر، وفيه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى كل حال حتى فى حال الأكل، واستحباب تعليم الآكل آداب الأكل إذا خالفه"[٥].

الثالث: التكبر على العباد: وذلك بأن يستعظم نفسه، ويحتقر غيره، وهذا إثم عظيم، ويدخل في وعيد النبي ﷺ: (**لا يدْخُلُ الْجنَّةَ من كان في قلْبِهِ مِثْقالُ ذرَّةٍ من كبْرٍ**)[٦].

---

(١) انظر مقاييس اللغة ١٥٤/٥.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٩١)

(٣) أخرجه ابن حبان، برقم (٥٦٧١).

(٤) أخرجه مسلم، برقم (٢٠٢١).

(٥) شرح النووي(١٩٢/١٣).

(٦) أخرجه مسلم، برقم (٩١).

آثار الكبر:

١- يصد صاحبه عن قبول الحق والهدى: وقد ثبت في الحديث أنَّ النبي ﷺ قال: (**الكِبْرُ: بطَرُ الْحقِّ وغَمْطُ الناس**)[١]. قال ابن تيمية: **فالفخر يشبه غمط الناس؛ فإن كلاهما تكبر على الناس، وأما بطر الحق وهو جحده ودفعه، فيشبه الاختيال الباطل فإنه تخيل أن الحق باطل بجحده**"[٢].

٢- يصرف الله قلب صاحبه عن الاعتبار بالآيات: قال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾الأعراف: ١٤٦.

٣- بغض الناس واحتقارهم: فالمتكبر يتعالى على الناس ويظن أنَّه ذو حظوة عندهم بتكبره، والناس ينظرون إليه كما ينظر لهم، ثم يوم القيامة الجزاء من جنس العمل، يقول النبي ﷺ: (**يحْشَرُ الْمتَكَبِّرُونَ يوم الْقيَامَةِ أَمثَالَ الذّرِّ في صوَرِ الرّجَالِ يَغْشَاهمْ الذّلُّ من كل مكَانٍ**)[٣].

٤- الوعيد بدخول النار: قال تعالى: ﴿ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾الزمر: ٧٢، ويقول النبي ﷺ: (**ألا أُخبِرُكُمْ بِأهْلِ النّارِ كلُّ عتُلٍّ جوَّاظٍ مُسْتكْبِرٍ**)[٤].

٥- بغض الله للمتكبرين: قال تعالى: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾النحل: ٢٣.

لذلك كان الكبر من أعظم الذنوب عند الله تعالى، فبه غضب الله تعالى على إبليس لما تكبَّر على أمر الله حين أمره بالسجود لآدم فأبى، وكان مانعه من ذلك الكبر، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾البقرة: ٣٤.

أسباب الكبر وعلاجه:

١. **الجهل بالله:** وهو عدم استحضار عظمة تعالى وقوته وعلو قدره وسلطانه، فمن استهان بالله نازعه في كبريائه وعظمته، واستكبر عن طاعته وعبادته. وعلاجه ذلك بإعمار القلب بالله وتقديره سبحانه حق قدره، فإنَّ العبد إن لم يقدر الله حقَّ قدره يستهين بأمره ونهيه، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ الزمر: ٦٥ - ٦٧.

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٩١).

(٢) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية ١٤/٢٢٠.

(٣) أخرجه الترمذي، برقم (٢٤٩٢)، وقال حديث حسن صحيح.

(٤) أخرجه البخاري، برقم (٤٦٣٤).

٢. **اغترار الإنسان بماله وجاهه وقوته:** حيث يظن أنَّ ما هو فيه من مال وجاه وقوة من كسبه ونتيجة جهده، كما فعل قارون حين اغتر بما عنده فقال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ القصص: ٧٨، فعاقبه الله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ القصص: ٨١. وعلاجه: الإيمان يقيناً بأنَّ المال يفنى، والجسم يبلى، والدنيا إلى زوال، وأنَّ كل ما بأيدينا هو من عند الله وحده.

٣. **العجب بما ميَّزه الله به:** فقد يُعجب الإنسان بما وفقه الله له من العلم أو الطاعة، أو جمال الصورة، أو جودة النسب وعلو الحسب فيتعالى بذلك ويتكبر على الناس. وعلى الإنسان أن يوقن أنَّ ما يتكبر به على الناس إنما هو توفيق من الله، فليس بجهده حصَّل الإيمان والطاعة، أو اختار الصورة والنسب، بل الله الذي منحه ذلك ليبتليه، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ الأنعام: ١٦٥ .

النموذج الثاني: البذاءة

البذاءة: السَّفَاهَةُ وَالْفُحْشُ فِي الْمَنْطِقِ وَإِنْ كَانَ الْكَلاَمُ صِدْقًا[1].

والبذاءة خلق ذميم يدلُّ على نقص الإيمان، لقول النبيﷺ: **(لاَ يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبدٍ حتى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، ولاَ يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حتى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ)**[2]. فمن هذا الحديث يتضح أنَّ الكلام البذيء يُنقص من إيمان العبد، فيجب على المؤمن أن يكون طاهر اللسان، بعيداً عن الفحش في القول والفعل، حتى لا يُشك في إيمانه.

أسباب البذاءة:

إنَّ لتخلُّق الإنسان ببذاءة اللسان وفحش القول أسبابا من أبرزها:

١) **الجهل والسفاهة:** فإنَّ من أبرز عادات السفهاء الفحش في الكلام، قال القرطبي :: "البذيء اللسان يسمى: سفيها؛ لأنَّه لا تكاد تتفق البذاءة إلا في جُهَّال الناس وأصحاب العقول الخفيفة"[3]، فينبغي على المؤمن أن يُطهِّر نفسه ولسانه من كل فحش.

٢) **قصد التعدي والإيذاء:** فإنَّ من الناس يتعمَّد التَّهكم من غيره بقصد إيذائه، فيُفحش له بالقول ليضحك من حوله، أو يكون الإيذاء ردَّة فعلٍ لتصرف غير مسؤول يستثير الغضب ويدفع للبذاءة.

٣) **التاثر برفقاء السوء:** فإنَّ الإنسان يتأثر بمن يصاحب في أقواله وأفعاله؛ بل حتى في أفكاره وتصوراته، فعن أبي هريرة س قال: قال رسول الله ع: **(الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)**[4].

٤) **التربية الفاسدة:** فالتنشئة الأسرية والمجتمعية غير الصحيحة تقود لدناءة الأخلاق وسوء الطباع، ومنها الفحش والبذاءة.

آثار البذاءة:

إنَّ للبذاءة آثار على البذيء في دينه ودنياه وآخرته، ومن ابرز ذلك مايلي:

١) **نقص الإيمان:** فليست من صفات المؤمن أن يكون بذيء اللسان؛ لأنه لا يستقيم إيمانه إلا باستقامة لسانه، فعن عبد الله بن مسعود س قال: قال رسول الله ﷺ: **(ليس المؤمن بالطعَّان ولا اللَّعان ولا الفاحش ولا البذيء)**[5].

---

(١) الموسوعية الفقهية الكويتية ١٨/٢٦٠.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/١٩٨. برقم (١٣٠٧١)، وحسنه الألباني.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/٣٨٦.

(٤) أخرجه أبو داود، برقم(٤٨٣٣)، وحسنه الألباني.

(٥) أخرجه الترمذي، برقم(١٩٧٧)، وصححه الألباني.

٢) **استحقاق العقوبة من الله:** فالفاحش البذيء يستحق عقوبة الله في الدنيا ببغض الناس له، وفي الآخرة بدخول النار، قال النبي ﷺ لمعاذ ابن جبل س: (**ثَكلَتْكَ أمُّكَ، وهَلْ يكُبُّ الناس على مَنَاخِرِهِمْ في جهَنَّمَ الا حَصَائدُ أَلْسنَتِهِمْ**)[١].

٣) **بغض الله للبذيء:** فالله تعالى يبغض كل فاحش بذيء، قال النبي ﷺ: (**وَإِنَّ اللّهَ لَيُبْغضُ الْفَاحشَ الْبَذيءَ**)[٢].

٤) **نبذ الناس له:** لأنَّ بذيء الكلام لا يتورع عن قبيح القول في كل مجلس ومع كل أحد، لذا ينبذه الناس ويجتنبون مجالسته لشرِّه وسو سلوكه، فعن عاشة –رضي الله عنها– أنَّ النبي ﷺ قال: (**إنَّ شرَّ الناس مَن تركَهُ الناس، أو ودَعَهُ الناس، اتّقَاءَ فُحْشهِ**)[٣].

الوسائل المعينة على ترك البذاءة:

إنَّ كلَّ خلق قبيح يمكن للإنسان أن يهذِّب نفسه ويتخلَّص منه باتباع الوسائل المعينة على ذلك، وإنَّ من أبرز ما يعين على التخلص من البذاءة مايلي:

١) **الإمساك عن الكلام فيما لا يعني:** فإنَّ استطاع الإنسان التحكم في نفسه فلم يتكلم إلا فيما يعنيه فقد ملك زمام نفسه، وحسن إسلامه؛ لقول النبي ﷺ: (**إِنَّ مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ**)[٤]

٢) **لزوم الصمت عمَّا لا ينفع:** فإنَّ طول الصمت، وقلَّة الكلام من أعظم أسباب السلامة من البذاءة والفحش؛ لأنَّ الإنسان محاسب عن كل ما ينطق به لسانه، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ الإسراء: ٣٦.

٣) **استبدال الكلام الحسن الجميل بالفاحش القبيح:** فيتخير المسلم من العبارات أفضلها، ويستبدل السبَّ والشتم بالدعاء، واللعن بطلب الهداية، والسخرية من الناس بالاستغفار وذكر الله...وهكذا، فقد أرشد النبي ﷺ من استرشده إلى كثرة ذكر الله فقال: (**لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ**)[٥].

النموذج الثالث: الكسل

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، برقم (٢٢١١٦)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه الترمذي، برقم (٢٠٠٢)، وقال حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه البخاري، برقم (٥٧٠٧).

(٤) أخرجه ابن حبان، برقم (٢٢٩).

(٥) أخرجه ابن حبان، برقم (٨١٤).

الكسل: التثاقل والتراخي عما ينبغي مع القدرة علي القيام به [1].

وقد كان النبي ﷺ في دعائه يستعيذ بالله من الكسل فيقول: (**اللهم إني أعوذ بك من الهمِّ والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وضلع الدين وغلبة الرجال**)[2].

والكسل مقترن بالعجز في أكثر أحواله، قال ابن القيم :: "العجز والكسل قرينان، وهما من أسباب الألم؛ لأنَّهما يستلزمان فوات المحبوب، فالعجز يستلزم عدم القدرة، والكسل يستلزم عدم إرادته، فتتألم الروح لفواته بحسب تعلقها به والتذاذها بإدراكه لو حصل"[3]. فكل ما فات النفس من أمر ترغبه فقد حصل لها ألم ذلك الفوات.

والنبيﷺ يبين حال من صلى الصبح ومن لم يصلِ بقوله: (**يَعقِدُ الشَّيطَانُ على قافِيَةِ رَأسِ أحَدِكُمْ إذا هو نامَ ثلَاثَ عُقدٍ، يَضرِبُ كلَّ عُقدَةٍ عَلَيكَ لَيلٌ طويلٌ فَارقُدْ، فإنْ استَيْقَظَ فذكر اللّهَ انحَلَّتْ عُقدَةٌ، فإنْ توَضَّأَ انحَلَّتْ عُقدَةٌ، فإنْ صلى انحَلَّتْ عُقدَةٌ، فَأَصبَحَ نشِيطًا، طيِّبَ النَّفسِ، وإلَّا أَصبَحَ خبِيثَ النَّفسِ كَسلَانَ**)[4].

أقسام الكسل:

ينقسم الكسل بحسب متعلَّقه إلى قسمين:

الأول: الكسل عن أمور الدين: وهذا أخطر قسمي الكسل، لأنَّ ضرره يمتد إلى الآخرة، وهو على نوعين:

١) **الكسل الدائم في كل الأوقات وعن جميع الطاعات**: وهذا حال المنافقين الذين قال الله عنهم: ﴿**إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ النساء: ١٤٢، وهنا لفتة مهمة وهي: أنَّ المنافقين لم يتركوا الصلاة، وإنَّما أدَّوها بكسل فذمَّهم الله، فما حال من لم يؤدِّها ؟!.

٢) **الكسل العارض**: وهو فتور عن بعض الطاعات في بعض الأحايين، دون كره لها، ويحصل هذا مع نقص الإيمان، حيث أنَّ الإيمان يزيد وينقص، فإن زاد ازداد المسلم نشاطا للعبادة وإقبالا على الطاعة، وإن نقص تقاصر عن بعضها، والواجب عليه تفقُّد إيمانه ومعاودة نشاطه وإلا هلك، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص > أنَّ النبي ﷺ قال: (**لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةٌ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى**

---

(١) انظر فيض القدير للمناوي ١٢٢/٢.

(٢) أخرجه مسلم، برقم (٢٧٠٦).

(٣) بدائع الفوائد (٤٣٣/٢).

(٤) أخرجه البخاري، برقم (١٠٩١).

سُنَّتِي، فَقَدْ أَفْلَحَ، وَمَنْ كَانَتْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ)[1]. وقال ابن القيم: "إنَّ إضاعة الوقت الصحيح يدعو إلى درك النقيصة؛ إذ صاحب حفظه مترقٍّ على درجات الكمال، فإذا أضاعه لم يقف موضعه؛ بل ينزل إلى درجات من النقص، فإنْ لم يكن في تقدم فهو متأخر ولا بد، فالعبد سائر لا واقف، فإمَّا إلى فوق وإما إلى أسفل، إمَّا إلى أمام وإمَّا إلى وراء، وليس في الطبيعة ولا في الشريعة وقوف ألبتة، ما هو إلا مراحل تُطوى أسرع طيٍّ إلى الجنة أو إلى النار، فمسرع ومبطىء، ومتقدم ومتأخر، وليس في الطريق واقف ألبتة، وإنَّما يتخالفون فى جهة المسير وفي السرعة والبطء، ﴿**إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾**﴾ المدثر: ٣٥ - ٣٧ ، ولم يذكر واقفا، إذ لا منزل بين الجنة والنار، ولا طريق لسالك إلى غير الدارين ألبتة، فمن لم يتقدم إلى هذه الآعمال الصالحة فهو متأخر إلى تلك بالأعمال السيئة.

فإن قلت: كل مُجدٍّ في طلب شيء لا بد أن يَعرض له وقفةٌ وفتورٌ ثم ينهض إلى طلبه. قلت: لابد من ذلك؛ ولكنَّ صاحب الوقفة له حالان: إمَّا أن يقف ليُجم نفسه ويُعدَّها للسير، فهذا وقفته سير، ولا تضره الوقفة، فإنَّ لكل عمل شِرَّة ولكل شِرَّة فترة. وإمَّا أن يقف لداعٍ دعاه من ورائه وجاذبٍ جذبه من خلفه فإن أجابه أخَّره ولابد، فإنْ تداركه الله برحمته وأطلعه على سبق الركب له وعلى تأخره نهض نهضة الغضبان الآسف على الانقطاع، ووثب وجمز واشتد سعيا ليلحق الركب، وإنْ استمرَّ مع داعي التأخر وأصغى إليه لم يرض برده إلى حالته الأولى من الغفلة وإجابة داعي الهوى حتى يردَّه إلى أسوأ منها وأنزل دركا، وهو بمنزلة النكسة الشديدة عُقيب الإبلال من المرض، فإنَّها أخطر منه وأصعب"[2].

الثاني: الكسل عن أعمال الدنيا: فإنَّ الإنسان محتاج في دنياه للسعي وكسب الرزق وإعفاف نفسه والقيام بما حمَّله الله تعالى من مسؤوليات، فعن أبي وهب الجشمي> قال: قال رسول الله ﷺ: **(تسمَّوا بأسماء الأنبياء، وأحبُّ الأسماء إلى الله: عبدالله وعبدالرحمن، وأصدقها: حارث، وهمام، وأقبحها: حرب، ومرة)**[3]. فبيَّن ﷺ أنَّ أصدق الأسماء البشرية: حارث وهمام، لأنَّها تدلُّ على حقيقة الإنسان، فالحارث: الكاسب، والهمام: المريد، فالإنسان السويُّ يسعى داما للكسب بطيعه، وهمته لا تتوقف عن إرادة ذلك والسعي إليه، ومن خالف ذلك فقد خالف طبيعته البشرية.

أبرز أسباب الكسل:

---

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم(٦٩٥٨)، وصحح إسناده الأرناؤط.

(٢) مدارج السالكين(١/٢٦٧).

(٣) أخرجه ابو يعلى، برقم(٧١٦٩)، وصححه الألباني في الصحيحة برقم(١٠٤٠).

١) **ضعف الإيمان والغفلة عن الآخرة:** فإنَّ الإنسان متى ضعف إيمانه وغفل عن الآخرة لم يبالي بفوات الطاعات وهذا ما دفع المنافقين للتكاسل حال أداء الصلاة مع النبي ﷺ.

٢) **التسويف:** وهو تأخير الامتثال والقيام بالواجبات، والمسوِّف ينتقل من أمنية إلى أخرى دون أن ينجز شيئا من عمل دين أو دنيا، فيقضي عمره يُمَنِّي نفسه بغدٍ، ويقول: غداً سأفعل، غداً سأفعل، فتمرُّ الأوقات دون أن يحرك ساكناً.

٣) **طول السهر:** فإنَّ الله تعالى فطر النفس البشرية على اليقظة نهارا والنوم ليلا، فإن عارض الفطرة بالسهر أرهق جسده وتمكن منه الخمول والكسل، فلا يستطيع القيام بمسؤولياته على الوجه الصحيح أبدا، وقد كان النبي ﷺ يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها[1] لأجل ذلك.

أبرز آثار الكسل:

إنَّ الكسل يدخل على اللإنسان أنواعا من المفاسد والمضار التي من أبرزها:

١) **القعود عن الطاعات:** لأنَّه كلما سنحت له فرصة للقربة والطاعة أقعده عنها كسله فيفوت عليه خير كثير.

٢) **قسوة القلب،** إذ كلَّما زاد كسله زاد بعده عن الله تعالى، وكلَّما زاد بعده قسا قلبه.

٣) **البرود عن استشعار المسؤولية الدينية والدنيوية:** فإنَّ بعض الناس أفضى بهم الكسل إلى عدم استشعار مسؤوليتهم عن صلاح أنفسهم واستقامة دينهم، ومنهم من أهمل أمور دنياهم فلم يقوموا بما يجب عليهم، ومنهم من جمع تضييع المسؤوليتين كليهما، فلا دينهم أقاموا ولا دنياهم أصلحوا.

٤) **كثرة الكلام وقلة العمل:** فمن استحكم عليه الكسل جنح إلى نقد العاملين المبادرين، كما فعل المنافقون إذ تكاسلوا عن الخروج مع النبي ﷺ إلى غزوة تبوك، ثم أخذوا في انتقاد الصحابة الذين خرجوا للغزوة، والاعتراض على توقيت الغزوة الذي اختاره النبي ﷺ للخروج فيها، فقال الله تعالى عنهم: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ التوبة: ٨١ - ٨٢

٥) **التسويف وتضييع الأوقات في غير نفع،** فالكسول يسوف لنفسه دائما، فلا ينجز أعماله، ولا يقوم بمسؤلياته، فتمرُّ الأيام والسنون دون إنجاز يذكر، فلا يزال في واقفا في مكانه لم يتقدم؛ بل يبادر للتهرب من كل مسؤولية يكلَّف بها.

---

(١) أخرجه البخاري برقم(٥٦٨).

٦) **البطالة:** فإنَّ الحياة في الرغد والترف والنعيم يقتل الحماس للعمل والرغبة فيه، ويبذر بذور الكسل والخمول في النفوس المترفة، حتى تستثقل قضاء حاجاتها بنفسها. قال ابن القيم :: "العلم والعمل توأمان أُمُّهما عُلو الهمة، والجَهل والبطالة توأمان أُمُّهما إيثار الكسل"(١).

الوسائل المعينة على السلامة من الكسل:

١) **اللجوء إلى الله والاستعاذة من الكسل:** كما كان النبيﷺ يُكثر في دعائه يقول: (**اللهم إني أعُوذُ بكَ من العَجْزِ وَالكَسَلِ...**).

٢) **المحافظة على صلاة الفجر في وقتها كما أمر الله تعالى،** ففي الحديث: (يَعقِدُ الشَّيطَانُ على قافِيَةِ رَأسِ أحَدِكُمْ إذا هو نامَ ثلَاثَ عُقدٍ، يَضرِبُ كلَّ عُقدَةٍ: عَلَيكَ لَيلٌ طوِيلٌ فَارقُدْ، فإنْ استَيْقَظَ فذكر اللّهَ انحَلَّتْ عُقدَةٌ، فإنْ توَضَّأَ انحَلَّتْ عُقدَةٌ، فإنْ صلى انحَلَّتْ عُقدَةٌ، فَأَصبَحَ نشِيطًا طيِّبَ النَّفسِ، وإلَّا أَصبَحَ خبِيثَ النَّفسِ كَسلَانَ)(٢).

٣) **مجالسة أصحاب الهمم العالية:** فهذه من أبرز الدوافع للجد وترك الكسل؛ لأنَّ الإنسان يتأثر بمن حوله، فإن جالس الجادين جَدَّ واجتهد، وإن جالس الكسالى كَسِل وتهاون.

٤) **النظر في سير الجادين قديماً وحديثاً:** فكلَّما سمعنا عن همم من كانوا قبلنا، ومن يعيشون بيننا، علمنا أنَّ النعيم لا يُدرك بالنعيم، وأنَّ الهمة وراء كل نجاح، والنجاح الحقيقي مايبقى أثره ويمتد نفعه، ولا يبقى إلا ما كان لله، كما قال الإمام مالك بن أنس: (ما كان لله بقي)(٣).

٥) **البدء بالعمل مع الإصرار والعزيمة،** فإنَّ النفس على ما يُعوِّدها صاحبها، فإن عوَّدها الخمول والكسل وحبُّ الراحة والدعة استرخت، وإن عوَّدها الجدَّ والنشاط وتحمُّل المسؤولية والالتزام بالمهام الصعبة صارت قوية جاة مغواره، فإنَّ دواء النفس إلزامها بالأعمال والصبر على ذلك وإن نفرت منها باديء الأمر، فإنَّها مع الإلزام تتروَّض شيئا فشيئا حتى تعتاده، قال ابن القيم: "من أدلج في غياهب الليل على نجائب الصبر صبَّحَ منزل السرور، ومن نام على فراش الكسل أصبح ملقى بوادي الأسف، الجدُّ كلُّه حركة والكسل كلُّه سكون"(٤).

---

(١) بدائع الفوائد(٤/٣٢٤).

(٢) أخرجه البخاري، برقم (١٠٩١).

(٣) ذكرها السيوطي في كتابه تدريب الراوي(ص٨٩).

(٤) بدائع الفوائد(٣/٧٤٤).

النموذج الرابع: التشاؤم

التشاؤم لغة: ضد التفاؤل، وهو مأخوذ من الشؤم والتطير، فتقول: رجل مشؤم على قوم، أي: جرَّ الشؤم عليهم.

واصطلاحاً: خلق يقوم على توقُّع الشرِّ مما يراه الإنسان أو يسمعة من الألفاظ والصور وغيرها.

والتشأوم خلق جاهلي مأخوذ من الشؤم، فقد فكانت العرب في الجاهلية تتشاءم من أشياء مرئية وأشياء مسموعة، أو أزمنة معينة، أو أمكنة معينة، فربَّما تشاءموا بصوت البوم والغراب من المسموعات، أو تشاءموا برؤية الأعور من المرئيات أو المجذوم ونحو ذلك؛ كأن يذهب أحدهم ليفتح دكانه في الصباح، فيجد في طريقه شخصاً أعور، فيتشاءم به، فيعود ولا يفتح المحل.

ومثله التشاؤم بالأمكنة، أو الأزمنة، فقد كانوا يتشاءمون بيوم الأربعاء، وبشهر صفر، وكذلك يتشاءمون بشهر شوال فلا يعقدون فيه النكاح، ويقولون: الزواج في شوال شرٌّ، ولذلك ورد عن الصحابة مخالفتهم، فكانت عائشة -رضي الله عنها- إذا جهَّزت امرأة من قريباتها للزواج تجعل العرس في شوال نكاية في اعتقاد أهل الجاهلية، وقالت عائشة -رضي الله عنها-: (عقد عليَّ رسول الله ﷺ في شوال، وبنى بي في شوال، فأيكن كانت أحظى عنده؟)[1]. أي: لو كان شوال شراً ما كنت أنا بهذه المنزلة، ولا كان الزواج المبارك هذا.

ولم ينقطع التشاؤم من الناس بل منهم الآن من يتشاءمون بالرقم (١٣) وهذا موجود عند الغربيين، على تقدمهم التكنولوجي وتطورهم المادي، فبعض شركات الطيران العالمية لا ترقِّم المقاعد بالرقم(١٣)، وكذلك أرقام المصاعد في ناطحات السحاب لا ترقَّم بذاك الرقم.

بل حتى عند بعض المسلمين اليوم فإنَّهم يتشاءمون برؤية صورة الشخص القبيح، وحوادث السيارات، وموت الأشخاص أو مرضهم، فيجعلونها أمارة على شؤم ما أرادوا الإقدام على فعله.

الفرق بين التشاؤم والتفاؤل:

يمكن التفريق بين التشاؤم والتفاؤل بما يلي:

١) التشاؤم توقُّع الشرِّ، أمَّا التفاؤل فهو توقُّع للخير.

٢) التشاؤم يتضمن سو الظن بالله فيما يقدِّر على العبد، أمَّا التفاؤل ففيه إحسان ظنٍّ به سبحانه، وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: **(أنا عند ظنِّ عبدي بي)**[2] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم(١٤٢٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٧٤٠٥) ومسلم، برقم(٢٦٧٥).

٣) التشاؤم شرك ممنوع، والتفاؤل خلق مشروع، فعن عبد الله بن مسعود > عن رسول الله ﷺ قال: **(الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منَّا إلاَّ، ولكن الله يُذهبه بالتوكل)**[١] .

"وأصل الفأل: الكلمة الحسنة، يسمعها عليل فيتأول منها ما يدلُّ على بُرئِه، كأن سمع مناديا نادى رجلا اسمه سالم، وهو عليل، فأوهمه سلامته من علته، وكذالك المضِلُّ يسمع رجلا يقول: يا واجد، فيجد ضالته، والطيرة مضادة للفأل، وكانت العرب مذهبها في الفأل والطيرة واحد، فأثبت النبي ﷺ الفأل واستحسنه، وأبطل الطيرة ونهى عنها"[٢].

خطر التشاؤم على العقيدة:

إنَّ كل إنسان يعرض له التشاؤم؛ فإن دفعه بحسن ظنِّه بربه ويقينه بقضاء وقدره لم يضرُّه، وإن بنى عليه عملا فردَّه عن مقصده أوقعه ذلك في المحضور، قال ابن القيم: "التطير: هو التشاؤم من الشيء المرئي أو المسموع، فإذا استعملها الإنسان فرجع بها من سفره وامتنع بها مما عزم عليه فقد قرع باب الشرك؛ بل ولجه وبرىء من التوكل على الله، وفتح على نفسه باب الخوف والتعلق بغير الله، والتطير مما يراه أو يسمعه، وذلك قاطع له عن مقام ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ ، و﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾، و﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝٨٨﴾، فيصير قلبه متعلَّقا بغير الله عبادة وتوكلا؛ فيفسد عليه قلبه وإيمانه وحاله، ويبقى هدفا لسهام الطيرة، ويُساق إليه من كل أوب، ويُقيِّض له الشيطان من ذلك مايفسد عليه دينه ودنياه، وكم هلك بذلك وخسر الدنيا والآخرة؟! فأين هذا من الفأل الصالح السارِّ للقلوب، المؤيد للآمال، الفاتح باب الرجاء، المسكِّن للخوف، الرابط للجأش، الباعث على الاستعانة بالله والتوكل عليه، والاستبشار المقوي لأمله، السارِّ لنفسه، فهذا ضدُّ الطيرة، فالفأل يفضي بصاحبه إلى الطاعة والتوحيد، والطيرة تفضي بصاحبها إلى المعصية والشرك، فلهذا استحب ﷺ الفأل وأبطل الطيرة"[٣].

أسباب التشاؤم:

١) **ضعف الإيمان واليقين بقضاء الله وقدره:** فلو رضي بقضاء الله وقدره، واعتقد أن كل ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، لزال عنه التشاؤم.

٢) **سو الظن بالله تعالى وقضاه وقدره.**

٣) **تعلق القلب بغير الله محبة وخوفا ورجاء.**

---

(١) أخرجه أبو داود، برقم(٣٩١٠).

(٢) تاج العروس(١٢/٤٥٤)

(٣) مفتاح دار السعادة ٢/٢٤٧،٢٤٦

٤) **الجهل وضعف العقل:** فالجهل داء كله، فلا تجد عالماً متشائماً أبدا؛ لأنَّ العالم بالله يعتقد أنَّ كل شيء بقدر الله، والعلم نقاء للعقل، فيجعله يزن الأمور بميزانها الصحيح.

الشخصية المتشائمة:

إذا غلب التشاؤم على الإنسان فإنَّه يوصف بالشخصية المتشائمة، وهي: الشخصية ذات النزعة الذهنية التي تدفع لرؤية الجانب السلبي والوجه القاتم من الحياة. فلا يرى صاحبها إلا السوء والمرض والشقاء والفقر والخسارة والفشل...إلخ.

ومن أبرز سمات هذه الشخصية أربع سمات هي: الخمول الدائم وضعف النشاط، التهرب من تطوير علاقاته مع الناس، وكثرة التذمُّر من كل شيء وفي كل حال مهما كانت صغيرة ويسيرة، والعزلة في أكثر أوقاته، لعدم ثقته في الناس.

علاج التشاؤم:

لا شك أنَّ الحياة لا تصفو أبداً، فالله خلق الإنسان في كبد، فهو يتقلَّب من حال إلى حال، فلابد أن يعتريه الهمُّ والكدر، وغيرها من منغصات الحياة، فما كل ما يريده الإنسان يتحقق، يقول المتنبي:

ما كلُّ ما يَتمنّى المرءُ يُدْركهُ تَجري الرياحُ بما لا تشتهي السُفنُ

فمن ابتلي بهذا الداء فعليه بما يلي:

١. **حُسن الظن بالله:** فكلَّما قوي إيمان العبد وحسن ظنُّه بربه زال عنه كل داء، ومنه التشاؤم.
٢. **التوكل على الله:** فمن توكل على الله كفاه ووقاه وعافاه وهداه، وقد قال ﷺ: **(ولكنَّ الله يُذهبه بالتوكل)**.
٣. **المضي فيما كان ينوي القيام به،** فهذا أقوى علاج للخواطر التشاؤمية.
٤. **الدعاء بكفارة التشاؤم،** فعن عبدالله بن عمرو م قال: قال رسول الله ع: **(مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ مِنْ حَاجَةٍ، فَقَدْ أَشْرَكَ)**، قالوا: يارسول الله، وما كفارة ذلك؟ قال: **(أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ: اللهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ)**[1] .
٥. **إحياء التفاؤل في النفس وتعويدها عليه،** مع التغافل عن التشاؤم وعدم الالتفات لخطراته.

آثار التشاؤم:

(١) أخرجه أحمد في المسند، برقم(٧٠٤٥)، وحسَّنه الأرناؤوط.

١. الوقوع في الشرك: فإنَّ التشاؤم ناتج عن خلل في إيمان العبد بالقضاء والقدر، لأنَّه يتضمَّن إقرارا بوجود مؤثر في الكون مع الله تعالى.
٢. النفرة من الناس، فالمتشام ينفر من الناس، ويشكُّ في كل من يتعامل معه أو يقابله.
٣. القلق والاضطراب والخوف الدائم، لأنَّه يتوقع السوء والمكروه في كل أحواله.
٤. يؤدي بالمتشائم للوسوسة، فما يرى شيئا أو يسمعه إلا ويتوقع أن يصيبه البلاء والشرَّ، فيفتح على نفسه باباً يفسد عليه نفسه ويُنغِّص حياته.
٥. يدفع إلى العزلة عن الناس، وهذا قد يؤدي به إلى الإصابة ببعض الأمراض النفسية التي تحتاج إلى وقت طويل لعلاجها.

النموذج الخامس: الحسد

الحسد: تمني زوال النعمة عن المنعم عليه[1].

فالحاسد لا يقبل أن يرى محسوده في نعمة، فيتمنى أن تزول عنه، حتى وإن لم يحصل له مثلها.

وقد أمر الله تعالى نبيه ع بالاستعاذة من شرِّ الحاسد في قوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ الفلق: ١ – ٥،

نهى النبيﷺ عنه فقال: (**لا تَبَاغَضوا، ولا تَحَاسَدوا، ولا تَدَابَروا، وَكونُوا عبَادَ اللّهِ إخْوَانًا، ولا يَحلُّ لِمسْلِمٍ أنْ يَهْجرَ أخَاهُ فَوقَ ثلَاثَةِ أيَّامٍ**)[2].

الفرق بين الحسد والغبطة والمنافسة:

الحسد كما أسلفنا: تمني زوال النعمة حتى وإن لم يكن له مثلها، أمَّا الغبطة: فهي أن يتمنى أن يكون له مثل نعمة غيره دون زوالها عنه، قال النبي ﷺ: (**لا حسَدَ إلا في اثْنتَيْنِ: رجُلٌ آتاهُ الله مالًا فسَلَّطَهُ على هلَكَتِهِ في الْحقِّ، ورَجُلٌ آتاهُ الله حِكْمةً فهُوَ يقْضِي بها ويُعَلِّمُهَا**)[3]، وقد فسَّر النووي الحسد في هذا الحديث بقوله: "هو أن يتمنى مثل النعمة التي على غيره من غير زوالها عن صاحبها"[4].

وأمَّا المنافسة فهي: المشقة من أجل الفوز دون تمني زوال النعم، وقد حث الله عليها في القرآن فقال: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ۝٢٦﴾ المطففين: ٢٦.

أسباب الحسد:

١. **العداوة والبغضاء:** وهي من أشد أسباب الحسد، فمن كره إنساناً لأي سبب كان، امتلأ قلبه عليه حقدا، فيحسده على ما أتاه الله، ويتربص به ليوقعه في كل مكروه.
٢. **التعالي والتكبر:** وهو أن يجد في نفسه تكبُّراً على من زاد عنه في علم أو منصب أو مال، فيدبُّ الحسد إلى نفسه بسبب ذلك.
٣. **الخوف على فوات المقصود:** وهو أن يتنافس مجموعة على أمرٍ واحد، فلابد أن يكون ذلك الأمر لشخص واحد منهم، عندها قد يقع الحسد لمن نال ذلك الأمر بسبب سبقه لهم.
٤. **خبث النفس، وكرهها الخيرَ للناس:** وهذا هو الداء العضال، فإنَّ هناك أنفسا خبيثة، همها تتبع نعم الله على الناس وكراهتها لهم وتمنى زوالها عنهم.

---

(١) عمدة القارئ للعيني ٢/٥٧.

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٥٧١٨).

(٣) أخرجه مسلم، برقم (٨١٦).

(٤) شرح النووي(٦/٩٧).

الوسائل المعينة على ترك الحسد:

١) **القناعة بما أعطاه الله من الخير:** فإنَّ الغنى الحقيقي هو القناعة بما منحه الله تعالى، فعن أبي هريرة أنَّ النبي ﷺ قال: (**اتَّق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا، وأحبَّ للناس ما تُحبُّ لنفسك تكن مسلما، ولا تكثر الضحك، فإنَّ كثرة الضحك تميت القلب**)[١] .

٢) **الرضا بقضاء الله وقدره:** وليعلم الحاسد أنه بحسده قد ارتكب جنايتين: الأولى: الحسد، والثانية: الاعتراض على حكم الله في تقسيم رزقه، قال تعالى: ﴿ **أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** ﴿٣٢﴾ ﴾ الزخرف: ٣٢.

٣) **غضُّ البصر عمَّا في أيدي الناس:** فيُعود الإنسان نفسه عدم النظر إلى ما في أيدي الناس عملا بقول الله تعالى: ﴿ **وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ** ﴿١٣١﴾ ﴾ طه: ١٣١.

٤) **الدعاء بالبركة لصاحب النعمة:** فلا دواء للحسد أنجع ولا أنفع من الدعاء للمحسود بالبركة، لأنَّ ذلك يكبت الشيطان ويطفيء نار الحسد في القلب.

٥) **اليقين بأن الحسد إول ما يضر الحاسد،** فقد قيل: ما أعدل الحسد بدأ بصاحبه فقتله.

الوسائل الوقائية من حسد الحاسدين:

١) **تقوى الله تعالى:** فمن اتقى الله حفظه ووقاه، فقد قال النبي ﷺ: (**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك**)[٢] .

٢) **التوكل على الله:** قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** ﴾ الطلاق: ٣، وليعلم أنَّ التوكُّل لا ينافي الأخذ بالأسباب، فيتحصن بالأذكار المشروعة، ويستعيذ بالله من شرِّ الحاسدين مع التوكل على الله تعالى.

٣) **تحقيق التوحيد في النفس:** وذلك بأن يعلم أن مسبب الأسباب هو الله وحده، وأن الحاسد لا يضر ولا ينفع إلا بإذن الله، قال تعالى: ﴿ **وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴿١٧﴾ ﴾ الأنعام: ١٧.

---

(١) أخرجه الترمذي، برقم(٢٣٠٥)، وحسَّنه الألباني.

(٢) أخرجه الترمذي، برقم(٢٥١٦)، وصححه الألباني.

٤) **الاستعاذة بالله من شرِّ الحاسدين:** لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ الفلق: ١ - ٥.

٥) **الإحسان إلى الحاسد،** فإنَّ الإحسان إليه يطفيء نار الحسد في قلبه، فتسلم بإذن الله من أ

النموذج السادس: الغفلة

الغفلة: السهو، وهي سهوٌ يعتري الإنسان من قلة التحفظ والتيقظ[1].

إنَّه من أخطر الأمراض المعنوية التي تصيب قلب الإنسان: مرض الغفلة، فقد يعتري الإنسان غفلة عمَّا يجب الحرص على تذكره، كغفلة كثير من الناس عن اليوم الآخر، قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ۝١﴾ الأنبياء: ١.

الفرق بين الغفلة والنسيان:

الغفلة تكون باختيار الإنسان، فيغفل عن أشياء لا يجب الغفلة عنها، وقد يتذكرها ثم يتناساها عمداً، أمَّا النسيان فلا يكون بقصد منه؛ لأنَّه حين يُنبَّه يعود عن نسيانه، فالغافل يُعنَّف بغفلته، كما في قوله: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ۝٢٠٥﴾ الأعراف: ٢٠٥، ولم يقل من الناسين؛ لأنَّ النسيان لا يُؤاخذ عليه الإنسان، يقول النبيﷺ: (**إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**)[2].

وأمَّا الغفلة المحمودة: فهي الغفلة عن القبائح، وقد جاء هذا النوع من الغفلة المحمودة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٢٣﴾ النور: ٢٣، قال البغوي :: "والغافلة عن الفاحشة التي لا يقع في قلبها فعل الفاحشة".[3]. ويقول النبي ﷺ: (**إِنَّ اللهَ لأَ ليعجَبُ من الشَّابِّ ليسَتْ له صبوةٌ**)[4]، قال المناوي: "(**ليست له صبوة**) أي: ميل إلى الهوى بحسن اعتياده للخير وقوة عزيمته في البعد عن الشر"[5].

والغفلة تحرم إجابة الدعوة: قال النبيﷺ: (**الْقلُوبُ أوْعِيَةٌ، وبَعْضُهَا أوْعَى من بعْضٍ، فإذا سأَلْتُمُ اللّهَ لأَ أيُّهَا الناس فاسْأَلُوهُ وأَنْتُمْ موقِنُونَ بِالإِجابَةِ؛ فإنَّ اللّهَ لاَ يسْتَجِيبُ لِعبْدٍ دعَاهُ عن ظهْرِ قلْبٍ غافِلٍ**)[6].

أسباب الغفلة:

إنَّ لغفلة القلب عمَّا يجب التيقض له أسباب من أبرزها مايلي:

---

(١) المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم ٣٦٢.

(٢) أخرجه ابن حبان، برقم (٧٢١٩).

(٣) تفسير البغوي(٣/٣٣٤).

(٤) أخرجه أحمد في المسند، برقم (١٧٤٠٩)، وصححه الألباني.

(٥) فيض القدير(٢/٢٦٣).

(٦) أخرجه أحمد في المسند، برقم (٦٦٥٥). وقال الألباني: إسناده حسن.

١) **الجهل بالله تعالى:** فأيُّ غفلة أشد من غفلة من لا يعرف ربه، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ ﴾الزمر: ٩.

٢) **كثرة المعاصي والذنوب:** فمن أكثر من المعاصي أصبح قلبه غافلاً لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً، قال تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾المطففين: ١٤.

٣) **صحبة الغافلين:** فمن جالس الغافلين غفل، ثم يندم، يقول الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾الفرقان: ٢٧ – ٢٨.

٤) **ترك صلاة الجمعة:** لأنَّ الجمعة فيها الخطبة، ويكون فيها تعريض القلوب للموعظة والترغيب والترهيب فينتبه، يقول النبيﷺ: (**لَيَنْتَهِيَنَّ أَقوَامٌ عن وَدْعِهِمْ الْجمُعَاتِ أو لَيَخْتمَنَّ الله على قلُوبِهِمْ ثمَّ لَيَكونُنَّ من الْغَافِلِينَ**)[١].

٥) **طول الأمل:** فمن نسي الموت، وأطلق للأمل العنان، فسيكون من الغافلين، قال تعالى: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾الحجر: ٣.

٦) **كثرة الضحك:** وقد انتشر والضحك وكثرت وسائله، حتى أصبح بعض الناس يبحث عنه في كل مكان، بمناسبة أو بغيرمناسبة، مما أدى إلى موت القلب وتحكُّم الغفلة، قال النبي ﷺ في وصيته لأبي هريرة: (**ولا تكثر الضحك فإنَّ كثرة الضحك تميت القلب**)[٢]. يقول النبيﷺ: (**لو تعْلَمُونَ ما أعْلَمُ لبَكَيْتُمْ كثِيرًا ولَضَحِكْتُمْ قلِيلًا**)[٣].

٧) **كثرة الكلام في غير ذكر الله:** يقول النبيﷺ: (**لا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بغَيْرِ ذِكْرِ اللّهِ، فإنَّ كثْرَةَ الْكَلَامِ بغَيْرِ ذِكْرِ اللّهِ قسْوَةٌ للْقَلْبِ، وَإنَّ أبْعَدَ الناس من اللّهِ الْقلْبُ القاسى**)[٤].

علاج الغفلة:

غفلة القلب داء عضال، يؤدِّي بالإنسان للمهلكة، فيخسر الدنيا والآخرة، ﴿ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ الزمر: ١٥، وإنَّ من أبرز طرق النجاة من الغفلة مايلي:

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٨٦٥).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم، برقم (٩٠١).

(٤) أخرجه الترمذي، برقم (٢٤١١)، وقال: حديث حسن غريب.

١) **العلم**: والمراد به معرفة العبد لربه وأسماه وصفاته ومعانيها، ومعرفة النبي ﷺ وسنته، ومعرفة الإسلام وشراعه، فمن عرف أصول دينه بالأدلة الشرعية زالت عنه الغفلة، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ ﴾الزمر: ٩.

٢) **كثرة ذكر الله تعالى**: بالتسبيح والتهليل والتكبير والتحميد، والمحافظة على أذكار المناسبات، كأذكار الصباح والمسا، والدخول والخروج...إلخ، فإنَّ الذاكر لربه سيذكره الله ويُذكِّره، قال تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾البقرة: ١٥٢.

٣) **حضور مجالس الذكر**: وهي مما يدفع الغفلة عن الإنسان، فقد خرَجَ رسول الله ﷺ على حَلقَةٍ من أَصحَابِهِ فقال: (**ما أَجلَسَكُمْ**) قالوا: جلسنا نَذكُرُ الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومَنَّ به علينا، قال: (**آللّهِ ما أَجلَسَكُمْ إلا ذاكَ؟**) قالوا: والله ما أَجلَسَنَا إلا ذاكَ. قال: (**أَمَا إنِّي لم أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمةً لكُمْ، ولَكِنَّهُ أَتَانِي جبْرِيلُ فأَخْبَرَنِي أنَّ اللّهَ لأ يُباهِي بِكمْ الْملاَئِكَةَ**)[1].

٤) **قرآءة القرآن الكريم**: القرآن هو أعظم علاج للنفس من كل أدوائها، ومن ذلك الغفلة، قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾الإسراء: ٨٢، فينبغي للمسلم أن يجعل له وردا من القرآن يقرؤه كل يوم ولو قلَّ، فإنَّه سيجد أثر ذلك في رقَّة قلبه.

٥) **التوبة والاستغفار**: فإنَّ فيهما تجديد للعهد مع الله، وإحياء للقلوب من غفلتها، وإنَّ باب التوبة مفتوح، والله تعالى يفرح بتوبة عبده إذا تاب ورجع إليه، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾الزمر: ٥٣، وقال: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾طه: ٨٢، وقال: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾الحجر: ٤٩.

٦) **الدعاء وسؤال الله تعالى صلاح القلب**: فالدعاء سلاح المؤمن، وهو مما يستعين به العبد في النجاة من كل مايخاف الهلاك بسببه، لذلك فإنَّ من أراد أن يعصمه الله من الغفلة فعليه بالدعاء، فقد قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ البقرة: ١٨٦.

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢٧٠١).

القسم الثالث

الآداب الإسلامية:

الوحدة الأولى: الآداب الإسلامية العليا.

الوحدة الثانية: آداب النفس.

تمهيد:

تعريف الآداب الإسلامية

الأَدَب لغة: اسم مأخوذ من مادَّة (أَدْب) التي تدلُّ على معنى تجميع النَّاس إلى الطعام، والآدِب هو الدّاعي لذلك، ومن هذا القياس أيضا الأدَب؛ لأنّه مجمع على استحسانه.

وقال ابن منظور: سمِّي أدبا لأنّه يأدُب النّاسَ إلى المحامد وينهاهم عن المقابح. وقال أيضا: وأصل الأدب الدُّعاء، ومنه قيل للصّنيع يُدعى إليه النّاس: مدعاة ومأدبة[1].

والأدب اصطلاحا: رياضة النُّفوس ومحاسن الأخلاق، ويقع على كلِّ رياضة محمودة يتخرَّج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل[2]. وقيل: هو عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ.

وقال ابن القيم ﵀: "حقيقة الأدب: استعمال الخُلُق الجميل؛ ولهذا كان الأدب استخراجا لما في الطبيعة من الكمال من القول إلى الفعل"[3].

---

(١) ينظر: المصباح المنير (١٢)، ولسان العرب (١/٢٠٦)، ومقاييس اللغة (١/٧٤)، ونضرة النعيم(٢/١٤١).

(٢) ينظر: فيض القدير(٣/٥٨).

(٣) تهذيب مدارج السالكين(٤٤٨).

الوحدة الأولى
الآداب الإسلامية العليا

١. **الأدب مع الله.**
٢. **الأدب مع النبي ﷺ.**
٣. **الأدب مع القرآن الكريم.**

الأدب مع الله ﷻ:

إنَّ الله تعالى أحقُّ من يُتأدَّب معه، وحقه سبحانه آكد الحقوق، فهو تعالى أهلُ الثناءِ والمجدِ، وصاحبُ الجبروتِ والملكوتِ والكبرياءِ والعظمةِ، وله الخلقُ والأمرُ، وله الملكُ وله الحمدُ، وله الدنيا والآخرةُ، وله النعمةُ، وله الفضلُ، وله الثناءُ الحسنُ، وله الملكُ كلُّه، وله الحمد كلُّهُ، وبيدهِ الخيرُ كلُّهُ، وإليه يرجعُ الأمرُ كلُّهُ، شملت قدرتُهُ كلَّ شيءٍ، ووسعتْ رحمتُهُ كلَّ شيءٍ، وعمَّت نعمتُهُ كلّ حيٍّ، ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ الرحمن: ٢٩؛ يغفرُ ذنبًا، ويفرِّجُ همًّا، ويكشفُ كربًا، ويجبرُ كسيرًا، ويُغني فقيرًا، ويُعلِّمُ جاهلًا، ويهدي ضالًّا، ويُرشدُ حيرانًا، ويغيث لهفانًا، ويَفُكُّ عانيًا، ويُشبع جائِعًا، ويَكْسُو عاريًا، ويشفي مريضًا، ويُعافي مبتلى، ويقبل تائبًا، ويجزي محسنًا، وينصرُ مظلومًا، ويقصمُ جبَّارًا، ويُقيل عثرَةً، ويسترُ عورةً، ويُؤَمِّن روعةً، ويرفعُ أقوامًا، ويضع آخرين. لن يُطاعَ إلا بفضلهِ ورحمتهِ، ولن يُعصى إلا بعلمهِ وحكمتهِ، يُطاعُ فيَشكرُ، ويُعصَى فيتجاوزُ ويَغْفِرُ، كلُّ نقمةٍ منه عدلٌ، وكلُّ نعمةٍ منه فضلٌ، أقربُ شهيدٍ، وأدنى حفيظٍ، حالَ دون النفوسِ، وأخذَ بالنواصي، ونسَخَ الآثار، وكتبَ الآجالَ، فالقلوبُ له مُفْضِيَةٌ، والسرُّ عنده علانيةٌ، والغيبُ عندَهُ شهادةٌ، عطاؤه كلامٌ، وعذابهُ كلامٌ، ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ يس: ٨٢[1].

والتأدّب مع الخالق جلّ وعلا يكون بأمور؛ مِن أبرزها:

أولا: الإيمان به وتوحيده والحذر من الشرك:

فتوحيدُ الله وإخلاص العبادة له سبحانه وعدم الشرك به هو رأسُ الأمرِ في تعظيمِ اللهِ لأ والتأدُّب معه؛ فهو الأمر الذي مِن أجله خُلق الخلق؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات: ٥٦.

وهو الأمر الذي أرسلت من أجله الرسل وأنزلت لتأكيده الكتب؛ قال الله تعالى آمراً نبيّه ﷺ بإعلان ذلك: ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ الزمر: ١١ – ١٥.

وهو سبحانه أجلُّ من أن يُعْبَدَ معه غيرُه؛ قال تعالى في الحديثِ القدسيِّ: (**أنا أغنى الشركاءِ عن الشِّركِ، مَن عمل عملًا أشركَ فيه معي غيري تركتُه وشِركه**)[2]. وعن معاذ بن جبل س قال: كنت

---

(١) ينظر: الوابل الصيب(ص:١٥، وما بعدها).

(٢) أخرجه مسلم، برقم (٢٩٨٥).

رِدْف رسول الله ﷺ على حمار فقال: يا معاذ، تدري ما حقُّ الله على العباد وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنَّ حقَّ الله على العباد أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا، وحقُّ العباد على الله ألا أن لا يُعذب من لا يشرك به شيئا)[1].

ثانيا: شكره على نعمه والاعتراف بفضله:

إنَّ نِعم الله تعالى على العبد كثير ليس بمقدوره إحصاؤها كما قال سبحانه: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ إبراهيم: ٣٤، وإنَّما بمقدوره أن يقوم بشكرها كما أمر بذلك سبحانه، ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ البقرة: ١٥٢، وقال: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ العنكبوت: ١٧.

ويتحقق شكره سبحانه على نعمه بأمور منها:

١) الخضوع له ﷻ، ويكون ذلك بالقلب، بأن يوقِن أنَّها من عند الله وحده؛ كما قال ﷻ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ النحل: ٥٣.

٢) محبته تعالى، وجعلها فوق محبة كل أحد؛ فإنَّ النفوس جُبِلت بطبعها على حُبِّ مَن أحسن إليها، فكيف إذا كان هذا المُنعِم هو الله لا؟!.

٣) الاعتراف بنعمه تعالى، ويكون ذلك بدوام الإقرار والحمد باللسان؛ قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ الضحى: ١١، ويكون أيضا بالجوارح وذلك بطاعته تعالى والبعد عن معاصيه؛ قال سبحانه: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ سبا: ١٣.

٤) الثناء على الله بها، ونسبة الفضل له وحده، والتبرُّؤ من حول الإنسان وقوته.

٥) أن يستعمل العبد النعمة فيما يرضي المُنعم ﷻ، ولا يستعملها في معصيته.

قال ابن القيم ؒ: "والشكر مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها، وأن لا يستعملها فيما يكره. فهذه الخمس: هي أساس الشكر، وبناؤه عليها، فمتى عُدِم منها واحدة: اختلَّ من قواعد الشكر قاعدة"[2].

والقيام بشكر الله تعالى توفيق منه سبحانه يحصل للعبد بأمور من أهمها: كثرة دعاء الله وطلب الإعانة منه على ذلك؛ فعن معاذ بن جبل ؓ، أنَّ النبي ﷺ أخذ بيده يوما ثم قال: (**يا معاذ، إنِّي لأحبُّك**).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٦٢٦٧)، ومسلم، برقم (٣٠).

(٢) مدارج السالكين(٢/٢٤٤).

فقال له معاذ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، وأنا أحبُّك. قال ﷺ: (**أوصيك يا معاذ: لا تدعنَّ في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**)[1].

ثالثا: استشعار مراقبته ﷻ:

يجب أن يكون العبد على يقينٍ دائم باطِّلاع الله تعالى على ظاهره وباطنه في جميع أحواله، قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ البقرة: ٢٣٥، وقال: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ غافر: ١٩.

ومتى استشعر الإنسان مراقبة الله له في كل آن وعلى كل حال دفعه ذلك إلى إحسان العمل، وتعاهد النية، والثبات على الطاعة، فيعبد الله بأعلى مراتب الدين، وهي مرتبة: الإحسان، الذي بينَّه النبي ﷺ حين سأله جبريل عليه السلام عنه فقال: (**الإحسان: أن تعبد الله كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك**)[2].

ولا تتم مراقبة الله تعالى في قلب العبد إلا بأمرين:

١) معرفته لربه ﷻ بأسمائه وصفاته وما تدلُّ عليه من المعاني معرفة حقيقية؛ فالله تعالى هو الرقيب، والحفيظ، والعليم، والسميع، والبصير، فإذا علم العبد هذه الأسماء وأيقن بمقتضاها أورثه ذلك دوام مراقبة الله وحسن الأدب معه.

٢) تقوية خشية الله في القلب، بحيث يخاف الله تعالى، وأمارة ذلك تقديم خوفه منه على الخوف من غيره؛ قال تعالى: ﴿فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ التوبة: ١٣، وتكون أيضا بالخوف من عذابه وعقوبته في الآخرة؛ كما قال لأ: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ الأنعام: ١٥.

رابعا: التسليم لحكمه وأمره ونهيه:

أوجب الله تعالى التسليم لحكمه فقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ النساء: ٦٥. قال ابن كثير : في معناها: "يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة: أنَّه لا يؤمن أحد حتى يُحكِّم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنا وظاهرا؛ ولهذا قال: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾، أي: إذا حكَّموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجا مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن؛ فيسلمون لذلك تسليما كليا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة"[3].

---

(١) أخرجه أبو داود، برقم(١٥٢٢) وغيره، وسنده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري، برقم(٤٧٧٧) ومسلم برقم(٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم(٢/٣٤٩).

والتسليم لحكم الله تعالى هو مقتضى طاعته التي أُمر بها المؤمنون؛ كما في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾ محمد: ٣٣.

وقد وصف الله تعالى كلَّ حُكمٍ يخالف حكمه بأنَّه حكم الجاهلية؛ فقال: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ المائدة: ٥٠. قال ابن سعدي :: "﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ أي: أفيطلبون بتوليهم وإعراضهم عنك حكم الجاهلية؟ وهو كل حكم خالف ما أنزل الله على رسوله؛ فلا ثمَّ إلا حكم الله ورسوله أو حكم الجاهلية، فمن أعرض عن الأول ابتلي بالثاني المبني على الجهل والظلم والغي، ولهذا أضافه الله للجاهلية، وأمَّا حكم الله تعالى فمبني على العلم والعدل والقسط والنور والهدى، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾، فالموقن هو الذي يعرف الفرق بين الحُكمين ويميز -بإيقانه- ما في حكم الله من الحُسن والبهاء، وأنَّه يتعين عقلا وشرعا اتِّباعه"[1].

ولا يتحقَّق الأدب مع الله تعالى إلا إذا تلقَّى الإنسانُ أحكام الله بالقبول والتطبيق العملي فلا يرُدُّ شيئًا من أحكام الله، فإن ردَّ شيئًا من أحكام الله فقد أساء الأدب مع ربه ﷻ، سواء ردَّها إنكاراً لها، أو استكبارا أو تهاوناً بالعمل بها؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ الأحزاب: ٣٦.

خامسا: التوبة له:

أمر الله تعالى بالتوبة إليه فقال: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ النور: ٣١، ووعد التابين بالقبول فقال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾ الشورى: ٢٥. وفتح لهم أبواب الرجاء في عفوه ومغفرته، وأمرهم أن يلجؤوا إلى ساحات كرمه وجوده، طالبين تكفير السيئات وستر العورات، وقبول التوبة، وأن لا يطردهم من رحمته ولا يوصد دونهم بابه، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ الزمر: ٥٣.

والله تعالى يحبُّ أهل التوبة الذين يعودون إليه كلما أذنبوا؛ قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾ البقرة: ٢٢٢، وصح عن النبي ﷺ قوله: (**لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ**)[2].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان(١/٢٣٤).

(٢) أخرجه مسلم، برقم (٢٧٤٧).

وعلى العبد أن لا يملَّ من التوبة مهما عظمت ذنوبه؛ بل عليه كلما أذنب أن يتوب ويرجع، فعن النبي ع فيما يحكي عن ربه لأ قال: (**أذنب عبد ذنبا فقال: اللهم اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبا فعلم أنَّ له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب. ثم عاد فأذنب فقال: أي ربِّ، اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنبا فعلم أنَّ له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب. ثم عاد فأذنب فقال: أي ربِّ اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبا فعلم أنَّ له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك**) [(١)].

سادسا: حسن الظنّ به:

حسن الظن بالله تعالى هو: اعتقاد ما يليق بالله ﷻ، واليقين بأنَّه لا يقدِّرُ شيئاً في الكون إلا وفيه الحكمة والخير لعباده (**تم حذف الحاشية**).

وهو من أجلِّ العبادات القلبية، وهو واجبٌ في الأمور كلها، والله تعالى عند ظنِّ عبده به؛ عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال النبي ﷺ: (**يقول الله تعالى: أنا عند ظنِّ عبدي بي...**)[(٢)]. ففي هذا الحديث ترغيب من الله ﷻ لعباده بتحسين ظنونهم، وأنَّه يعاملهم على حسبها، فمن ظنَّ به خيرًا أفاض عليه جزيل خيراته، وأسبل عليه جميل تفضُّلاته، ونثر عليه محاسن كراماته وسوابغ عطياته، ومن لم يكن في ظنِّه هكذا لم يكن الله تعالى هكذا. وهذا هو معنى كونه سبحانه وتعالى عند ظنِّ عبده، فعلى العبد أن يكون حَسَن الظنِّ بربِّه في جميع حالاته[(٣)].

ويتأكد حُسن الظنِّ بالله في حال الشدائد، وخاصة عند الموت؛ قال النبي ع: (**لا يموتنَّ أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن**)[(٤)]. قال الإمام النووي :: "قال العلماء: معنى حُسن الظنِّ بالله تعالى أن يظنَّ أنَّه يرحمه ويعفو عنه"[(٥)].

وإذا أصيب العبد في الدنيا ببليَّة فإنَّ حُسن الظنِّ بالله تعالى يتأكَّد عند ذلك؛ فيجب أن يعلم المبتلى أنَّ الذي ابتلاه أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين، وأنَّه سبحانه لم يرسل إليه البلاء ليهلكه ولا ليعذبه به، وإنَّما ليمتحن إيمانه وصبره ورضاه؛ وليسمع تضرعه وابتهاله، وليراه طريحا ببابه لائذا بجنابه، مكسور القلب بين يديه، رافعا الشكوى إليه[(٦)].

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢٧٥٨).

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٧٥٠٥)، ومسلم، برقم (٢٦٧٥).

(٣) ينظر: تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين (ص١٣).

(٤) أخرجه مسلم برقم(٢٨٧٧).

(٥) شرح صحيح مسلم، للنووي(١٤/٢١٠).

(٦) ينظر: تسلية أهل المصائب(ص ١٦٦).

ومن حسن الظنِّ بالله أن يوقِن المبتلى بأنَّ ما أصابه من بلاء إنَّما هو خير له وإنْ ظهر له في صورة الشر، فإنَّ الله ﷻ لا يقضي لعباده إلا خيرا، عَلِمه من عَلِمه وجهِلَه من جهِلَه، فما يقضيه الله من المنع لعبده المؤمن فهو عطاء وإن كان في صورة المنع، ونعمة وإن كان في صورة محنة، وبلاؤه عافية وإن كان في صورة بليَّة، ولكن لجهل العبد وظلمه وقِصَر نظره لا يَعُد العطاء والنعمة والعافية إلا ما التذَّ به في العاجل وتمتع به في القريب وكان ملائما لطبعه خاليا من الأذى، وما عَلِم أنَّ فيما أصابه من بلاء شحذًا لقواه، وعلوا لهمته، وتكفيرا لسيئاته، ورفعا لدرجاته، ومضاعفة لحسناته[1].

وإذا كان حُسن الظنِّ بالله ﷻ يعتبر مظهرا من مظاهر الأدب معه فإنَّ سوء الظنِّ به تعالى يُعدُّ من سوء الأدب معه جل وعلا، ومن أساء الظنّ بربِّه حصل له سوء العاقبة؛ فإنّ الجزاء من جنس العمل. قال الشيخ الشنقيطي : عند تفسير قوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ص: ٢٧: "يدلُّ على أنَّ مَن ظنَّ بالله ما لا يليق به جل وعلا فله النار، وقد بيَّن تعالى في موضع آخر أنَّ من ظنَّ بالله ما لا يليق به أرداه وجعله من الخاسرين وجعل النار مثواه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾فصلت: ٢٢ ـ ٢٤"[2].

سابعا: محبة الله ﷻ وتعظيم اسمه:

إنَّ مِن الأدب مع الله تعالى: تقديم محبته ﷻ على كلِّ محبة؛ فقد جعل الله تعالى ذلك من أخصِّ صفات المؤمنين، فقال سبحانه:﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾البقرة: ١٦٥، ولا يمكن أن يخلو قلب المؤمن من أصل محبة الله؛ لأنَّها ركن العبادة الركين؛ فما دام قلبه مشتملا على محبة الله فهو يعبده ويُقبل على طاعته وطاعة رسوله ﷺ، قال تعالى:﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾آل عمران: ٣١.

ومِنه أيضا: تعظيمُ اسمه سبحانه، فكلَّما نطق أو كتب اسم الله تعالى أتبعه بالتعظيم، مثل لفظ: (تعالى) أو (سبحانه) أو (لأ)، أو (تبارك)، ونحو ذلك، وأيضا عدم الدخول بشيء فيه اسم الله تعالى إلى أماكن النجاسات، إلا عند الضرورة، وكذلك عدم إلقاء الأوراق التي فيها اسمُه تعالى في الطرقات أو في الأماكن التي ترمى فيها المخلَّفات، فكل ذلك من تعظيم الله ومحبته.

---

(١) ينظر: مدارج السالكين(٢/١٦٢-١٦٣).

(٢) أضواء البيان(٦/٣٤٢).

ثامنا: التجمل عند إرادة الوقوف بين يديه:

إنَّه مِن الأدب معه سبحانه أن يتهيأ العبد ويتجمَّلَ متى أراد الوقوف بين يدي ربه للصلاة؛ باللباس الحسن والخشوع التام، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ الأعراف: ٣١. قال ابن تيمية ﵀: "كان لبعضِ السلف حُلَّةٌ بمبلغٍ عظيمٍ من المال، وكان يلبَسُها وقت الصلاة ويقول: ربي أحقُّ مَن تجمَّلت له في صلاتي!"[(١)]. وقال ابن القيم ﵀: "ومعلومٌ أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى يحبُّ أن يرى أثر نعمته على عبده، لا سيما إذا وقف بين يديه"[(٢)]. وقال أيضا: "ومِن الأدب مع الله في الوقوف بين يديه في الصلاة: وَضْع اليمنى على اليسرى حال قيام القراءة؛ ففي الموطأ لمالكٍ عن سهل بن سعدٍ: أنَّه مِن السنَّة، وكان الناس يؤمرون به، ولا ريبَ أنَّه مِن أدب الوقوف بين يدي الملوك والعظماء؛ فعظيمُ العظماء أحق به!" [(٣)].

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى(٣/٦٥).

(٢) مدارج السالكين(٢/٣٦٣).

(٣) المرجع السابق(٢/٣٦٤).

الأدب مع النبي ﷺ

أرسل الله ﷻ الرسل ليُخرجوا الناس من ظلمات الكفر والشرك إلى نور التوحيد والإيمان، وجعلهم حُجّة على أقوامهم، ولا يصح إيمان أحد إلا بالإيمان بهم جميعا، وقد امتثلت أمة محمد ع هذا، وأعلن الصحابة ن إيمانهم بجميع الأنبياء بلا تفريق بينهم فأثنى الله عليهم بقوله: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ البقرة: ٢٨٥.

وقد منَّ الله تعالى على المؤمنين ببعثة محمد ع إليهم هاديا ومبشرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٦٤؛ ففتح الله تعالى به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا، وجعله رحمة لكل الخلاق فقال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ الأنبياء: ١٠٧، فوجب على كل مؤمن أن يشكر الله تعالى على ذلك، وأن نتأدَّب مع هذا النبي الكريم ع.

وإنَّ من أبرز مظاهر الأدب معه ﷺ مايلي:

أولا: الإيمان به ﷺ وتصديقه: قال اللَّه تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٨. والإيمان به ﷺ هو الإقرار نبوته، وأنَّ اللَّه تعالى أرسله للثقلين بشيرا ونذيرا، وتصديق ما جاء به وما أخبر عنه، ولزوم تطابق القلب واللسان على ذلك، فإن اجتمع تصديق القلب ونطق اللسان مع تطبيق ذلك بالعمل فقد تمَّ الإيمان به ﷺ[1].

ثانيا: طاعته ﷺ: فإنَّ طاعته نتيجة واجبة للإيمان به وتصديقه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ الأنفال: ٢٠، وقال ﷻ: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ الحشر: ٧، وقال: ﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ ﴾ النور: ٥٤.

ولا سبيل لأحدٍ من أمته إلى دخول الجنة إلا بطاعته واتباعه؛ فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: (**من أطاعني فقد أطاع اللَّه، ومن عصاني فقد عصى اللَّه**)[2]، وعنه ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: (**كل الناس يدخل الجنة إلا من أبى. قالوا: يا رسول اللَّه، ومن يأبى؟! قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**)[3].

---

(١) ينظر: الشفاء بتعريف حقوق المصطفىﷺ، للقاضي عياض(٥٣٩/٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم(٧١٣٧).

(٣) أخرجه البخاري، برقم(٧٢٨٠).

ثالثا: اتباعه ﷺ والاقتداء به والاهتداء بهديه: قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾آل عمران: ٣١، وقال ﷻ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾الأحزاب: ٢١، فيجب السير على هديه والتزام سنته، والحذر من مخالفته، قال ﷺ: **(فمن رغب عن سنتي فليس مني)**[1].

رابعا: محبته ﷺ: فإنَّ النفوس مجبوله على محبة المحسن إليها، وإنَّ من أعظم الإحسان ما فعله النبي ﷺ لأمته؛ بإخراجها من ظلمات الشرك والكفر إلى التوحيد والسنة، فوجبت محبته وتقديمها على محبة غيره، فعن أنس ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)**[2]. ولما قال عمر بن الخطاب ﷺ: يا رسول اللَّه، لأنت أحبُّ إليَّ من كل شيء إلا من نفسي. قال له النبي ﷺ: **(لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك)**. فقال له عمر: فإنَّه الآن واللَّه لأنت أحبُّ إليَّ من نفسي، فقال النبي ﷺ: **(الآن يا عمر)**[3].

ولا شكَّ أنَّ من علامات محبته: إحياء سنته، والعمل بها، وتعلُّمها، وتعليمها، والذبِّ عنها، ونشرها، والتخلق بأخلاقه الكريمة، وآدابه الجميلة.

خامسا: احترامه ﷺ وتوقيره ونصرته: قال تعالى: ﴿ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ الفتح: ٩. ونصرته ومُؤازرته وحمايته ﷺ واجبة في حال حياته وبعد موته، وتكون بنصرة دينه والدعوة إليه، والدفاع عن سنَّته، والردّ على الشبهات المثارة حوله ﷺ وحول سنته وسيرته الشريفة.

ومن توقيره ﷺ: ألا يتقدَّم بين يديه في حال حياته بأمر ولا نهي ولا إذن ولا تصرُّف حتى يأمر أو ينهى أو يأذن، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾الحجرات: ١، وبعد موته لا يُتقدَّم بين يدي سنَّته؛ لأنَّه كالتقدُّم بين يديه في حياته، ولا فرق بينهما عند ذي عقل سليم.

ومن توقيره ﷺ أيضا: ألا تُرفع الأصوات فوق صوته؛ فإنَّه سبب لحبوط الأعمال، فما الظنُّ برفع الآراء، ونتائج الأفكار على سنَّته وما جاء به؟! قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾الحجرات: ٢.

ومن توقيره ﷺ: أن لا يجعل دعاؤه كدعاء غيره. قال تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾النور: ٦٣. أي: لا تقيسوا دعاءه إيَّاكم على دعاء بعضكم بعضاً في جواز الإعراض والمساهلة

---

(١) أخرجه البخاري، برقم(٥٠٦٣).

(٢) أخرجه البخاري، برقم(١٤)، ومسلم، برقم(٤٤).

(٣) أخرجه البخاري، برقم(٦٦٣٢).

في الإجابة والرجوع بغير إذن، فإنَّ المبادرة إلى إجابته ﷺ واجبة، والمراجعة بغير إذنه محرمة. وقيل: لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضاً باسمه ورفع الصوت به والنداء من وراء الحجرات، ولكن بلقبه المعظم مثل: يا نبي الله، ويارسول الله، مع التوقير والتواضع وخفض الصوت، أو: لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلا تبالوا بسخطه؛ فإنَّ دعاءه موجب ومستجاب[1].

سادسا: الصلاة والسلام عليه ﷺ: قال اللَّه تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ الأحزاب: ٥٦، والصلاة على النبي ﷺ تكون من الله بالرحمة والمغفرة، ومن الملائكة بالدعاء، ومن الناس بالثناء عليه وإظهار شرفه وفضله وحرمته[2].

وقد بيَّن النبي ﷺ فضل الصلاة عليه فقال ﷺ: (**من صلَّى عليَّ صلاة صلَّى اللَّه عليه بها عشرا**)[3]، وقال ﷺ: (**لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليَّ فإنَّ صلاتكم تبلغني حيث كنتم**)[4].

وهي مشروعة في كل الأوقات، وتتأكّد في مواطن كثيرة ذكر منها الإمام ابن القيم : واحداً وأربعين موطناً في كتابه جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام؛ ومنها على سبيل المثال: الصلاة عليه ﷺ عند دخول المسجد، وعند الخروج منه، وبعد إجابة المؤذن، وعند الإقامة، وعند الدعاء، وفي التشهد في الصلاة، وفي صلاة الجنازة، وفي الصباح والمساء، وفي يوم الجمعة وليلتها، وعند اجتماع القوم قبل تفرقهم، وفي الخطب: كخطبتي صلاة الجمعة، وعند كتابة اسمه، وفي أثناء صلاة العيدين بين التكبيرات، وآخر دعاء القنوت، وعلى الصفا والمروة، وعند الوقوف على قبره، وعند الهم والشدائد وطلب المغفرة، وعقب الذنب إذا أراد أن يكفَّر عنه، وغير ذلك من المواطن التي ذكرها : في كتابه.

سابعا: التحاكم إليه والرضى بحكمه ﷺ، قال اللَّه تعالى: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ النساء: ٥٩، وأخبر ﷻ أنَّه لا يمتنع عن التحاكم إليه ﷺ إلا المنافقون والكافرون؛ فقال سبحانه: ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ۚ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى

---

(١) ينظر: تفسير البيضاوي(٤/١١١).

(٢) ينظر: جلاء الأفهام(ص١٦١).

(٣) أخرجه مسلم، برقم(٣٨٤).

(٤) أخرجه أبو داود، برقم(٢٠٤٢)، وغيره، وهو حديث صحيح.

﴿ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥١ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٥٢﴾ النور: ٤٧ - ٥٢. والتحاكم يكون إليه ع في حياته، وإلى سنته وشريعته بعد موته.

ثامنا: إنزاله مكانته ﷺ بلا غلو ولا جفاء، فهو عبد للَّه ورسوله، وهو أفضل الأنبياء والمرسلين، وهو سيد الأولين والآخرين، وهو صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، ولكنَّه مع ذلك بشر لا يملك لنفسه ولا لغيره ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء اللَّه، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾الأنعام: ٥٠، وقال سبحانه: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾ الأعراف: ١٨٨، وقد نهى ع عن الغلو فيه فقال: (**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ فإنَّما أنا عبده فقولوا: عبد الله ورسوله**) [(١)]. والإطراء: مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه[(٢)].

(١) أخرجه البخاري برقم(٣٤٤٥).

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر:(١٢٣/٣).

الأدب مع القرآن الكريم

إنَّ إنزال القرآن مِنَّة عظمى على هذه الأمة؛ فقد أنزله الله ﷻ ليخرج الناس به من الظلمات إلى النور، ومن الضلالة إلى الهدى، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة؛ قال تعالى: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١ ﴾ إبراهيم: ١، وقال سبحانه: ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩ ﴾ النحل: ٨٩.

والقرآن هو كتاب الله الخالد، وحجته البالغة على الناس جميعا، ختم الله به الكتب السماوية، وأنزله هداية ورحمة للعالمين، وضمَّنه منهاجا كاملا وشريعة تامَّة للحياة؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ٩ ﴾ الإسراء: ٩.

ومنزلة هذا الكتاب المبارك تحتِّم علينا النصيحة له؛ والنبي ﷺ يقول: (**الدين النصيحة**)، قلنا لمن؟ قال: (**للَّه، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**)[1]. ولا تكون النصيحة للقرآن إلا بعد معرفة حقوقه وما ينبغي له من الآداب؛ وفيما يلي ذكرٌ لأبرز تلك الآداب:

أولا: الإيمان به:

إنَّه لا يكون العبد مسلماً إلا إذا آمن بالقرآن الكريم، وقد تكررت الأوامر الإلهية بذلك، مبينة أنه من أوجب الواجبات؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧٠ ﴾ النساء: ١٧٠، وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُ ﴾ النساء: ١٣٦ ، قال غير واحد من المفسرين: الكتاب الذي نزَّل على رسوله هو القرآن[2].

وأنكر الله تعالى على من كذَّب بالقرآن إذ لا حجَّة لهم مع ظهور ودلائل صدقه وبركته؛ فقال سبحانه: ﴿ وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُ أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٥٠ ﴾ الأنبياء: ٥٠، وما كذَّب المكذبون بهذا الكتاب إلا جحودًا وعناداً وتعصّباً لما كان عليه آباؤهم؛ قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠ ﴾ البقرة: ١٧٠.

وإنَّما يتحقَّق الإيمان بالقُرآن العظيم بأمور؛ منها:

١) الاعتقاد بأنَّه كلام الله تعالى حُروفه ومَعانيه، تكلَّم الله به حقيقةً، وأنَّه مُنزَّل على **نبينا** محمد ﷺ، وأنَّه

---

(١) أخرجه مسلم، برقم(٥٥).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي،(٥/٣٩٤)، ومعالم التنزيل، للبغوي(١/٢٩٩)، وفتح القدير، للشوكاني(١/٧٩١).

غير مخلوق.

٢) اعتقاد صحة أخباره وعدل أحكامه؛ قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۖ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ الأنعام: ١١٥، وقال ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ﴾ البقرة: ٢.

٣) اعتقاد عُموم دَعوته وشُمول شَريعته التي جاء بها لعُموم الثَّقلين، منذ نزَل وإلى أنْ يرفَعَه الله تعالى إليه آخِر الدَّهر، فلا يسَعُ أحدًا من الجنِّ والإنس إلاَّ الإيمان به وبما اشتَمَل عليه، وأن يَعبُدوا الله بشريعته؛ قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ الفرقان: ١.

٤) اعتقاد نسخِه لجميع الكتب السابقة، فلا يجوزُ لأهل الكتاب ولا لغيرهم أن يعبُدوا الله بغير القرآن، فلا دِينَ إلا ما جاء به، ولا شريعة إلا ما شرع الله فيه؛ إذ هو آخِر الكتب نزولاً، فهو خاتمها، والشاهِد والحاكم عليها؛ قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ المائدة: ٤٨.

٥) أنَّه أعظَمُ آيات الأنبياء والمرسَلين -عليهم الصلاة والسلام- ؛كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ قال: (**ما من الأنْبياء نبيٌّ إلا أُعطِي ما مثله آمَن عليه البشَرُ، وإنما كان الذي أُوتِيتُ وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أنْ أكونَ أكثرهم تابعًا يوم القيامة**)[1].

٦) أنَّ القُرآن هو الكتاب الوحيد الذي تَكفَّل الله بحِفظه؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر: ٩.

٧) أنَّه اشتمل على التحدِّي به، بل هو الآية العُظمى الذي أعجَزَ الله بها الجنَّ والإنسَ عن أن يأتوا بمِثله ولو اجتمعوا على ذلك؛ قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ الإسراء: ٨٨.

ثانيا: تلاوته:

جاءت الأدلة من القرآن والسنة بالحثّ على تلاوة القرآن الكريم والإكثار منها؛ فقد أمر الله بها نبيه ﷺ والخطاب له ولأمته؛ فقال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ﴾ الكهف: ٢٧، وقال سبحانه: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ المزمل: ٤، وأمر الله نبيه ﷺ أن يكون تالياً للقرآن وجعل ذلك طريقاً إلى الدعوة إليه؛ فقال سبحانه: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ النمل: ٩١ - ٩٢. "أي: أواظبَ على تلاوتِه لتنكشفَ لي حقائقُه الرائعةُ المخزونةُ في تضاعيفِه شيئاً فشيئاً، أو على تلاوتِه على النَّاسِ بطريقِ تكريرِ الدَّعوة وتثنية الإرشاد فيكون ذلك تنبيهاً على كفايته

(١) أخرجه البخاري، برقم (٤٩٨١)، ومسلم، برقم (١٥٢).

في الهداية والإرشاد من غير حاجةٍ إلى إظهار معجزة أُخرى"[1].

وأثنى الله على الذين يتلون كتابه وبيَّن عظيم أجورهم بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ فاطر: ٢٩ ـ ٣٠. ففي هذه الآية إشادةٌ بالذين يداومون على تلاوة القرآن ويعملون بأحكامه ووعدٌ لهم بأنَّ الله تعالى سيوفِّيهم أجور هذه الأعمال؛ بل ويزيدهم فوق أجورهم من كرمه وإحسانه جل وعلا، وما ذاك إلا لفضل هذه الأعمال الصالحة، وأوَّلها ذكرا: تلاوة القرآن الكريم.

وبيَّن النبي ﷺ أن الماهر بالقرآن في معيَّة الملائكة الكرام؛ فعن عائشة ك عن النبي ﷺ قال: (**الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَان**)[2].

وعن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**اقرؤوا القرآن فإنَّه يأتي شفيعًا يوم القيامة لصاحبه، اقرؤوا الزهراوين: البقرة وآل عمران؛ فإنَّهما يأتيان يوم القيامة كأنَّهما غيايتان أو كأنَّهما غمامتان أو كأنَّهما فرقان من طير صواف يحاجان عن أصحابهما**)[3].

وحثَّ ﷺ على الاجتماع على تلاوة القرآن الكريم وتدارسه، وبيَّن أنَّ ذلك سبب لنزول الرحمات وحصول البركات؛ فقال ﷺ: (**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**)[4].

وقال ﷺ: "من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ﴿ الٓمٓ ﴾ حرف؛ ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف"[5].

فينبغي للمسلم أن يحرص على تلاوة كتاب الله، وأن يكون له وِردٌ يومي يقرأ فيه القرآن الكريم، مراعياً آداب التلاوة التي ذكرها العلماء، وأهمها: الإخلاص لله تعالى عند التلاوة، والطهارة الحسية والمعنوية، والاستعاذة والبسملة قبل القراءة، وتحسين الصوت بالقرآن، والعناية بأحكام التجويد، والقراءة بترتيل وترسُّل، وتفريغ النفس أثناء التلاوة من الشواغل المانعة من التدبر؛ إلى غير ذلك من الآداب[6].

---

(١) تفسير أبي السعود(٦/٣٠٦).

(٢) أخرجه مسلم، برقم(٧٩٨).

(٣) أخرجه مسلم، برقم(٨٠٤).

(٤) أخرجه مسلم، برقم(٢٦٩٩).

(٥) أخرجه الترمذي، برقم(٢٩١٠)، وصححه الألباني.

(٦) للاستزادة في معرفة آداب التلاوة ينظر كتاب: التبيان في آداب حملة القرآن، للإمام النووي.

ثالثا: تعلُّمه وتعلِيمه:

لاريب أن تعلُّم القرآن الكريم وتعليمه من أفضل الأعمال وأجلِّ القربات؛ يحظى متعلِّمه ومعلِّمه بالفضل والخير في الدنيا والآخرة؛ فعن عثمان بن عفان ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: (**خيرُكم من تعلم القرآن وعلمه**)[1].

وقد حثَّ النبي ﷺ على تعلُّم القرآن العظيم بقوله –مخاطباً صحابته ﷺ والخطاب يشمل الأمة بعدهم–: (**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ، أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ، فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟**)، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ نُحِبُّ ذَلِكَ. قَالَ: (**أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ**)[2].

وتعليم القرآن فرض كفاية كما قال الإمام النووي: "تعليم المتعلمين فرض كفاية، فإن لم يكن من يصلح إلا واحد تعيَّن، وإن كان هناك جماعة يحصل التعليم ببعضهم، فإن امتنعوا كلُّهم أثموا، وإن قام به بعضهم سقط الحرج عن الباقين"[3].

وفي تعليم القرآن الأجر العظيم والخير العميم والثواب الجزيل، ويحصل ذلك لمن علَّم ولو آيات معدودة من القرآن، فقد حضَّ النبي ع على تبليغه بقوله: (**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**)[4].

وتعليم القرآن باب عظيم من أبواب الدعوة إلى الله تعالى؛ قال سبحانه: ﴿ **فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾** ﴾ ق: ٤٥، وقال ﷻ: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾** ﴾ فصلت: ٣٣، قال الحافظ ابن حجر ⁚: "الدعاء إلى الله يقع بأمور شتى، من جملتها: تعليم القرآن، وهو أشرف الجميع"[5].

رابعا: حفظه أو حفظ ماتيسر منه:

إنَّه من فضل الله تعالى على عباده أن يسَّر لهم حفظ كلامه واستظهاره؛ يقول جل وعلا: ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾** ﴾ القمر: ١٧. وجاء عن ابن عباس م قوله: "لولا أن الله يسره على لسان

---

(١) أخرجه البخاري، برقم(٥٠٢٧).

(٢) أخرجه مسلم، برقم(٨٠٣)، و(بطحان) اسم موضع بقرب المدينة، و(العقيق) واد بالمدينة، و(كوماوين) الكوماء من الإبل: العظيمة السنام. ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي(٦/٨٩).

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن(ص٤٤).

(٤) أخرجه البخاري برقم(٣٤٦١).

(٥) فتح الباري(٦/٧٩).

الآدميين، ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله، عز وجل"[1]، وهذا من خصائص هذا الكتاب المبارك؛ وهذا التيسير نعمة توجب الشكر، وذلك بحفظه القرآن أو بحفظ ماتيسَّر منه، وتعاهد المحفوظ؛ قال ﷺ: **(تَعَاهَدُوا القُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنَ الإِبِلِ فِي عُقُلِهَا)**[2].

وحافظ القرآن أولى بما ذكر من فضائل التلاوة؛ لأنَّ الحفظ يشمل التلاوة، ولما في الحفظ من مشقة، ولما يتميز به الحافظ من كون الوحي في صدره يقرأه متى شاء، وقد قال النبي ﷺ: **(مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ، وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ، وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ)**[3].

ولم يترك النبي ﷺ أمراً فيه حثٌّ على حفظ القرآن وتشجيع عليه وترغيب فيه إلا سلكه؛ فكان يفاضل بين اصحابه على قدر حفظهم للقرآن، فيعقد الراية أحيانا لأكثرهم حفظا للقرآن، وإذا بعث بعثا أو أرسل وفدا جعل إمامهم في صلاتهم أكثرهم حفظا للقرآن، ويقدِّم في لحد القبر أكثرهم أخذا له، ويزوِّج الرجلُ المرأةَ على أن يكون مهرها تعليمه إيَّاها ما معه من القرآن؛ إلى غير ذلك[4].

خامسا: تدبره:

التدبُّر هو: النظر في عاقبة الأمر والتفكر فيه[5]. وتدبُّر القرآن هو: تفهُّم معاني ألفاظه، والتفكر فيما فيما تدلُّ عليه آياته، والانتفاع بذلك[6].

وقد أمر الله بتدبُّر القرآن الكريم، وبيَّن لنا أنَّه إنَّما أنزله لنتدبر آياته؛ فيثمر التذكر والاتعاظ به؛ فقال سبحانه: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ ص: ٢٩، وجاء التوبيخ والتبكيت لمن غفل عن التدبر؛ فقال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ النساء: ٨٢.

وبين الله ﷻ سبب الإعراض عن تدبر كتابه الكريم، فقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ محمد: ٢٤. قال الشنقيطي ؛: "وما تضمَّنته هذه الآية الكريمة من التوبيخ والإنكار على من أعرض عن تدبر كتاب الله، جاء موضحا في آيات كثيرة... ومعلوم أنَّ كل من لم يشتغل بتدبر آيات هذا القرآن

---

(١) تفسير ابن كثير(٧/٤٤٣).

(٢) أخرجه البخاري، برقم(٥٠٣٣)، ومسلم، برقم(٧٩١).

(٣) أخرجه البخاري، برقم(٤٩٣٧).

(٤) ينظر: منهج السلف في العناية بالقرآن الكريم، للدكتور: بدر البدر (ص٤٦).

(٥) ينظر: لسان العرب(٤/٢٧٣)، والفروق اللغوية، للعسكري(ص٥٨).

(٦) ينظر: تفسير ابن كثير(١/٥٠١)، والتبيان في أقسام القرآن(ص١٤٥)، وتفسير السعدي(ص١٥).

العظيم وتفهمها، وإدراك معانيها والعمل بها فإنَّه معرض عنها غير متدبر لها؛ فيستحق الإنكار والتوبيخ المذكور في الآيات إن كان الله أعطاه فهماً يقدر به على التدبر... وهذه الآيات المذكورة تدلُّ على أنَّ تدبر القرآن وتفهُّمه وتعلُّمه والعمل به أمر لا بد منه للمسلمين... فإعراض كثير من الأقطار عن النظر في كتاب الله وتفهُّمه والعمل به وبالسنة الثابتة المبينة له من أعظم المناكر وأشنعها"(١).

ويكون تدبُّر القرآن الكريم بأن يُشغل القارئ قلبه بالتفكُّر في معانيه، ويعتقد قبول ذلك كلِّه، فإذا مرَّ بآية فيها ذكر الرحمة: استبشر وسأل، وإذا قرأ آية فيها ذكر العذاب: أشفق وتعوّذ، وإذا مرَّ بآية تنزيه: نزَّه وعظَّم، أو فيها دعاء: تضرَّع وطلب. وهكذا كانت قراءة رسول الله ﷺ، فعن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: "صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ"(٢).

سادسا: العمل به:

العمل بالقرآن أهم مقاصد إنزاله، والحقوق الأخرى للقرآن تبع لهذا الحق، إذ لا يمكن أن يَعمل بالقرآن إلا من آمن به وقرأه وتدبره.

والعمل بالقرآن يكون باتِّباع أحكامه؛ بفعل ما أمر الله به فيه وترك ما نهى الله عنه؛ ابتغاء مرضاة الله وطمعاً في ثوابه وخوفاً من عقابه، وعلى هذا سار السلف الصالح ﷺ، فكانوا يتعلَّمون القرآن ويعملون بما جاء فيه عن عقيدةٍ راسخةٍ. قال أبو عبد الرحمن السُّلمي :: (حدَّثنا الذين كانوا يُقرئوننا القرآن: عثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود م وغيرهما أنَّهم كانوا إذا تعلَّموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً)(٣).

وقد أمر الله تعالى عباده بالعمل بهذا القرآن العظيم واتِّباع هديه؛ فقال سبحانه: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ الأنعام: ١٥٥.

ومن عمل بالقرآن في الدنيا فسيكون حجّة له وشافعا يوم القيامة، وأمَّا من لم يعمل به فسيكون شاهدا عليه؛ قال ﷺ: **(والقرآن حجَّة لك أو عليك)**(٤).

وقد ذمَّ الله تعالى أهل الكتاب الذين لم يعملوا بما في كتبهم من العلم، وشبَّههم بالحمار الذي

---

(١) أضواء البيان(٧/٤٢٨).

(٢) صحيح مسلم، برقم(٧٧٢).

(٣) رواه ابن جرير بلفظه في تفسيره،(١/٨٠) [طبعة أحمد شاكر]، وقال الشيخ أحمد شاكر: (هذا إسناد صحيح متصل).

(٤) أخرجه مسلم، برقم(٢٢٣).

لايستفيد مما يحمله؛ فقال سبحانه: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾ الجمعة: ٥، فينبغي للمسلم أن يحذر من مشابهة أولئك الذين ذمَّهم الله، فيقرأ القرآن ثم لا يفهمه ولا يعمل به؛ بل يجب عليه أن يجاهد نفسه على العمل بالقرآن حتى يأتمر بأوامره وينتهي عن نواهيه، ويتخلَّق بأخلاقه ويتأدَّب بآدابه.

سابعا: تعظيمه وإجلاله:

إنَّ لكتاب الله ﷻ المكانة العظيمة والمنزلة الجليلة، وإنّ تعظيمه وإجلاله دليلٌ على تعظيم الله تعالى؛ إذ هو كلامه الذي كرّمه وعظّمه؛ فقال سبحانه: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ الواقعة: ٧٥ - ٨٠ ، وقال ﷻ: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ الحجر: ٨٧ .

ولذا فمن الواجب علينا تعظيم هذا الكتاب المبارك وإجلاله؛ ومن صور تعظيم القرآن **مايلي:**

١. الإنصات عند تلاوته، لقوله: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ الأعراف: ٢٠٤.

٢. الإخبات والتخشُّع عند تلاوته، فقد مدح الله تعالى المخبتين إذا قرئ القرآن الكريم عليهم فقال: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّ ﴾ المائدة: ٨٣، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ السجدة: ١٥.

وأثنى الله ﷻ على التالِينَ لكتابه، والمستمعين له؛ الذين يخشعون عند سماعه وتخبت له قلوبهم؛ فقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ الزمر: ٢٣. والله تعالى يقول: ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الحشر: ٢١. وعن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: "قال لي النبي ﷺ: (**اقْرَأْ عَلَيَّ**)، قلت: يا رسول الله، آقرأ عليك، وعليك أنزل، قال: (**نَعَمْ**)، فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴿٤١﴾ ﴾ النساء: ٤١، قال: (**حَسْبُكَ الآنَ**) فالتفت إليه، فإذا عيناه تَذْرِفَان[(١)].

وهكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ في خشوعهم عند تلاوة القرآن وسماعه؛ قالت عائشة ك للنبي ع لما مرض فقال: (**مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس**)، قالت واصفة حال أبيها: يا رسول الله إنَّ أبا بكر رجل رقيق إذا قرأ القرآن لا يملك دمعه[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري، برقم(٥٠٥٠)، ومسلم، برقم(٨٠٠).

(٢) أخرجه البخاري، برقم(٦٤٦)، ومسلم، برقم(٤١٨).

٣. المحافظة عليه من كل ما يدنسه، والحرص على ألا يكون سببًا في امتهانه؛ كوضعه في مكان لا يليق به، أو بجوار من لا يعلم به فيجلس عليه، ونحو ذلك.

ثامنا: الاستشفاء به: قال الله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾الإسراء: ٨٢، وقال: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾فصلت: ٤٤، وقد كان الصحابة الكرام يستشفون بالقرآن، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ، قال: نزلنا منزلا، فأتتنا امرأة فقالت: إن سيد الحي سليم، لدغ، فهل فيكم من راق؟ فقام معها رجل منا، ما كنا نظنه يحسن رقية، فرقاه بفاتحة الكتاب فبرأ، فأعطوه غنما، وسقونا لبنا، فقلنا: أكنت تحسن رقية؟ فقال: ما رقيته إلا بفاتحة الكتاب قال فقلت: لا تحركوها حتى نأتي النبي ﷺ، فأتينا النبي ﷺ فذكرنا ذلك له، فقال: **(مَا كَانَ يُدْرِيهِ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟ اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ مَعَكُمْ)**[(١)].

قال ابن القيم ∴: (ولو أحسن العبد التداوي بالفاتحة لرأى لها تأثيراً عجيبًا في الشفاء، ومكثت بمكة مدة تعتريني أدواء ولا أجد طبيبًا ولا دواء، فكنت أعالج نفسي بالفاتحة فأرى لها تأثيرًا عجيباً، فكنت أصف ذلك لمن يشتكي ألماً، وكان كثير منهم يبرأ سريعاً، ولكن ههنا أمر ينبغي التفطن له، وهو أنَّ الأذكار والآيات والأدعية التي يُستشفى بها ويُرقى بها هي في نفسها نافعة شافية ولكن تستدعى قبول المحل وقوة همَّة الفاعل وتأثيره، فمتى تخلَّف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل أو لعدم قبول المنفعل أو لمانع قوي فيه يمنع أن ينجع فيه الدواء، كما يكون ذلك في الأدوية والأدواء الحسية؛ فإنَّ عدم تأثيرها قد يكون لعدم قبول الطبيعة لذلك الدواء، وقد يكون لمانع قوي يمنع من اقتضائه أثره، فإنَّ الطبيعة إذا أخذت الدواء بقبول تام كان انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول، وكذلك القلب إذا أخذ الرقى والتعاويذ بقبول تام وكان للراقي نفس فعالة وهمة مؤثرة في إزالة الداء"[(٢)].

وبعد: فقد كان هذا ذكراً لبعض الآداب التي تجب علينا تجاه القرآن؛ والتي ينبغي للمسلم أن يحرص عليها وإلا كان هاجراً له وإن ادَّعى خلاف ذلك؛ قال ﷻ: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾الفرقان: ٣٠.

وقال ابن القيم ∴: "هجر القرآن أنواع: **أحدها:** هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه. **والثاني:** هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به. **والثالث:** هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه واعتقاد أنه لا يفيد اليقين وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم، **والرابع:** هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه، **والخامس:** هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلب وأدوائها

(١) أخرجه مسلم، برقم(٢٢٠١).

(٢) الداء والدواء(٣/١).

فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به. وكل هذا داخل في قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ الفرقان: ٣٠"[1].

(١) الفوائد، ص(٨٢).

الوحدة الثانية
آداب النفس

١) آداب الطعام والشراب.

٢) **آداب اللباس والزينة.**

٣) آداب المزاح والضحك.

٤) آداب التسوق.

٥) **آداب السفر.**

الأول: آداب الطعام والشراب:

الطعام والشراب نعمة من الله تعالى، ولا تقوم حياة الإنسان إلا بهما، وقد شرع الله للمسلمين

آدابا يتأدبون بها عند تناول الطعام أو الشراب من أبرزها ما يلي:

١) **التسمية في أول الطعام والحمد في آخره:** لما صحَّ من حديث عمر بن أبي سلمة ﷺ قال: كُنْتُ غُلاَمًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(يَا غُلاَمُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ)**[(١)]. فإن نسي فأكل ولم يسمِّ ثم ذكَر فليقل: (بسم الله أوله وآخره)[(٢)].

وأمَّا الحمد بعد الطعام والشراب فقد صحَّ فيه أنَّ النبي ﷺ كان إذا رفع مائدته قال: **(الحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلاَ مُوَدَّعٍ وَلاَ مُسْتَغْنًى عَنْهُ، رَبَّنَا)**[(٣)].

٢) **الأكل باليد اليمنى، ومما يليه من الطعام:** ففي حديث عمر ابن أبي سلمة السابق أنَّ النبي ﷺ قال له: **(يَا غُلاَمُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ)**. وعن ابن عمر م أنَّ النبي ﷺ قال: **(إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ)**[(٤)].

٣) **الجلوس معتدلا عند الأكل:** فعن أبي جحيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا آكل مُتَّكِئاً)**[(٥)]؛ وذلك لما فيه من الضرر الصحي، وربما كان بسبب الكبر والتعالي.

قال ابن القيم: " وَقَدْ فُسِّرَ الِاتِّكَاءُ بِالتَّرَبُّعِ، وَفُسِّرَ بِالِاتِّكَاءِ عَلَى الشَّيْءِ، وَهُوَ الِاعْتِمَادُ عَلَيْهِ، وَفُسِّرَ بِالِاتِّكَاءِ عَلَى الْجَنْبِ. وَالْأَنْوَاعُ الثَّلَاثَةُ مِنَ الِاتِّكَاءِ، فَنَوْعٌ مِنْهَا يَضُرُّ بِالْآكِلِ، وَهُوَ الِاتِّكَاءُ عَلَى الْجَنْبِ، فَإِنَّهُ يَمْنَعُ مَجْرَى الطَّعَامِ الطَّبِيعِيِّ عَنْ هَيْئَتِهِ، وَيَعُوقُهُ عَنْ سُرْعَةِ نُفُوذِهِ إِلَى الْمَعِدَةِ، وَيَضْغَطُ الْمَعِدَةَ، فَلَا يُسْتَحْكَمُ فَتْحُهَا لِلْغِذَاءِ، وَأَيْضًا فَإِنَّهَا تَمِيلُ وَلَا تَبْقَى مُنْتَصِبَةً، فَلَا يَصِلُ الْغِذَاءُ إِلَيْهَا بِسُهُولَةٍ.

وَأَمَّا النَّوْعَانِ الْآخَرَانِ: فَمِنْ جُلُوسِ الْجَبَابِرَةِ الْمُنَافِي لِلْعُبُودِيَّةِ "[(٦)].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري، برقم(٥٣٧٦)، ومسلم برقم(٢٠٢٢).

(٢) أخرجه الترمذي، برقم(١٨٥٨)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه البخاري، برقم(٥٤٥٨).

(٤) أخرجه مسلم، برقم(٢٠٢٠).

(٥) أخرجه البخاري، برقم(٥٣٩٨).

(٦) الطب النبوي، ص(١٦٤).

٤) **ألا يعيب الطعام إذا لم يعجبه:** لقول أبي هريرة ﷺ: **(مَا عَابَ النَّبِيُّ ﷺ طَعَامًا قَطُّ، إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِلَّا تَرَكَهُ)**[١]. وذلك لما في إعابة الطعام من الكبر واحتقار النعمة التي ينبغي أن تصان بحمد الله وشكره، والقناعة بالقليل منها؛ **بل كان ﷺ يمدح بعض الطعام إذا اقتضى الحال ذلك؛** ففي حديث جابر ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ أَهْلَهُ الْأُدُمَ، فَقَالُوا: مَا عِنْدَنَا إِلَّا خَلٌّ، فَدَعَا بِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ بِهِ، وَيَقُولُ: **(نِعْمَ الْأُدُمُ الْخَلُّ، نِعْمَ الْأُدُمُ الْخَلُّ)**[٢].

٥) **الاحتراز من التنفس في الإناء حال الشرب:** فعن أبي قتادة ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: **(إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلاَ يَتَنَفَّسْ فِي الإِنَاءِ)**[٣].

٦) **أكل ما تناثر من الطعام:** فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنَّه قال: **(إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا، فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذًى وَلْيَأْكُلْهَا، وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ، وَلَا يَمْسَحْ يَدَهُ بِالْمِنْدِيلِ حَتَّى يَلْعَقَ أَصَابِعَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةُ)**[٤].

٧) **استحباب لعق الأصابع بعد الأكل:** للحديث السابق، ولما صحَّ أيضا من حديث ابن عباس م أنَّ النبي ﷺ قال: **(إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلاَ يَمْسَحْ يَدَهُ حَتَّى يَلْعَقَهَا أَوْ يُلْعِقَهَا)**[٥].

٨) **الاقتصاد في الطعام:** للحديث الذي رواه المقدام بن معدي كرب قال: سمعت رسول الله ع يقول: **(مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ. بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلاَتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لاَ مَحَالَةَ: فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ)**[٦]. وقد ذكر العلماء أضرارا كثيرة للشبع وملء البطن من الناحية الصحية وغيرها مثل: قسوة القلب، والتجرؤ على المعاصي، وعدم الشعور بحاجة الآخرين، إلى غير ذلك.

٩) **عدم البدء بالطعام قبل من هو أحق منه لسنٍ أو مكانة:** لما رواه مسلم عن حذيفة ﷺ قال: **(كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا لَمْ نَضَعْ أَيْدِيَنَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَيَضَعَ يَدَهُ)**[٧].

---

(١) أخرجه البخاري، برقم(٣٥٦٣)، ومسلم برقم(٢٠٦٤).

(٢) أخرجه مسلم، برقم(٢٠٥٢)، وينظر: زاد المعاد، لابن القيم (٣٦٧/٢).

(٣) أخرجه البخاري، برقم(١٥٣)، ومسلم برقم(٢٦٧).

(٤) أخرجه مسلم، برقم(٢٠٣٣).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري، برقم(٥٤٥٦)، ومسلم برقم(٢٠٣١).

(٦) أخرجه الترمذي برقم(٢٣٨٠)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم(٣١٣٥).

(٧) أخرجه مسلم برقم(٢٠١٧).

١٠) **أن يبدأ بتقديم الشراب لصاحب المكانة، ثم يعطى من على يمينه،** لما ثبت في الصحيحين أنَّ رسول الله ﷺ أُتِيَ بلبن قد شِيبَ بماء، ومع يمينه أعرابي وعن شماله أبو بكر، فشرب ثم أعطى الأعرابي، وقال: (**الأَيْمَنَ فَالأَيْمَنَ**)[١].

١١) **أن يدعو لمضيفه إذا فرغ من الطعام:** لما روي عن أنس ﷺ: أنَّ النبي ﷺ جاء إلي سعد بن عبادة ﷺ فجاء بخبز وزيت، فأكل، ثم قال النبي ﷺ: (**أفطر عنَّدكم الصائمون، وأكل طعامَكم الأبرار، وصلَّت عليكم الملائكة**)[٢].

١٢) **ألا يأكل أو يشرب في آنية الذهب والفضة:** لما ثبت في الصحيحين عن أم المؤمنين أمِّ سلمة ك أنَّ رسول الله ﷺ قال: (**الَّذِي يَشْرَبُ فِي إِنَاءِ الفِضَّةِ إِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ**)[٣]. وفيهما أيضا من حديث حذيفة ﷺ أنَّ النبي قال ﷺ: (**لاَ تَلْبَسُوا الحَرِيرَ وَلاَ الدِّيبَاجَ، وَلاَ تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَلاَ تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَنَا فِي الآخِرَةِ**)[٤]. وذلك لما يسببه استعمال هذه الآنية من مظاهر الكبر والاستعلاء، وجرح لكرامة الفقراء والمساكين.

١٣) **أن يجتنب الأخطاء التي تحصل من البعض عند الأكل أو الشرب وهي تنافي كمال الذوق والأدب؛** ومن ذلك على سبيل المثال [٥]:

- عدم غسل اليدين غسلاً كافياً قبْل الأكل وبَعْده.
- التَّجَشُّؤ بطريقة مؤذية للآخرين، وذلك بصوت الجشاء ورائحته، سواء في أثناء الأكل أو في سواه.
- الجشع في الأكل ولو على حساب من معه دون أن يَشْعر بشعوره، فقد يكون الطعام قليلاً، وقد يكون من معه جائعاً أو أشد حاجة.
- عدم مراعاة شعور الآخرين في طريقة جلوسه، فلربما جَلَس متربِّعاً، في حين أنّ غيره لا يَجِدُ مكاناً للجلوس.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري، برقم(٥٦١٩)، ومسلم برقم(٢٠٢٩).

(٢) أخرجه أبو داود، برقم(٣٨٥٤)، وابن ماجه برقم(١٧٤٧)، وصححه الألباني.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري، برقم(٥٦٣٤)، ومسلم برقم(٢٠٦٥).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري، برقم(٥٤٢٦)، ومسلم برقم(٢٠٦٧).

(٥) ينظر: الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها، للرحيلي، ص(١٧٥-١٧٦).

- عدمُ مراعاة الذوق في أثناء الحديث على الطعام، فلربما ذَكَر بعض الأشياء التي بسببها يقوم بعض الناس عن الطعام.

الثاني: آداب اللباس والزينة:

إنَّ الإسلام دين الجمال والنظافة، ولذا شرع الله تعالى للمسلم الظهور بالمظهر الطيب الجميل في ملبسه وهندامه أمام الآخرين، ولذلك خلق الله سبحانه الزينة وأباحها للناس؛ فقال ﷻ: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾الأعراف: ٣٢ ، ويمكن أن نلخص ما شرعه الله من آداب للباس والزينة في الآتي:

١) وجوب ستر العورة وعدم كشف شيء منها إلا لضرورة: قال تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ﴾الأعراف: ٢٦.

٢) اجتناب المحَرَّم من اللباس والزينة؛ كالملابس التي يكون عليها صلبان أو صور ذوات الأرواح، وكالذهب والحرير للرجال.

فأمّا تحريم ماعليه صلبان؛ فلأنّ ذلك شعار أهل الكفر من النصارى الذين افتروه في دينهم.

وأما تحريم ما كان عليه صور ذوات الأرواح فلما صح من حديث عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً[1] فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْبَابِ فَلَمْ يَدْخُلْ، فَقُلْتُ: أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مِمَّا أَذْنَبْتُ، قَالَ: (**مَا هَذِهِ النُّمْرُقَةُ**) قُلْتُ: لِتَجْلِسَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدَهَا، قَالَ: (**إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ، وَإِنَّ المَلاَئِكَةَ لاَ تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ الصُّورَةُ**)[2].

وأما تحريم لبس الذهب للرجال فلما صحّ من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَى خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ، فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ، وَقَالَ: (**يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ**)[3].

وأما تحريم لبس الحرير للرجال فلما تقدم من حديث حذيفة ﷺ أنَّ النبي قال ﷺ: (**لاَ تَلْبَسُوا الحَرِيرَ وَلاَ الدِّيبَاجَ، وَلاَ تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَلاَ تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَنَا فِي الآخِرَةِ**)[4].

٣) لا يجوز تشبه الرجل بالمرأة ولا المرأة بالرجل؛ فقد روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس م قال: (**لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ**)[5].

---

(١) النُّمرُقة: الْوِسَادَةُ الَّتِي يُجْلَسُ عَلَيْهَا، ينظر فتح الباري(٣٨٩/١٠).

(٢) أخرجه البخاري، برقم(٥٩٥٧)، ومسلم برقم(٢١٠٧).

(٣) أخرجه مسلم برقم(٢٠٩٠).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أخرجه البخاري، برقم(٥٨٨٥).

٤) الحذر من الإسراف في اللباس أو الزينة، فإن كل ما زاد عن الحاجة فهو إسراف، قال تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾** ﴾ الفرقان: ٦٧، وقال النبي ع: (**كُلُوا، وَتَصَدَّقُوا، وَالْبَسُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ، وَلَا مَخِيلَةٍ**) [١]. فالإسراف: مجاوزة الحاجة. والمخيلة: الكبر.

٥) تحريم لبس ثياب الشهرة والاختيال؛ لما ورد أنَّ النبي ﷺ قال: (من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب مذلَّة"[٢].

"والمراد أن لا يلبس نهاية ما يكون من الحسن والجودة في الثياب على وجه يشار إليه بالأصابع ، أو يلبس نهاية ما يكون من الثياب الخَلِقِ – القديم البالي – على وجه يشار إليه بالأصابع ، فإن أحدهما يرجع إلى الإسراف والآخر يرجع إلى التقتير ، وخير الأمور أوسطها"[٣].

ومن الشهرة أيضا لباس ما تنكره عادات المجتمع وتقاليده ، وما يخالف في هيئته أو لونه ما يعرفونه ويألفونه ، مما يؤدي إلى حديث الناس عنه وغيبته والوقوع في نيته وقصده ، والمسلم مأمور بكف الغيبة عن نفسه.

٦) النظافة **والطهارة** أساس في اللباس والزينة؛ لأنَّ المسلم نظيف الظاهر والباطن.

٧) المحافظة على الأذكار الوارد عند اللباس، ومنها ما ورد أنَّ النبي ع إذا لبس ثوبا جديدا قال: (**اللَّهُمَّ أَنْتَ كَسَوْتَنِي هَذَا فَلَكَ الْحَمْدُ، أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ**)[٤].

٨) **العناية بإصلاح شعر الرأس واللحية وتسريحهما وتطييبهما؛** لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (**مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ**) [٥]

غير أن المبالغة في الاعتناء بالشعر والمنظر مذمومة؛ لما فيها من الإسراف وتضييع الوقت والجهد من غير فائدة، وقد (**نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ التَّرَجُّلِ إِلَّا غِبًّا**)[٦].

---

(١) أخرجه النسائي، برقم(٢٥٥٩)، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه ابن ماجه، برقم(٣٦٠٦)، وحسنه الألباني.

(٣) المبسوط، للسرخسي(٢٦٨/٣٠).

(٤) أخرجه أبو داود، برقم(٤٠٢٠)، وصححه الألباني.

(٥) أخرجه أبو داود، برقم(٣٦٣٢) وصححه الألباني. وقوله:(فليكرمه) "أي فليزينه ولينظفه بالغسل والتدهين والترجيل ولا يتركه متفرقاً، فإن النظافة وحسن المنظر محبوب" انتهى من حاشية "عون المعبود" (١١٨٣/٩).

(٦) أخرجه أبو داود، برقم(٣٦٢٨)، والترمذي، برقم(١٦٧٨)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي .

والترجل والترجيل: "تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينه". ينظر: غريب الحديث(٤٩٤/٢). وقوله: (إلا غباً) قال الإمام أحمد رحمه الله "يدَّهِن يوماً ويوماً لا" ينظر: المغني: (٦٧/١).

والحديث يدل على كراهة الاشتغال بالترجيل في كل يوم؛ لأنه نوع من الترفه، وقد ثبت من حديث فضالة بن عبيد ﷺ قال: **(إن رسول الله ﷺ كان ينهانا عن كثير من الإرفاه)**[1].

٩) البدء باليمين في كل لبس وتطيب وتزين ونحو ذلك؛ فقد كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ، فِي تَنَعُّلِهِ، وَتَرَجُّلِهِ، وَطُهُورِهِ، وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ[2].

١٠- يحرم في الزينة تغيير خلق الله بالوشم[3]، أو الوشر[4]، أو النمص[5]، أو غير ذلك؛ قال الله تعالى -مخبراً عن مكيدة الشيطان لبني آدم-: ﴿**وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ**﴾ النساء: ١١٩. وقال النبي ﷺ: **(لَعَنَ اللَّهُ الوَاصِلَةَ وَالمُسْتَوْصِلَةَ**[6]**، وَالوَاشِمَةَ وَالوَاشِمَةَ وَالمُسْتَوْشِمَةَ)**[7].

---

(١)أخرجه أبو داود، برقم(٤١٦٠)، والنسائي، برقم(٥٢٣٩)، وصححه الألباني، والإرفاه : الاستكثار من الزينة وأن لا يزال يهيئ نفسه" ينظر: نيل الأوطار، للشوكاني(١/١٥٩).

(٢) أخرجه البخاري، برقم(١٦٨).

(٣) الوشم: أن يُغرز الجِلد بإبرة ثم يُحسى بكحل أو نِيلٍ فيزرقّ أثره أو يخضرّ. النهاية في غريب الحديث والأثر(٥/١٨٩).

(٤) الوشر: تحديد الأسنان وترقيقها، تفعله المرأة الكبيرة تشبها بالصغيرات. المصدر السابق (٥/١٨٨).

(٥) النمص: نتف الشعر النابت في الوجه كالحاجبين ونحوها. المصدر نفسه(٥/١١٩).

(٦) الوصل: التي تصل شعرها بشعر آخر زور. المصدر نفسه(٥/١٩٢).

(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري، برقم(٥٩٣٣)، ومسلم برقم(٢١٢٤).

الثالث: آداب المُزاح والضحك:

المُزاح: مصدر من مَزَحَ يَمْزَحُ مَزْحاً ومُزاحاً ومُزاحةً: الدُّعابةُ، وهو نقيضُ الجِدِّ[1]. فهو كلام يراد به المباسطة بحيث لا يُفضي إلى أذى، فإن بلغ به الإيذاء فهو السخرية.

وقد ثبت في السنَّة أنَّ النبي ﷺ كان يمزح ولا يقول إلا حقّا؛ ومزح أصحابه ﷺ، ومن بعدهم من العلماء وأهل الفضل، اتِّباعاً لرسولهم ﷺ، ولم يخرجوا عن حدِّ الأدب في مزاحهم؛ وقد قيل: (الناس في سجن ما لم يمازحوا)؛ لكن لابد للمزاح والضحك من آداب، وفيما يلي ذكرٌ لتلك الآداب التي تجب مراعاتها:

١) **ألا يكون فيه شيء من الاستهزاء بالدين**؛ فإنَّ هذا دأب المنافقين، وهو ناقض من نواقض الإسلام ولو كان على سبيل المزاح؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ ﴾ التوبة: ٦٥ - ٦٦. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ∴: "الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفرٌ، يكفر به صاحبه بعد إيمانه"[2]، ومن ذلك أيضا الاستهزاء بأنبياء الله ورسله † أو ببعضهم، أو الاستهزاء بالملائكة أو بكلام الله تعالى، أو باليوم الآخر أو بما ورد من نعيم القبر وعذابه، أو ببعض الأحكام الشرعية أو السنن المحمدية بحجة أنَّ ذلك من المزاح!.

٢) **خلوّه من الكذب**، وقد جاء في الحديث: (**وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالحَدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ القَوْمَ فَيَكْذِبُ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ**)[3].

٣) **ألا يكون فيه سخريةٌ أو حطٌّ من منزلة الممزوح معه**؛ قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾ الحجرات: ١١ ؛ بل يجب على المازح أن يكون أديباً؛ يراعي مشاعر الخلق، ولا يمزح مع الكبير والعالم بما لا يليق بمقامه وينبئ عن عدم توقيره له.

٤) **ألا يكون فيه غيبة، أو قذف أو شتم**، فإنَّ الغيبة والقذف من كبائر الذنوب كما هو معلوم.

٥) **أن يكون في الوقت المناسب**، فلا يكون -مثلاً- في وقت الوعظ، أو جلسة علم وجِدٍّ، أو نحو ذلك من الأمكنة والأزمنة التي لا يناسب المزاح فيها.

---

(١) ينظر: كتاب العين(١٦٧/٣)، ولسان العرب(٥٩٣/٢).

(٢) مجموع الفتاوى(٢٧٣/٧).

(٣) أخرجه الترمذي برقم(٢٣١٥)، وحسنه الألباني.

٦) **عدم ترويع الممزوح معه أو الإضرار به،** فقد جاء في الحديث: أنَّ أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يسيرون معه في مسير، فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى نبلٍ معه فأخذها، فلما استيقظ الرجل فَزِعَ، فضحك القوم. فقال ع: ما يضحككم؟ قالوا: لا، إلا أنَّا أخذنا نَبلَ هذا ففزع؟، فقال ﷺ: (**لا يحل لمسلم أن يُروِّع مسلماً**)[1].

٧) **ألا يكون فيه فُحش وبذاءة،** كبعض الطرائف التي يتناقلها الناس وفيها ما يخدش الحياء أو يجرِّئ على المعصية.

٨) **عدم الانهماك والمبالغة في المزاح؛** فيكون مضيعة للوقت، لأنَّ الجِدَّ من سمات المؤمنين، وما المزاح إلا رخصة وفسحة لاستمرار النفس في أداء واجبها، فبعض الناس لا يفرَّق بين وقت الجد واللعب، وينبغي ألا يؤدي المزاح إلى الإغراق في الضحك، بل مزاح معتدل لا يضر بشخص المازح بين الناس أو يسقط مكانته!.

٩) **ألا يكون مع السفهاء أو مع من لا تُعرف طبيعته،** لأنَّه متى مازح السفهاء ردُّوا عليه سفاهة فأضَّر ذلك بنفسه، وإن مزح مع من لا يعرف طبيعته فربَّما أدَّى ذلك إلى سوء الفهم وحدوث ما لا تُحمد عقباه.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم(٢٣٠٦٤)، وصححه شعيب الأرنؤوط.

الرابع: آداب التسوق:

إنَّ العيش الإنساني قائم على تبادل المصالح الحياتية التي تُعين على بقاء النفس البشرية وقضاء الحاجات المعيشية، ومن تلك المصالح: مصلحة البيع والشراء، التي يستفيد منها البائع والمشتري وغيرهما من شركاء الحياة الإنسانية، وسُميتْ السوقُ سوقًا: لأنَّ البائع يسوق سلعته إليها لبيعها، والمشتري يسوق تلك السلعة منه إلى رحله[1].

ولعظم حاجة الناس إلى هذه المصلحة فقد أباحها الشارع الحكيم، وحرَّم منها أشياء قليلة محدودة؛ لما في تلك المعاملات المحرَّمة من المضرة الدينية أو الدنيوية، العاجلة أو الآجلة، قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ البقرة: ٢٧٥.

ولما كان السوق موضعاً لاجتماع الناس على اختلاف مآربهم، ومكانا لتنوع تعاملاتهم فيه، كان لابد من ذكر بعض الآداب التي ينبغي مراعاتها من مرتاديه، ومن ذلك:

أولاً: غض البصر؛ والأمر بغض البصر يشترك فيه الرجال والنساء على حدٍّ سواء، لأنَّ حفظ البصر عن النظر المحرمات فيه حفظ للفرج من الوقوع في الحرام؛ قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ النور: ٣٠ - ٣١.

ثانياً: كفُّ الأذى؛ وعدم إيذاء الناس في أبدانهم أو أعراضهم، وهذا الأدب وإن كان واجبا في كل مكان إلا أنَّه يتأكد التنبيه عليه لمن يرتاد السوق؛ إذ هو مظنة اجتماع الناس وتزاحمهم، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ الأحزاب: ٥٨ن وفي الصحيحين أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: (**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**)[2]، وفيهما عن أَبي موسى رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: (إِذَا مَرَّ أَحَدُكُمْ فِي مَسْجِدِنَا، أَوْ فِي سُوقِنَا، وَمَعَهُ نَبْلٌ [أي: سهام]، فَلْيُمْسِكْ عَلَى نِصَالِهَا، -أَوْ قَالَ: فَلْيَقْبِضْ بِكَفِّهِ-، أَنْ يُصِيبَ أَحَدًا مِنَ المسْلِمِينَ مِنْهَا شَيْءٌ)[3]. ويُقاس على النبل جميع صور الأذى بأيِّ وجه كان.

---

(١) ينظر: مشارق الأنوار(٢/٢٣١).

(٢) أخرجه البخاري برقم(٦٤٨٤)، ومسلم برقم(٤١).

(٣) أخرجه البخاري برقم(٧٠٧٥)، ومسلم برقم(٢٦١٥).

ثالثاً: إفشاء السلام، وهو من الأمور التي حثَّ رسول الله ﷺ على إفشائها؛ فعن عبدالله بن عمرو م أنَّ رجلا سأل النبي ﷺ: أَيُّ الإسلام خيرٌ؟ قال: (**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**)[١].

رابعاً: الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر.

الأسواق مظنَّة وقوع التقصير، فربما يترك بعض الناس المعروف فيؤمرون به، ويفعلون بعض المنكرات فينهون عنها حفاظا على المجتمع، وقد جعل النبي ع هذا من آداب الطريق، والأسواق ملحقة بالطرقات في لزوم هذه الآداب، فقال ﷺ قال: (**إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ**). قالوا: يا رسول الله، ما لنا بدٌّ من مجالسنا نتحدَّث فيها. فقال ع: (**فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ**). قالوا: وما حقُّهُ؟، قال: (**غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ**)[٢].

خامساً: تعلُّم أحكام البيع والشراء، والتفقه في ذلك قبل مباشرته؛ حتى لا يُبرِم المسلم عقداً محرماً؛ كالربا وما فيه غرر، ونحو ذلك، أو يبيع شيئاً يحرم بيعه وشراؤه، سواء من الأطعمة أو الملبوسات أو غيرها، فقد روي أنَّ عمر بن الخطاب ﷺ كان يطوف في الأسواق ويقول: (**لا يبيعُ في سوقنا إلا مَن قد تفقَّه في الدين**)[٣].

سادساً: ألا يكثر التردد على الأسواق؛ لما في كثرة التردد من الانشغال بالدنيا، والافتتان بملاذها، ولأنَّ الأسواق أبغض البقاع إلى الله تعالى؛ فعن أبي هريرة ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: (**أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُهَا**)[٤]. قال النووي :: "قوله: (وأبغض البلاد إلى الله أسواقها)؛ لأنَّها محلَّ الغش والخداع والربا والأيمان الكاذبة وإخلاف الوعد والإعراض عن ذكر الله وغير ذلك مما في معناه... والمساجد محل نزول الرحمة، والأسواق ضدها"[٥]. وروى الإمام مسلم عن سلمان الفارسي ﷺ قال: (لَا تَكُونَنَّ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ وَلَا آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا، فَإِنَّهَا مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ، وَبِهَا يَنْصِبُ رَايَتَهُ)[٦]. فشبَّه السوق وفعل الشيطان بأهلها ونيله منهم بالمعركة؛ لكثرة ما يقع فيها من أنواع الباطل كالغش والخداع، والأيمان الخائنة، والعقود الفاسدة، والتعاملات المحرَّمة. وقوله (وبها ينصب رايته)

---

(١) أخرجه البخاري برقم(٢٨)، ومسلم برقم(٣٩).

(٢) أخرجه البخاري برقم(٢٤٦٥)، ومسلم برقم(٢١٢١).

(٣) شرح السنة (١٧/٨).

(٤) أخرجه مسلم برقم(٦٧١).

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم(٤٧٥/٢).

(٦) أخرجه مسلم برقم(٢٤٥١).

إشارة إلى ثبوت الشيطان هناك، واجتماع أعوانه إليه للتحريش بين الناس، وحملهم على هذه المفاسد المذكورة وغيرها[١].

سابعاً: أن تلتزم المرأة بالحجاب الشرعي؛ فإن كان للمرأة حاجة للسوق، وليس لها من يكفيها إياها فليكن خروجها لقضائها على حجاب كامل يرد عنها طمع الذي في قلبه مرض، ويكون حجابها غير ضيِّق ولا شفاف، ولا رقيق ولا وصَّاف، ولا مُزيَّن ولا جذَّاب لعيون الناظرين.

وعليها أن تخرج في الأوقات الآمنة، غير متعطرة، ولا متبخترة، ولا مبدية زينتها وفتنتها إعجابًا بنفسها، وفتنةً لغيرها، وألا تخلو بالبائع ليس معهما أحد، ولا تكثر الحديث ولا ترقق له القول؛ قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ الأحزاب: ٣٢، "وَالنَّهْيُ عَنِ الْخُضُوعِ بِالْقَوْلِ إِشَارَةٌ إِلَى التَّحْذِيرِ مِمَّا هُوَ زَائِدٌ عَلَى الْمُعْتَادِ فِي كَلَامِ النِّسَاءِ مِنَ الرِّقَّةِ وَذَلِكَ تَرْخِيمُ الصَّوْتِ"[٢].

ولقد حرص النبي ﷺ على تميز النساء عن الرجال، وقطع كل طريق يؤدي إلى فتنتهن أو الافتتان بهن، ولو كان ذلك في المسجد؛ فكيف بالأسواق ونحوها؟!. فعن أبي أسيد الأنصاري رضي الله عنه أَنَّهُ اختلط الرجال مع النساء في الطريق عند خروجهم من المسجد، فقال ع للنِّساءِ: (اسْتَأْخِرْنَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تَحْقُقْنَ الطَّرِيقَ[٣]، عَلَيْكُنَّ بِحَافَّاتِ الطَّرِيقِ)؛ فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إنَّ ثوبها ليعلق به من شدة لصوقها[٤].

ثامنا: كتابة قائمة بأسماء ما يحتاج شراءه من السوق حفاظا على الوقت وحتى لا يشتري ما لا يحتاجه فيدخل في الإسراف المحرم.

تاسعا: الحذر من التأثر بالإعلانات التسويقية والمسابقات الترويجية، فهي تهدف إلى بيع أكثر كمية ممكنه من البضائع، ومن يتأثر بها فربما يشتري ما لا يحتاج إليه، بالإضافة إلى ما في بعض المسابقات الترويجية من التحريم؛ لاشتمالها على الربا أو الميسر أو غير ذلك من المعاملات المحرمة.

---

(١) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم(١٦/٧).

(٢) التحرير والتنوير(٩/٢٢).

(٣) أي: توسطن الطريق. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر(٤١٥/١).

(٤) أخرجه أبو داود برقم(٥٢٧٢)، وحسنه الألباني.

الخامس: آداب السفر.

قد يحتاج الإنسان للسفر من بلد إلى بلد، وقد يضطر له أحيانا؛ والإنسان بطبعه يحب الترحال والانتقال من مكان إلى مكان؛ بل أصبح ذلك عند كثير من الناس متعة وأُنسا؛ فلا بدَّ أن يعرف المسلم آداب السفر التي جاء بها الإسلام؛ ومن ذلك مايلي:

أولاً: الاستخارة قبل السفر؛ عَنْ جَابِرٍ ﷺ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، كَالسُّورَةِ مِنَ القُرْآنِ: "إِذَا هَمَّ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي -أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ- فَاقْدُرْهُ لِي، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي -أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ- فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ، وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ"[(١)].

ثانياً: معرفة أحكام العبادات في الشفر، كالصلاة والصيام وغيرها؛ فإنَّ لها أحكاماً خاصة، كأحكام جمع وقصر الصلوات، وأحكام الصوم والقضاء، والمسح على الخفين، وإن كان السفر للحج أو العمرة فينبغي معرفة أحكامها قبل سفره، وغير ذلك.

ثالثاً: استئذان الوالدين إن لم يكن سفر فريضة، وهذا من البر بهما، ويظهر ذلك في وصيَّة النبي ﷺ للرجل الذي جاء يستأذنه في الجهاد، فقال له: **(أحيٌ والداك)؟**، قال: نعم. قال: **(ففيهما فجاهد)**[(٢)]. قال الحافظ ابن حجر :: "واستُدِلَّ به على تحريم السفر بغير إذن؛ لأنَّ الجهاد إذا مُنعَ مع فضيلته فالسفر المباح أولى؛ نعم؛ إن كان سفره لتعلم فرض عين؛ حيث يتعين السفر طريقًا إليه فلا منع، وإن كان فرض كفاية ففيه خلاف، وفي الحديث: فضل بر الوالدين وتعظيم حقِّهما وكثرة الثواب على برهما"[(٣)].

رابعاً: أن يتزوّد للسفر بما يحتاجه؛ وقد قال الله تعالى في التزوُّد لسفر الحج: ﴿**وَتَزَوَّدُوا**﴾ البقرة: ١٩٧؛ فأمر تعالى بالتزود للسفر، فإنَّ التزود فيه الاستغناء عن المخلوقين والكفِّ عن أموالهم سؤالا واستشرافا، وفي الإكثار منه نفعٌ وإعانة للمسافرين وزيادة قربة لرب العالمين[(٤)]. ويلحق بالتزود للسفر الاستعداد له بتفقد سيارته وصيانتها، وأخذ ما يحتاجه من المال معه.

---

(١) أخرجه البخاري برقم(٦٣٨٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٣٠٠٤)، ومسلم برقم(٢٥٤٩).

(٣) فتح الباري(٦/١٧٤).

(٤) ينظر: تفسير السعدي(١/٩١).

خامساً: أن يختار رفقته، وأن يؤمِّروا أحدهم إذا كانوا ثلاثة فأكثر؛ إذ يُستحب للإنسان إذا أراد سفراً أن يبحث عمَّن يرافقه في سفره ممن يُتوقَّع منه الإعانة على البر والتقوى، فإنَّ الوحدة مظنَّة الضعف أو الهلكة؛ فعن ابن عمر س أنَّ النبي ع قال: (**لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الوَحْدَةِ مَا أَعْلَمُ، مَا سَارَ رَاكِبٌ بِلَيْلٍ وَحْدَهُ**)[1].

وإذا كان الصحبة في السفر ثلاثة فأكثر استُحب لهم أن يؤمِّروا أحدهم؛ لما ثبت أنَّ النبي ﷺ قال: (**إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ**)[2]. وإنَّما كان التأمير في السفر ليسلم الركب من التنازع والفوضى والاختلاف، وأن يقودهم الأمير لما فيه الخير والصلاح والنفع لهم، ويُرتِّب سيرهم وكافة أمورهم[3].

سادسا: يُستحب السفر يوم الخميس، وأن يكون السفر مبكراً، لما صحَّ أنَّ النبي ﷺ كان يحب أن يخرج يوم الخميس[4]، وفي رواية: (لَقَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْرُجُ إِذَا خَرَجَ فِي سَفَرٍ إِلَّا يَوْمَ الخَمِيسِ)[5].

والتبكير في السفر وغيره سنَّة عن النبي ع، ولو لم يكن في ذلك إلا رجاء أن يصيب فضل دعوة النبي ﷺ للمبكرين لكان ذلك كافيا؛ فقد روى صخر الغامدي ﷺ، عن النبي ع قال: (**اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا**)، وَكَانَ ﷺ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشًا بَعَثَهُمْ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ، وَكَانَ صَخْرٌ رَجُلًا تَاجِرًا، وَكَانَ يَبْعَثُ تِجَارَتَهُ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ فَأَثْرَى وَكَثُرَ مَالُهُ[6].

سابعاً: أن يدعو بالأدعية المشروعة للسفر، ومن ذلك ماروه ابن عمر م أَنَّ رسول الله ع كان إذا استوى على بعيره خارجا إلى سفر، كَبَّرَ ثلاثا ثم قال: (**سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا، وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ، اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ**)، وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ: (**آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ**)[7].

---

(١) أخرجه البخاري برقم(٢٩٩٨).

(٢) أخرجه أبو داود برقم(٢٦٠٨)، عن أبي سعيد الخدريﷺ، وحسنه الألباني.

(٣) ينظر: المختصر في أحكام السفر(ص٤١).

(٤) أخرجه البخاري برقم(٢٩٥٠).

(٥) المرجع السابق برقم(٢٩٤٩).

(٦) أخرجه الترمذي برقم(١٢١٢) وصححه الألباني.

(٧) أخرجه مسلم برقم(١٣٤٢).

ثامناً: وجود مَحرَمٍ للمرأة، فقد قال النبي ﷺ: (**لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، تُسَافِرُ مَسِيرَةَ يَوْمٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ**)[١]. وعن ابن عباس م أنَّه سمع النبي ع يقول: (**لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ، وَلاَ تُسَافِرَنَّ امْرَأَةٌ إِلَّا وَمَعَهَا مَحْرَمٌ**)، فقام رجل فقال: يارسول الله، اكْتُتِبْتُ في غزوة كذا وكذا، وخرجت امرأتي حاجَّةً، قال: (**اذْهَبْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ**)[٢]. قال النووي :: "فِيهِ تَقْدِيمُ الْأَهَمِّ مِنَ الْأُمُورِ الْمُتَعَارِضَةِ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا تَعَارَضَ سَفَرُهُ فِي الْغَزْوِ وَفِي الْحَجِّ مَعَهَا رَجَحَ الْحَجُّ مَعَهَا؛ لِأَنَّ الْغَزْوَ يَقُومُ غَيْرُهُ فِي مَقَامِهِ عَنْهُ بِخِلَافِ الْحَجِّ مَعَهَا"[٣].

تاسعاً: استحباب الاسراع في العودة إذا انقضت حاجته، فعن أبي هريرة ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: (**السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ العَذَابِ، يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَنَوْمَهُ، فَإِذَا قَضَى نَهْمَتَهُ، فَلْيُعَجِّلْ إِلَى أَهْلِهِ**)[٤]. قال الحافظ ابن حجر :: "وفي الحديث كراهة التغرُّب عن الأهل بغير حاجة، واستحباب استعجال الرجوع؛ ولاسيما من يخشى عليهم الضيعة بالغيبة، ولما في الإقامة في الأهل من الراحة المعينة على صلاح الدين والدنيا، ولما في الإقامة من تحصيل الجماعات والقوة على العبادة"[٥].

عاشراً: كراهية القدوم على الأهل فجأة دون علمهم؛ فلقد نهى النبي ﷺ المسافر أن يفجأ أهلَه بالقدوم ليلاً؛ فعن جابر بن عبد الله م قال: قال رسول الله ﷺ: (**إِذَا أَطَالَ أَحَدُكُمُ الغَيْبَةَ فَلاَ يَطْرُقْ أَهْلَهُ لَيْلًا**)[٦]. والعلة في ذلك ما جاء في رواية أخرى: (**لِكَيْ تَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ، وَتَسْتَحِدَّ الْمُغِيبَةُ**)[٧].

---

(١) أخرجه مسلم برقم(١٣٣٩).

(٢) أخرجه البخاري برقم(٣٠٠٦)، ومسلم برقم(١٣٤١).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم(٩/١١٠).

(٤) أخرجه البخاري برقم(١٨٠٤)، ومسلم برقم(١٩٢٧).

(٥) فتح الباري(٣/٧٩٥).

(٦) أخرجه البخاري برقم(٥٢٤٤).

(٧) أخرجه البخاري برقم(٥٢٤٧)، ومسلم برقم(٧١٥).ومعنى (الشعثة) أي: غير المتزينة، وهي منتشرة الشعر مغبرة الرأس. (تستحد) أي: تستعمل الحديدة في إزالة شعر الإبط والعانة ونحو ذلك. (المغيبة) هي: المرأة التي غاب عنها زوجها. ينظر: فتح الباري(٩/١٣٢).

القسم الرابع: الأخلاق والآداب المهنية:

الوحدة الأولى: تعريف المهن وضوابطها وأخلاقها.

الوحدة الثانية: نماذج من أخلاق المهن وآدابها، الطريق إلى الأخلاق.

الوحدة الأولى

تعريف المهن وضوابطها وأخلاقها.

الأول: تعريف المهن وضوابطها.

تعريف آداب المهنة:

المهنة: لغةً: الحِذْق بالخدمة والعمل ونحوه[١].

واصطلاحًا: مجموعة من الأعمال تتطلب مهارات معينة يؤديها الفرد من خلال ممارسات تدريبية[٢].

وآداب المهنة هي: مجموعة القيم والنظم المحققة للمعايير الإيجابية العليا المطلوبة في أداء الأعمال الوظيفية والتخصصية، وفي أساليب التعامل داخل بيئة العمل، ومع المستفيدين، وفي المحافظة على صحة الإنسان، وسلامة البيئة[٣].

والمقصود بالقيم: الصفات النفسية والسلوكية الحسنة للعامل والمهني.

والنظم: الضوابط والشروط الفنية التي تحكم الأداء الوظيفي والمهني في صورة لوائح وقوانين.

والمعايير: المواصفات المحددة للأساليب العملية والسلوكية في أداء العمل.

أهمية آداب المهنة:

تظهر أهمية دراسة آداب المهنة من وجوه عدة؛ منها ما يلي:

١) عظمة مكانة الأخلاق في الإسلام، وشمولها لجميع جوانب الحياة، ومنها المهن؛ إذ يعتبر وجود الأخلاق في المهن عملا صالحا يتقرب به صاحب المهنة إلى ربه ويرجو المثوبة عليه، فليس الهدف من ممارسة المهنة هو الكسب المادي فحسب بعيدا عن أحكام الدين الجليلة وأخلاقه العظيمة.

٢) الحاجة إلى تقوية العلاقة بين العاملين؛ فعندما تكون الأخلاق الحسنة –كالصدق والتعاون والاحترام والأمانة– هي الأخلاقيات المنتشرة بين العاملين مع بعضهم فإنَّ هذا يؤدِّي إلى قوة العلاقة بينهم، مما يكون له الأثر الإيجابي لصالح العمل، بينما إذا كانت الأخلاق السيئة –كالخداع والخيانة والكذب والإساءة– هي المنتشرة بينهم فإنَّ العلاقة بينهم ستسوء ويؤثر ذلك على جودة العمل وإتقانه.

٣) إرساء أخلاقيات العمل في المنظمات والمؤسسات والإدارات، ووجود قوانين وتشريعات يساعد على الحدِّ من الاختلاف، وتهدئة الاضطرابات التي تنشأ داخل بيئات العمل؛ فوجود قائمة بالأخلاق المهنية يساعد على جعل الطريق واضحاً لدى صاحب المهنة والعامل فيها والمستفيد منها على حدٍّ سواء.

٤) تغيُّر كثير من الأنماط المعهودة في المهن مع التطور الكبير الذي طرأ عليها خاصة مع دخول التقنيات الحديثة، والذي أثر كثيرا على ما كان متأصلا في النفوس من أخلاق مهنية مصاحبة للمهن والأعمال،

---

(١) ينظر: لسان العرب (٢٤٢/٣)، مختار الصحاح(ص٦٣٨).

(٢) أخلاقيات العمل للسكارنة (ص٢٧).

(٣) أخلاق المهنة أصالة إسلامية ورؤية عصرية (ص١١٠).

حتى أضحت هذه الأخلاق منفصلة عن المهن، لا يؤبه بتطبيقها أو اشتراطها في مزاولة المهن؛ فصارت الحاجة داعية للتركيز على تعلُّم وتعليم أخلاقيات المهنة.

ضوابط المهن في الإسلام:

إنَّ ضوابط ممارسة العمل المهني والوظيفي هي في الحقيقة أحكام شرعية يلزم المسلم التخلق بها، وأبرز هذه الضوابط ما يلي:

الأول: أن تكون المهنة مشروعة مباحة:

يجب أن تكون العمل الذي يمتهنه المسلم مباحاً شرعا، فالحلال الطيِّب هو الأساس الذي يقوم عليه طلب الرزق، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ البقرة: ١٧٢. وقال تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾ المائدة: ٤. وقد نصَّ العلماء على ما يحرم من المعاملات، وهي قليلة إذا ما قورنت بالحلال المباح من المعاملات.

الثاني: أن تكون نافعةً:

فإنَّ الهدف من الوظائف والمهن أن ينفع الإنسان نفسه، ومجتمعه، ووطنه، فعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ: فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: يَعْمَلُ بِيَدِهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ. قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ وَلْيُمْسِكْ عَنْ الشَّرِّ؛ فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ)**[1].

والنفع أبوابه كثيرة؛ منها الديني، والاجتماعي، والاقتصادي، والأخلاقي، ولا خير في وظيفة لا نفع فيها، فضلاً عن كونها ضارّة؛ والضرر يشمل: الضرر المعنوي، والأخلاقي، والحسِّي.

فالضرر المعنوي منه: ما يتضمن الإضرار بعقيدة الإنسان وفكره، كإنتاج برامج أو إصدارات إلكترونية تشكِّك في العقيدة الإسلامية، أو تنشر الإلحاد وتدعو للديانات المحرّفة، أو طباعة الكتب التي تتناول ذلك.

والأخلاقي: ما يُفسد أخلاق المجتمع؛ كشركات الإعلام التي فيها محاربة للفضيلة ونشر للرذيلة، وإشاعة العري، وكذلك مواقع الانترنت الإباحية، ونحوها.

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (١٤٤٥)، ومسلم برقم(١٠٠٨).

والحسِّي: كالإضرار بالجسد والصحة؛ وذلك بالعمل أو المساهمة في شركات التدخين أو الخمور، أو زراعة المخدرات أو تصنيعها، أو صناعة الأدوية المقلَّدة والمغشوشة، أو تسويق وإنتاج المواد الغذائية المطعَّمة بالعناصر الضارَّة.

وخلاصة القول: أنَّ المهنة إذا تضمنت ضرراً متيقَّناً على النفس، أو المجتمع، أو البلد، حُرِّمت؛ لأنَّ الضرر منصوصٌ على تحريمه في الشرع، فعن ابن عباس م أنَّ النبي ﷺ قال: (**لَا ضَرَرَ وَلَا إِضرَارَ**)[1].

الثالث: أن لا تفضي المهن إلى ارتكاب محرم شرعا:

إنَّ من شروط أيِّ عمل أن لا يؤدي إلى محرم؛ فربما يكون العمل في أصله مشروعا، لكنَّه يُفضي إلى محرم، كبيع العنب لمن يجعله خمرًا، وبيع السلاح لمن يحارب به المسلمين أو يهدد أمن بلادهم واستقرارها.

وكذلك كل عمل يؤدي إلى الإخلال بالضرورات الخمس، وهي: الدين، والنفس، والعقل، والمال، والنسل فيحرم اتخاذه مهنة وعملا.

وأيضا إنَّ كان القيام بالمهنة يستلزم محرما ككتابة الربا، أو تبرج المرأة، أو خلوتها بالرجال الأجانب عنها، فيحرم العمل به، فلقد أمرت الشريعة المرأة بالحشمة، والحياء، والوقار، والحجاب، فالحجاب فريضة وعبادة، وليس تقليدا أو عادة، قال سبحانه: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ**﴾الأحزاب: ٥٩. وحرَّمت الخلوة مع الأجنبي؛ فعن ابن عباس م عن النبي ﷺ قال: (**لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ**)[2]. وعن عمر بن الخطاب ﷺ عن النبي ﷺ قال: (**لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ**)[3].

ولا شك أنَّ هذا الضابط له أهميته البالغة؛ خصوصا في المظان التي يكثر الاختلاط فيها بين الرجال والنساء، أو يُحتمل فيها وقوع الخلوة بين الرجل والمرأة؛ ولا يقصد من ذلك منع المرأة من العمل، بل قد عملت المرأة المسلمة في كثير من الميادين التي تتلاءم مع طبيعتها ولا تؤدي للإضرار بها أو وقوعها فيما حرَّم الله ﷻ عليها.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، برقم(٢٨٦٥). والحاكم في المستدرك، برقم(٢٣٤٥)، وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وحسنه النووي.

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٥٢٣٣)، ومسلم، برقم (١٣٤١).

(٣) أخرجه الترمذي، برقم (٢١٦٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

الثاني: الأخلاق المهنية.

تنقسم الأخلاق والتصرفات المهنية إلى قسمين: محمودة ومذمومة، وفيما يلي بيان ذلك:

أولا: الأخلاق المحمودة:

الأخلاق المحمودة هي التي حثَّ عليها الشرع، ولها أثر في نجاح المهن، وموافقتها لما يريده الله تعالى من مشروعيتها؛ ليكون العمل بها عبادة تُقرِّب العامل من ربه لأ، ويؤجر على قيامه بها، وفي مايلي بيان لأبرز تلك الأخلاق:

١) الأمانة:

الأمانة لغةً: ضد الخيانة [١].

والأمانة في جانبها النفسي: خلق ثابت في النفس يعف به الإنسان عما ليس له به حق، ويؤدي به ما عليه [٢].

مكانة الأمانة في الإسلام:

الأمانة صفة رئيسة من صفات عباد الله المؤمنين، قال الله تعالى في وصف عباده المؤمنين: ﴿ **وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ۝٨** ﴾ المؤمنون: ٨. وأمر بها النبي ﷺ فقال: (**أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ**)[٣].

وقد نفى النبي ﷺ كمال الإيمان عمن لا أمانة له، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قَلَّمَا خطبنا رسول الله ﷺ إِلَّا قال: (**لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ**)[٤].

وهي مسؤولية تحمَّلها الإنسان فبجب عليه التزامها والقيام بها في كل حالاته بما فيها أعماله الوظيفية، كما قال الله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٢٧** ﴾ الأنفال: ٢٧. والآية تدل على أنَّها أمانات متعددة متنوعة وليست أمانة ف جانب واحد.

ومن أبرز أمثلة الأمانة في الأعمال المهنية مايلي:

١ـ الالتزام بأوقات العمل الوظيفي حضورا وانصرافا، وحسن استثمارها فيما يُحقق مصلحة العمل.

٢ـ التزام الموظف بالتقيد بتعليمات إدارة العمل فيما لا يتعارض مع الشريعة والأنظمة الإدارية المعتبرة.

---

(١) مقاييس اللغة(١/١٣٣).

(٢) ينظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها، لعبدالرحمن حبنكة الميداني، ص(٦٤٥).

(٣) أخرجه أبو داود، برقم(٣٥٣٥)، والترمذي، برقم(١٢٦٤)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٤) أخرجه أحمد في المسند، برقم(١٢٥٦٧)، وقال المحققون: حديث حسن.

٣. الالتزام بحفظ الأسرار المهنية التي يطَّلع عليها الموظف بنا على طبيعة عمله.

٤. التزام الموظف ووفاؤه بما نصَّ عليه عقد العمل من شروط وبنود.

٥. التزام الموظف بحفظ مال الجهة التي يعمل فيها، وعدم التصرف في شيء منه –مهما كان يسيرا– بدون إذن صاحب الصلاحية في ذلك.

٢) القوَّة:

إنَّ خلق القوَّة هو المؤهل الأول للقيام بأعمال المهن والوظائف، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ** ﴿٢٦﴾﴾ القصص: ٢٦ ، وقد أشاد النبي ﷺ بالمؤمن القوي، فقال: (**المؤمن القويّ خيرٌ وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف**)[١]، والعموم في الحديث يدلَّ على جميع أنواع القوة، فالمؤمن القويُّ جسداً، والمؤمن القويُّ عقلاً، والمؤمن القويُّ إيماناً خيرٌ من غيرهم من المؤمنين الضعفاء في هذه الجوانب.

والقوة في القيام بالعمل تختلف من مهنة لأخرى كلٌ بحسبها، قال ابن تيمية :: "القوة في كل ولايةٍ بحسبها: فالقوة في إمارة الحرب ترجع إلى شجاعة القلب والخبرة بالحروب والمخادعة فيها، والقوة في الحكم بين الناس ترجع إلى العلم بالعدل والقدرة على تنفيذ الأحكام"[٢].

والقوة بالنسبة للموظف أو العامل نوعان: جسدية، ومعنوية؛ فالجسدية: هي قدرته على القيام بالعمل بحيث لا يوجد فيه ما يمنعه من القيام به من مرض أو عاهة.

والمعنوية: تعني القوة العلمية، التي تشمل التمكُّن في التخصص، واستغلال القدرات والإمكانات، ومتابعة التطوير والتجديد، وهذا النوع من القوة مُقدَّم على القوة المادية.

ويُعدُّ التطوير شكلاً من أشكال القوة العلمية، وصفة من صفات الموظف الناجح الذي يسعى لتحسين أدائه وأداء الجهة التي ينتمي إليها، والتجديد في الأساليب الوظيفية والأنظمة سمة الحيوية في المؤسسات، أمَّا الجمود فهو مؤشِّر الفشل؛ ذلك أنَّ ما يصلح لوقتٍ قد لا يصلح لوقت آخر، وما يناسب أناساً لا يُناسب آخرين، وما كان مفيداً في السابق قد لا يكون مفيداً الآن، ثم إنَّ الحياة بطبيعتها تتجدد يومياً، والحياة الوظيفية تتجدد أيضاً، فشركات تنشأ وشركات تنهار، ومنتجاتٌ تظهر وأخرى تندثر، وأنظمة تقرَّر ومثلها تلغى؛ لذا فإنَّ من لا يواكب التطوُّر فإنَّ ذلك دليل ضعف فيه ينبغي له معالجته واستدراك مافاته بسبب ذلك الضعف والجمود.

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢٦٦٤).

(٢) السياسة الشرعية (ص١٩).

٣) العدل

العدل لغةً: ما قام في النفوس أنَّه مستقيم، وهو ضد الجور[١].

واصطلاحا: وضع كل شيء في موضعه اللائق به، من غير زيادة ولا نقصان[٢].

وقد أمر الله تعالى بالعدل في كل شؤون الحياة؛ فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ النحل: ٩٠. وجعله الله شرطاً للحكم بين الناس وتولِّي أمورهم؛ فقال ﷻ: ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ﴾النساء: ٥٨.

والعدل في الإسلام عدلٌ مطلق؛ لا يتوقف عند أصحاب دين معين، ولا جنس بعينه، ولا عصبيات، ولا قبليات، ولا مصالح، ولا محسوبيات، وبهذا أمر الله تعالى فقال:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْ﴾ النساء: ١٣٥.

وقد بيَّن النبي ﷺ منزلة العادلين في أحكامهم وولاياتهم؛ فعن ابن عمر م قال: قال رسول الله ﷺ: **(إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا)**[٣].

مفهوم العدل في الوظيفة:

إنَّ للعدل في أداء الوظيفة أربعة جوانب، هي:

الأول: العدل في تعامل الرئيس مع مرؤوسيه: ومن ذلك: العدل في التوظيف، والتقويم، والحوافز؛ وإعطاء كل ذي حقٍّ حقَّه، ومعاملة الجميع بنفس الدرجة من الاحترام والمودة وتطبيق الأنظمة، ونحو ذلك.

الثاني: العدل في تعامل الموظفين مع رئيسهم: ومن ذلك: عدم تتبع سلبيات رؤسائهم والإعراض عن حسناتهم، أو غيبتهم، أو تحميل أفعالهم وأقوالهم غير ما تحتمل، وتفسيرها وفق أهوائهم، أو التقليل من شأنهم، أو طاعتهم في معصية أو رفعهم فوق منزلتهم.

الثالث: العدل بين الموظفين بعضهم مع بعض: وذلك بأن يكون بينهم الاحترام المتبادل، ولا يتحيَّز بعضهم لبعض دون بقية الزملاء، وأن ينجز الموظف ما يُكلَّف به من أعمال، ولا يتدخَّل في شؤون غيره من الموظفين، وأن يبتعد عن الأنانية أو الظهور على حساب غيره من زملاء العمل.

الرابع: عدل الموظف مع المستفيدين: "يجب أن يتسم الموظف بالعدل بين جميع عملائه على حدٍّ سواء، بحيث يعطي لكل ذي حقٍّ حقَّه، فلا يميز أحد المراجعين على الآخر، لتجنب المحسوبية، ولا يجوز

---

(١) لسان العرب، لابن منظور(١١/٤٣٠).

(٢) ينظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها(١/٥٦٩).

(٣) أخرجه مسلم، برقم(١٨٢٧).

للموظف أن يُقدِّم أقرباءه أو أصدقاءه على المراجعين الآخرين لا في العطاء ولا في الدور، ولا في أي مظهر من مظاهر التمييز"[١]

٤) الإتقان:

الإتقان لغةً: الإحكام[٢]. **واصطلاحا:** الأداء المتكامل لشخص محترف في أيِّ مجال عملي[٣].

إنَّ الإتقان والجودة في الأداء المهني من الأمور التي حثَّ عليها الإسلام واحتفى بها، وهو سبيل للفوز بحبِّ الله تعالى. ومن الأدلة على فضل الإتقان وأهميته ما روته عائشة **ك** أنَّه ﷺ قال: **(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ)**[٤]. وعن شداد بن أوس ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: **(إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ؛ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ)**[٥].

وأساس الإتقان الاتصاف بصفتي الحفظ والعلم، وهما اللتان اعتبرهما نبي الله يوسف عليه السلام مؤهلاً له أن يتولى خزائن مصر في حينه، حيث قال مخاطباً ملك مصر: ﴿ **اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ** ﴾ يوسف: ٥٥. "أي: حفيظٌ للذي أتولاه، فلا يضيع منه شيء في غير محلِّه، وضابط للداخل والخارج، عليم بكيفية التدبير والإعطاء والمنع، والتصرف في جميع أنواع التصرفات"[٦]، وهذه هي أهم أسباب الإتقان في العمل، أمَّا أسباب ضعفه فتتلخص فيما يأتي:

١. ضعف تعظيم الله ومراقبته.
٢. جهل العامل بمتطلبات العمل ومستلزماته، فلا يتمكن من أدائه على الوجه المطلوب.
٣. إسناد العمل لغير أهله[٧].

٥) التعاون: والتعاون لغة: العون هو الظهير، ورجل معوان: كثير المعونة للناس[٨].

واصطلاحا: المساعدة على الحقِّ ابتغاء الأجر من الله سبحانه[٩].

---

(١) كتاب: التزام الموظف، ص(٤٥).

(٢) ينظر: لسان العرب، لابن منظور(٧٣/١٣)، والقاموس المحيط، للفيروزآبادي، ص(٨٦٧).

(٣) ينظر: الوجيز في أخلاقيات العمل(ص٩٦).

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، برقم(٥٣١٣). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم(١١١٣).

(٥) أخرجه مسلم برقم(١٩٥٥).

(٦) تفسير السعدي(٤٠٠/١).

(٧) ينظر: الوجيز في أخلاقيات العمل(ص٩٦).

(٨) ينظر: التعريفات(ص٥١)، ولسان العرب(٢٩٩/١٣)

(٩) ينظر: موسوعة الأخلاق للخراز(ص٤٤١).

لقد أمر الله تعالى عباده بالتعاون على الخير، ونهاهم عن التعاون على الشر فقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ المائدة: ٢. قال الماوردي ﷺ: "ندب الله تعالى إلى التعاون وقرنه بالتقوى له فقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ لأنَّ في التقوى رضا الله تعالى، وفي البر رضا الناس، ومن جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته"(١). وقال ابن تيمية ﷺ: "وكل بني آدم لا تتم مصلحتهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالاجتماع والتعاون والتناصر: فالتعاون والتناصر على جلب منافعهم؛ والتناصر لدفع مضارهم"(٢).

وقد بشَّر النبي ﷺ من يبذلون العون لمحتاجه بعون الله لهم؛ لأنَّ الجزاء من جنس العمل، فعن ابن عمر م: (**وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)(٣). وعنه أيضا أنَّ النبي ﷺ قال: (**أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَئِنْ أَمْشِي مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ شَهْرًا فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ**)(٤).

وقد أنكر الإسلام النزعة الفردية والأثرة والأنانية، فالإيمان ما إن يستقر في قلب المؤمن حتى يعبر عن ذاته بحركة خيِّرة نحو الآخرين؛ ليكونوا كالجسد الواحد، فعن أبي موسى الأشعري ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: (**الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**)(٥).

ومن أبرز أمثلة التعاون في الأعمال المهنية:

١. استفادة كل فرد من خبرات وتجارب الآخرين وإفادتهم بما عنده منها.
٢. تقاسم الأعمال المهنية لتخفيف العبء وتوزيع الجهد فيما بين أفراد العمل؛ مما يؤدي إلى سهولة إنجاز الأعمال الكبيرة التي لا يقدر عليها الفرد بمفرده.
٣. مساعدة الشخص المقتدر لمن يعجز عن أداء مهامه لضعف فيه أو لكثرة تلك المهام وصعوبة إنجازها.
٤. قيام البعض بأداء مهام الزميل الغائب أو العاجز لمرض ونحوه.

---

(١) أدب الدنيا والدين(١٤٦).

(٢) فتاوى ابن تيمية(٦٢/٢٨).

(٣) أخرجه البخاري، برقم(٢٤٤٢)، ومسلم، برقم(٢٥٨٠).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير، برقم(١٣٦٤٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم(٩٠٦).

(٥) أخرجه البخاري برقم(٤٨١)، ومسلم برقم(٢٥٨٥).

فإذا انتشر خلق التعاون في البيئة المهنية فإنَّها تجني فوائد كثيرة منها [1]:

١. القضاء على الأنانية وحبِّ الذات.

٢. يزيل الضغائن والحقد والحسد من القلوب ويُكسِب الموظفين حبَّ الخير للآخرين.

٣. يدفع العاملين لبذل المزيد من الجهد في العمل، وسرعة تنفيذ المهام التي يُكلَّفون بها.

٤. يحدُّ من الازدواجية في العمل، ويورث القوة والتماسك بين جميع العاملين.

٥. يساعد على استثمار الملكات والطاقات المهدرة بما يعود بالخير والمصلحة على الفرد والمجتمع.

٦. يجعل جميع الأفراد يشعرون بالسعادة.

(١) ينظر: موسوعة الأخلاق الإسلامية(١/١٣٢).

ثانياً: الأفعال المذمومة في المهن

تقدَّم أنَّ التصرفات البشرية منها محمود، ومنها مذموم، وقد سبق الحديث عن أبرز الأخلاق والآداب المحمودة في المهن، وجاء وقت الحديث عن الأفعال والتصرفات المذمومة، وذِكر نماذج منها؛ تحذيراً من الاتصاف بها، وبياناً لطرق الخلاص منها، ومن أبرز تلك الأفعال:

أولًا: الفساد الإداري

الفساد الإداري: هو المتاجرة بالوظيفة وامتيازاتها، واستغلال النفوذ لغير الأغراض القانونية الموجودة من أجلها[1].

ويعد الفساد الإداري من أشد ما يصيب الدوائر والمؤسسات، هو مؤشر على ضعف القيم الأخلاقية، ومنذر بخطر عظيم على المجتمعات.

أنواع الفساد الإداري:

يقسم الفساد الإداري إلى أربع مجموعات، وهي:

١) **الانحرافات التنظيمية:** ويقصد بها المخالفات التي تصدر عن الموظف في أثناء تأديته لمهمات وظيفته، والتي تتعلق بصفة أساسية بالعمل، ومن أهمها:

١- عدم احترام العمل أو امتناع الموظف عن أداء العمل المطلوب منه.

٢- التراخي في تنفيذ أوامر الرؤساء والتلكؤ عن تقديم ما يجب من الأعمال والمهام.

٣- السلبية وعدم تحمل المسؤولية.

٤- إفشاء أسرار العمل.

٢) **الانحرافات السلوكية:** ويقصد بها: المخالفات الإدارية التي يرتكبها الموظف وتتعلق بمسلكه الشخصي وتصرفاته، ومن أهمها:

١-عدم المحافظة على كرامة الوظيفة: ومن صور ذلك: ارتكاب الموظف لفعل مخلٍّ بالحياء في العمل، كاستعمال المخدرات، أو التورط في الجرائم الأخلاقية.

٢-سوء استعمال السلطة: ومن صورها: تقديم المصالح الشخصية، وتجاوز اعتبارات العدالة الموضوعية في منح أقارب أو معارف المسؤولين أشياء يُحرم منها غيرهم.

٣) **الانحرافات المالية:** ويقصد بها المخالفات المالية والإدارية التي تتصل بسير العمل المنوط بالموظف، وتتمثل هذه المخالفات فيما يلي:

١. مخالفة القواعد والأحكام المالية المنصوص عليها داخل المنظمة.

٢. الإسراف في استخدام المال العام: ومن صوره: تبديد الأموال العامة في الإنفاق على الأبنية

---

(١) أخلاقيات الوظيفة العامة(ص٧٣).

والأثاث، والمبالغة في استخدام المقتنيات العامة في الأمور الشخصية، وإقامة الحفلات والإعلانات ببذخ...إلخ.

٤) **الانحرافات الجنائية:** ومن أكثرها: الرشوة، واختلاس المال العام، والتزوير.

علاج الفساد الإداري:

لا يشك من يطَّلع على قطاع المهن والوظائف في كثير من بلدان العالم أنَّ الفساد الإداري ضارب أطنابه فيها وللأسف، وصار كثير من الناس ضحية له، وظهرت المشاريع والمنجزات بصورة أقل من المأمول؛ ولهذا وجب على العقلاء تدارس كيفية معالجة هذا الفساد، ويكمن أن يُلخَّص العلاج في النقاط الآتية:

١. ترسيخ أخلاقيات المهنة التي سبق الحديث عنها، ومن أهمها في تولي الولايات (القوة والأمانة)؛ فيكلَّف بالإدارة القوي الأمين، قال تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ القصص: ٢٦.

٢. التأكيد على قيمة تعظيم الله تعالى، واستحضار مراقبته في التزامنا بهذه الأخلاق، والتذكير بفضل هذه الأخلاق وعظيم ثوابها، وكونها سعادة للمرء في الدنيا والآخرة.

٣. وضع الأنظمة واللوائح والأساليب الموضحة لمجال المراقبة والمحاسبة، والمساءلة، ونشر الشفافية والنزاهة، وكذلك يجب تحديد العقوبات الرادعة لمن يخالف ذلك، ثم تطبيقها بكل حزم وعدل[١].

ثانيًا: السرقة وأخذ الرِّشوة

(أ) **السرقة:** هي أخذ العاقل المال البالغ نصابا محرزا أو ما قيمته نصاب- ملكا للغير- لا شبهة له فيه على وجه الخفية[٢].

وهي محرمة ومن كبائر الذنوب؛ ففيها اعتداء على أموال الناس بغير حقٍّ، وقد ذكر الله عقوبة السارق في الدنيا، وهي قطع اليد، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ المائدة: ٣٨. وعن أبي هريرة س عن النبي ع قال: (**لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ..**)[٣]. وقال ﷺ في شأن المرأة المخزومية التي سرقت وجاءوا ليشفعوا لها: (**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ فَعَلَتْ ذَلِكَ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**)[٤].

(١) ينظر: الإدارة والسلوك الاخلاقي في العمل(ص٦٥) وما بعدها.

(٢) ينظر: كشاف القناع(١٢٩/٦)، والمغني لابن قدامة(٢٤٠/٨)، والموسوعة الفقهية الكويتية(٢٢٠/١٩).

(٣) أخرجه البخاري، برقم(٣٢٨٨)، ومسلم، برقم(١٦٨٨).

(٤) أخرجه البخاري، برقم(٦٧٨٣)، ومسلم، برقم(١٦٨٧).

(ب) **الرشوة:** هي ما يُعطى لإبطال حقٍّ، أو إحقاق باطل[1].

والرشوة أم الفساد الإداري، ومن أعظم الجرائم المتفشية في العالم، وتزداد خطورتها كلما احتل المرتشي منصبا قياديا كبيرا، لأنَّه بفساده يُفسد مَن تحته من المرؤوسين.

وهي محرمة ومن كبائر الذنوب، فهي سحت، وقد قال الله تعالى عن اليهود: ﴿ **سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ** ﴾المائدة: ٤٢، وقال النبي ﷺ: (**لَا يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ**)[2]، والراشي والمرتشي ملعونان بنَصِّ حديث رسول الله ﷺ، فعن عبد الله بن عمرو م قال: (**لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرَّاشِيَ وَالمُرْتَشِيَ**)[3]. وفي الرشوة أكلٌ لأموال الناس بالباطل، وقد قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ** ﴾البقرة: ١٨٨.

علاج السرقة والرشوة في الإسلام:

لقد عالجت الشريعة الإسلامية جريمتي السرقة والرشوة وغيرهما من الجرائم المالية من جهتين:

الأولى: اتخاذ التدابير الوقائية، وسدُّ الذرائع التي تؤدِّي إلى الوقوع في هذه الجرائم الأخلاقية المنكرة، ومنها[4]:

١. الحثُّ على الكسب المشروع، والزهد عمَّا فيما أيدي الناس، قال سبحانه: ﴿ **وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ** ﴾النساء: ٣٢.

٢. تأمين حاجات المحتاجين من المسلمين من أموال الزكاة والصدقات، وغيرها.

٣. وجوب حفظ الأموال وصيانتها عن السرقة، والاستعانة على ذلك بالوسائل الحديثة المتاحة كآلات التصوير والمراقبة ونحوها.

الثانية: مشروعية الحدود والتعزيرات، فإذا ثبتت السرقة والرشوة ونحوهما من الجرائم المالية في حقِّ مرتكبيها فإنَّ الشريعة وضعت حداً للسرقة، وشرعت عقوبات تعزيرية على غيرها بضوابط معلومة، ومنها:

أ) مصادرة كل ما ثبت أنَّه أُخِذ بغير حقٍّ، سواء كان هذا المأخوذ مالا أو عَرَضا، وجعلها في الأموال العامة، قال ابن بطال :: "هدايا العمال تُجعل في بيت المال، وأنَّ العامل لا يملكها إلا إن طلبها له الإمام"[5].

---

(١) ينظر: موسوعة نضرة النعيم(٤٥٤٢/١٠).

(٢) أخرجه الترمذي برقم(٦١٤)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب(٣٢٠/٢).

(٣) أخرجه الترمذي، برقم(١٣٣٧)، وقال عنه: حسن صحيح.

(٤) ينظر: التدابير الزجرية والوقائية في التشريع الإسلامي وأسلوب تطبيقها، أحمد عبد الرحمن إبراهيم(٤٦٠).

(٥) ينظر: فتح الباري، لابن حجر: (٢٢١/٥)، وفيض القدير، للمناوي(٣٥٣/٦).

ب) إعفاء السراق والمرتشين والمختلسين من وظائفهم، وتجريدهم من كل حقوقهم الوظيفية.

ج) تطبيق الأحكام الشرعية والنظامية عليهم في حالة ثبوت التهم، وكذلك على جميع الشركاء: الراشي، والمرتشي، والوسيط بينهما، وعدم تغليب جانب الشفقة والرحمة؛ بل تجب حماية المصلحة العامة.

ثالثًا: الغش:

الغش: ضد النصح، ويطلق في أصله على خلط الرديء بالجيد؛ بغرض إظهار الشيء على غير حقيقته؛ لتحقيق منفعة شخصية(١).

والغش محرم في كل صوره، وقد توعَّد النبي ﷺ الغاش بالتبرؤ منه فقال فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: **(مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّى)**(٢). وذلك أنَّ الغاش يرتكب عدَّة جرائم أخلاقية يتعدى ضررها للآخرين؛ فيُضيّع الأمانة، ولا يفي بالعقود، ويُفقد الثقة بين الناس، ويأكل الخبيث من الكسب. والغش يُنافي النصيحة للمسلمين.

أمثلة الغش في المهن والوظائف:

١) الغش في الاختبارات الدراسية والوظيفية: فيحصل على شهادة لا يستحقها، وقد يتبوأ بها منصبا وهو ليس أهلا له. قال الشيخ عبد العزيز بن باز ::: "الغش محرَّم في الاختِبارات، كما أنَّه محرَّم في المعاملات، فليس لأحدٍ أن يغشَّ في الاختِبارات في أيَّة مادَّة، وإذا رضي الأستاذ بذلك فهو شريكُه في الإثم والخيانة"(٣).

٢) استخراج الشهادات المزورة لأي جهة من الجهات، أو تزوير أوراق أو مستندات أو وثائق رسمية، أو الحصول على شهادات علمية غير حقيقية يزاحم بها المتميزين.

٣) كتابة التقارير الطبية التي لا تتفق مع الواقع، أو منح الإجازات العادية أو المرضية لمن ليس مستحقا لها.

٤) المصادقة على المخططات الإنشائية أو الصناعية التي لم تستوف الشروط المطلوبة.

وأمثلة الغش في التعاملات المهنية والوظيفية كثيرة جداً؛ لكن على صاحب المهنة أن يتقي الله تعالى، ويسأل أهل العلم عما أشكل عليه من تعاملات، ويرجع إلى اللوائح المنظمة لمجال عمله ولا يتجاوزها أو يحتال عليها بأي طريقة كانت.

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة(٦/٨)، والتوقيف على مهمات التعاريف(ص٢٥٢).

(٢) أخرجه مسلم، برقم(١٠٢).

(٣) مجموع فتاوى ومقالات ابن باز(٣٩٧/٦).

علاج مشكلة الغش:

يكون علاج مشكلة الغش في قطاع المهن والوظائف من جهتين:

الأولى: التوعية بحكمه الشرعي؛ فقد حذَّر النبي ﷺ من الغش في البيع والشراء، والأقوال، والأعمال، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: **(مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي)**[1]. قال الخطابي: "معناه ليس على سيرتنا ومذهبنا، يريد أنَّ من غشَّ أخاه وترك مناصحته فإنَّه قد ترك اتِّباعي والتمسك بسنَّتي"[2]. وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **(مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلاَّ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ)**[3]. قال المناوي :: "وأفاد التحذير من غشِّ الرعيَّة لمن قُلِّد شيئاً من أمرهم؛ فإذا لم ينصح فيما قُلِّد، أو أهمل فلم يقم بإقامة الحدود واستخلاص الحقوق وحماية البيضة ومجاهدة العدو وحفظ الشريعة ورد المبتدعة والخوارج؛ فهو داخل في هذا الوعيد الشديد المفيد؛ لكون ذلك من أكبر الكبائر المبعدة عن الجنة" [4].

الثانية: تطبيق اللوائح والأنظمة التي تنص على إيقاع العقوبات على من تثبت مارسته الغش والتدليس، وإظهار هذه العقوبات وإشهارها، وبيان أوجه احتيال أصحابها؛ ليحذر الناس من أساليبهم، ويَعتَبر بهم غيرهم.

رابعًا: الوساطة المذمومة:

الوساطة المذمومة: هي المساعدة للحصول على أمر غير مستحَقٍّ، أو إعفاءٍ من حقٍّ يجب عليه الوفاء به [5].(حذفت الجملة الثالثة من التعريف)

والوساطة داخلة في معنى الشفاعة–حسنة كانت أو سيئة– المذكورة في قوله تعالى: ﴿ **مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾** ﴾ النساء: ٨٥. ففي هذه الآية إخبار من الله تعالى بأنَّ من يشفع شفاعة حسنة فيضمَّ صوته مع مطالبٍ بحقٍ، أو يتوسط لأحد في قضاء حاجته فإنَّ له قسطاً من الأجر والمثوبة، كما أنَّ ﴿**مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً**﴾ كأن يؤيِّد باطلاً أو يتوسط في فعل شرٍّ أو ترك معروف، فيكون عليه نصيب من الوزر[6].

---

(١) أخرجه مسلم، برقم(١٠٢).

(٢) معالم السنن(٣/١١٨).

(٣) أخرجه البخاري، برقم(٦٧٣١)، ومسلم، برقم(١٤٢).

(٤) فيض القدير(٥/٤٨٨).

(٥) ينظر: أخلاقيات العمل(٢٨٤).

(٦) ينظر: أيسر التفاسير(١/٥١٨).

ومما يُفرِّق بين الشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة أمران:

١. الشفاعة الحسنة تكون فيما أذن به الشرع. قال ابن حجر ﵀: "الشفاعة الحسنة وضابطها: ما أذن فيه الشرع دون ما لم يأذن فيه"[(١)].

٢. ألا يترتب عليها ضرر للآخرين أو إخلال بالأنظمة المتبعة في البلد أو الجهة ذات العلاقة.

ومن أمثلة الشفاعة السيئة:

* أن يتوسَّط الشخص لرجلٍ يعلم أنه لا يستطيع القيام بالعمل.

* أن يتوسَّط لشخصٍ لأنه قد دفع له رشوة.

* أن يتوسَّط لشخصٍ مع علمه أن توظيفه أو ترقيته مخالف للنظام.

* أن يتوسَّط لشخصٍ ويترتب على الواسطة حرمان موظف من ترقية، مع أنه أكفأ ممن تُوسِّط له، أو مَنْعَ موظف من حقه.

حكم الوساطة المذمومة:

لاشك أنَّ الوساطة المذمومة محرَّمة، وذلك لأثرها السيئ على الفرد والمجتمع؛ قال النووي ﵀: "وأمَّا الشفاعة في الحدود فحرام، وكذا الشفاعة في تتميم باطل، أو إبطال حق، ونحو ذلك، فهي حرام"[(٢)].

وحذر النبي ﷺ من الشفاعة السيئة؛ كما في حديث المرأة المخزومية؛ فعن عائشة ﵂ أنَّ قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حِبُّ رسول الله ﷺ فكلَّمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: (**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**).[(٣)].

فإذا ترتَّب على التوسط حرمان من هو أولى وأحق بالأمر من جهة الكفاية العلمية التي تتعلق بالعمل، والقدرة على تحمل أعبائه والنهوض بأعماله مع الدقة في ذلك فالشفاعة محرمة؛ لأنَّها ظلم لمن هو أحق بها، وظلم للإدارات والمنشآت والمسؤولين فيها بسبب حرمانهم من عمل الأكفاء وخدمتهم لهم، ومعونتهم إيَّاهم على النهوض بمرفق من مرافق الحياة، وكذلك فيها اعتداء على الأمة بحرمانها ممن ينجز أعمالها، ويقوم بشؤونها على أحسن حال، ثم هي مع ذلك تولِّد الضغائن وظنون السوء، ومفسدة للمجتمع.

---

(١) فتح الباري (١٠/٤٥١).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم(١٦/ ١٧٧، ١٧٨).

(٣) أخرجه البخاري، برقم(٣٢٨٨)، ومسلم، برقم(١٦٨٨).

أمَّا إذا لم يترتب على الواسطة ضياع حق لأحد أو نقصانه فهي جائزة، بل مرغَّب فيها شرعا، ويؤجر عليها الشفيع -إن شاء الله-، فقد ثبت عن أبي موسى الأشعري ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: (**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا شَاءَ**)[1].[2]

علاج مشكلة الوساطة المذمومة[3]:

لكي تتم محاربة الوساطة المذمومة والقضاء عليها ينبغي أن تُتّبع الخطوات التالية:

١) استشعار المسلم مراقبة الله تعالى له في السر والعلن؛ قال ﷻ: ﴿**أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾**﴾ البقرة: ٧٧.

٢) تذكير المسؤولين بتحري الدِّقة في اختيار من العاملين معهم بعيدا عن المجاملات، قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ**﴾النساء: ١٣٥.

٣) التوعية المستمرة بأضرار الوساطة السيئة على الفرد والمجتمع.

٤) تطبيق الأنظمة بشفافية، وإتاحة الفرص لكل من يستحق.

٥) تشديد العقوبة على من يثبت تورطه في وساطة سيئة.

٦) المراجعة المستمرة للأنظمة ومواكبة التطور للحدِّ من صلاحيات المسؤول في التفرد باتخاذ القرار.

خامسًا: إفشاء أسرار العمل وما يتعلق به:

السرِّ: هو ما يخفيه الإنسان في نفسه أو يفضي به إلى آخر، مستكتماً إيَّاه[4].

ويُعدُّ حفظ السرِّ في الإسلام أمانَّة من ضمن الأمانات التي جعل الله حفظها من صفات عباده المؤمنين؛ فقال سبحانه: ﴿**وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾**﴾ المؤمنون: ٨، ورتَّب على حفظ الأسرار أجورا عظيمة؛ ومن ذلك: ستر الله لصاحبه في الدنيا والآخرة، وستر عيوبه وعوراته، كما روى ابن عمر م عن النبي ﷺ: (**وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**)[5].

ولا يجوز إفشاء سرٍّ إلا إذا كان في إفشائه مصلحة شرعية راجحة، أو أن يكون في كتمه مضرَّة على أحد، ككتم الشهادة ونحوه؛ بل يُعدُّ إفشاء السرِّ خيانة للأمانة، والله تعالى يقول: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾**﴾ الأنفال: ٢٧.

---

(١) أخرجه البخاري، برقم(١٤٣٢)، ومسلم، برقم(٢٦٢٧).

(٢) ينظر: فتاوى اللجنة الدائمة (٢٥/ ٢٨٩، ٢٩٠)

(٣) ينظر: الواسطة، مفهومها، حكمها، أسبابها، آثارها(ص٢٢).

(٤) ينظر: الكليات، للكفوي(ص٥١٤)، وموسوعة الأخلاق الإسلامية(٢/١٣٦).

(٥) أخرجه البخاري، برقم(٢٤٤٢)، ومسلم، برقم(٢٥٨٠).

إفشاء أسرار العمل الوظيفي:

العمل الوظيفي أمانة تجب رعايتها، وكل وظيفة لها أسرار يؤتمن عليها الموظَّف، فإذا أفشى شيئاً من أسرارها كان هذا نوعا من الخيانة التي يحرِّمها الشرع وتجرِّمها الأنظمة.

فيجب على الموظَّف أن يعلم أنَّ من المعلومات ما تكون سريَّة أحياناً بطبيعتها، وأحياناً تكون سريَّة بسبب صدور قرارات بذلك، وفي كلتا الحالتين فإنَّ على الموظف المحافظة على سريَّتها.

ومع التقدم العلمي وسهولة تواصل النَّاس عبر وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة فإنَّ مسألة إفشاء الأسرار تأخذ صوراً جديدة غالباً ما تكون أسوأ أثراً وأشدَّ خطرا؛ ولذلك لأنَّ إعطاء الموظَّف أي معلومة لوسائل الإعلام –مثلا– أو نشره لصورٍ أو خطاباتٍ سرِّية بدون إذنٍ من صاحب الصلاحية في عمله، وقد تترتَّب عليه أضرار كبيرة على مصلحة العمل وسمعة المنشأة أو الوطن بأكمله، وهذا نوع من الخيانة وتضييع الأمانة بلا شك.

علاج مشكلة إفشاء أسرار العمل:

يكون علاج مشكلة إفشاء الأسرار الوظيفية من جانبين:

الأول: التوعية بأنَّ الشريعة الإسلامية أمرت بحفظ الأسرار وكتمانها، وحظرت إفشاءها، فإنَّ ذلك أدوم للألفة، وأدوم لحقوق الأفراد والجماعات، ومن ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ أنَّه قال: (**إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الأَمَانَةِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا**)[1]. وعن جابر بن عبد الله ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: (**إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِالْحَدِيثِ ثُمَّ الْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ**)[2]. أي: التفت يمينا وشمالا؛ لئلا يسمع أحد كلامه.

فينبغي للمسلم أن يكون حافظا للأسرار التي يطَّلع عليها، سواء اؤتمن عليها من قِبل من أسرَّها إليه، أو عرفها بحكم وظيفته، ولا يقتصر حفظ سرِّ العمل فقط أثناء تأدية الخدمة، بل يتعداه إلى ما بعد ترك العمل بالتقاعد أو الاستقالة أو غيرهما.

الثاني: تطبيق الأنظمة والعقوبات في حق من يثبت تورطه في إفشاء الأسرار الوظيفية، وإعلان هذه العقوبات حتى يكون في ذلك عبرة لمن يتهاون بهذا الأمر؛ ليتم الحدُّ من هذا الفعل المشين الذي يؤثر على المجتمعات بأسرها، فضلا عن تأثيره على الأفراد والمؤسسات.

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (١٤٣٧).

(٢) أخرجه أبو داود، برقم (٤٨٦٨)، والترمذي، برقم(١٩٥٩)، وقال: حديث حسن.

القسم الأول
القيم الإسلامية:

الوحدة الأولى: المدخل: تعريف القيم الإسلامية، أنواعها، وخصائصها وسماتها، الفرق بينها وبين الأخلاق.

الوحدة الثانية: القيم الإسلامية العليا: (العبادة، الحق، الإحسان، الحكمة، الرحمة، الصدق).

الوحدة الثالثة: القيم الإسلامية الحضارية: (الاستخلاف، المسؤولية، النظام والانضباط، النظافة، التفاؤل)

الوحدة الأولى:

تعريف القيم، أنواعها، مصادرها وخصائصها وسماتها، الفرق بينها وبين الأخلاق.

أولا: تعريف القيم

قيمة [مفرد] : جمعها قيم، والقيمة السوقية : يقصد بها الكمية التي يتوقع البائع الحصول عليها من البضائع في السوق، فلان ذو قيمة يعنى ذو شأن، وإنسان لا قيمة له أي بلا شأن، وهناك من يرى قيمة أغلى عنده من أخرى؛ كقيمة الوقت عند العلماء والتجار، ويقال قيمة هذا المؤلف نابعة من قيمة صاحبه، أما عديم القيمة : يقال لما لا خير فيه أو ما لا أهمية له. والقيم هي الفضائل الدينية والخلقية والاجتماعية التي تقوم عليها حياة المجتمع الإنساني.

وتُعرف اصطلاحاً بأنها مجموعة الصفات العليا، التي يتميّز فيها البشر، وتقوم الحياة الاجتماعية عليها، ويتمّ التعبير عنها باستخدام الأقوال والأفعال.

والقيم بمعناها الاصطلاحي الشامل تعني: (مجموعة معايير تتكون كقناعات لدى الفرد تمكنه من تحقيق هدفه في الحياة) وقيل هي : مجموعة المبادئ والقواعد والمثل العليا التي يتخذ منا الناس ميزاناً يزنون بها أعمالهم، ويحكمون بها على تصرفاتهم المادية والمعنوية. أن القيم هي(مستوى أو مقياس أو معيار نحكم بمقتضاه ونقيس به ونحدد على اساسه المرغوب فيه والمرغوب عنه أو هي القواعد التي تقوم عليها الحياة الانسانية وتختلف بها عن الحياة الحيوانية كما تختلف الحضارات بحسب تصورها للقيم.

تعريف القيم الإسلامية

لم نجد تصورا خاص للقيم بعيدا عن الأخلاق في المؤلفات الأخلاقية عند المسلمين، حيث تضمنت أبواب الأخلاق جملة من القيم والمبادئ العامة، ولم يخلو كتاب من كتب التفسير أو كتاب من كتب شرح الأحاديث من قيم (العدل والحرية والإحسان و غيرها....). فالآيات القرآن ذكرت تلك الأسس، فكان شرحها وافيا بلا شك، وذلك يرجع إلى أن تصور القيم عند العلماء المسلمين نابع من تصورهم لمنهج المعرفة القائم على فهم مراد الوحي أولا، لذا لا يرون أي نسبة للبشر فيها، فمصدر التلقي هو الوحي وليس للبشر في مبحث المعرفة إلا الإدراك والفهم، بمعنى ليس للمسلمين أن يختاروا مصدرا للمعرفة مخالف للوحي السماوى، ولما كانت القيم والمبادئ العليا قد حددها الوحي بالفعل، لذا يمكننا أن نعرف القيم في المفهوم الإسلامي: بأنّها مجموعة من الأخلاق الفاضلة التي اعتمدت على المنهج الإسلامية (الوحي : قرآن وسنة) في توجيه السلوك البشري نحو طلب الحق وفعل الخير. أو هي حُكم يصدره الانسان على شيء ما مهتديا بمجموعة المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع الحنيف محددا المرغوب فيه

والمرغوب عنه من السلوك.

بين منهج الإسلام ومنهج الغرب

ترجع بعض القيم الانسانية إلى وضع البشر، وذلك من خلال تعايش المجتمعات وتلاقح أفكارها وتتميز هذه القيم التي هي من وضع البشر بكون بعضها إيجابي وبعضها سلبي، بخلاف القيم السماوية التي كلها إيجابية، وقد ترجع بعض القيم الى عصور قديمة كبعض القيم العربية الإيجابية: مثل النخوة والشجاعة وإغاثة الملهوف أو بعض القيم السلبية كالعصبية القبلية. وفي العصر الحاضر أصبحت المجتمعات –بسبب الانفتاح العالمي– تتلقى الكثير من القيم من مجتمعات مختلفة؛ فتتأثر الشعوب الضعيفة بقيم الشعوب القوية حتى لو كانت سلبية.

ومما لا شك فيه أن طريقة الغرب في بحث القيم كان ولا يزال مختلفا عما بحثه المسلمون الأوائل، حيث صور الغرب القيم من خلال مفهومين منفصلين: مفهوم مادى (الحضارة الغربية) ومفهوم روحي(الدين والضمير)، ولم يتصورها من الجانبين معا[1]، في المقابل كان تصور المسلمين للقيم من الجانبين معا (مادي وروحي) بمعنى أن القيم جاءت جزءا من التصور الإسلامي للإنسان كإنسان (روح ومادة، دين ودنيا) وليس كما هو الحال في الفكر الغربي، ينظر الإنسان إلى نفسه متدينا في مكان العبادة وماديا في التجارة والكسب. لذا سندرس القيم ووفق تصور المسلمين للقيم وليس وفق المصادر المعرفية الغربية، ومع ذلك لا ننكر جهد الفكر الغربي في إعادة تبويب القيم أو تصنيفها بطريقة أيسر من الفكر الإسلامي، الذي جاء فيه مبحث القيم متناثرا عبر نصوص التراث، وهذ طبيعي في وجود استفادة اللاحق بالسابق. فالكر الغربي استفاد من التصنيف العلمي الذي تركه قبله الفكر اليوناني والفكر الإسلامي.

ثانيا: أنواع القيم الإسلامية

كما سلف هناك فرق بين أنواع القيم في الفكر الغربي وبين الإسلام، حيث يقسسم الفكر الغربي القيم إلى قيم معرفية وقيم إقتصادية وقيم أخلاقية، وقيم أسرية وقيم دينية، وغير ذلك ، بل هناك من الغربيين وغيرهم من يقسم القيم حسب قواعد الفلسفة القديمة، إذ يذهبون إلى تقسيمها حسب أقسام الفلسفة في جعل مبحث القييم أحد مكوناتها أي أن هناك قيم تخص الحق وقيم تخص الخير وقيم تخص الجمال.

[1] الإسلام بين الشرق والغرب، على عزت بيجو فتش،ترجمة محمد يوسف عدس،مؤسسة بافاريا، ط٢، ١٩٧٧م. ص ٢٧.

وفي المقابل نجد أن دراسة القيم الإسلامية لها علاقة تلازمية بدراسة مصدرها وهو الوحي الكريم، لذا كانت القيم الإسلامية تسير وفق منهج دراسة العلوم الإسلامية التي كانت تقوم على الموسوعية في دراسة القضايا الفكرية، فتجد القضية متناثرة في كتب التفسير وشرح الأحاديث وكتب العقائد وكتب الأخلاق ، وقد منح القرآن المفكر المسلم النظر الكلية للأشياء فإذا درس مسالة ما تجده يضمنها عشرات المسائل المتصلة بها هنا وهناك وهذه الطريقة في التصنيف جيدة لو كان المتلقى على مستوى السلف في حسن الفهم والقدرة على الاستيعاب، لكن في الحالة المعاصرة قلما نجد هذا المستوى الأفوقي في التفكير، فكان ولابد من الميل إلى الطريقة الرأسية وهي التعمق الدقيق، وتلك لعمرى موجودة أيضا في التراث الإسلامي لكنها قليلة وفي أبواب معدودة من أبواب الفقه والأصول والعقيدة. أما المفسرون والمؤرخون ومن سار على ضربهم من اللغويين فصارا بمنهج مختلف يمكننى أن أطلق عليه : المنهج الموسوعي. ومن هنا سنقسم القيم إلى :

قيم عليا مثل : (العبادة، الحق، الإحسان، الحكمة، الرحمة، الصدق).

قيم حضارية : (كالاستخلاف، المسؤولية، والنظام والانضباط، النظافة، التفاؤل).

أهمية القيم عند البشرية:

للقيم أهمية عظيمة في حياة المجتمع بكل أطرافه ، فالمجتمع الملتزم بالقيم الإيجابية مجتمع راق تسوده الطمانينة والاحترام وما ذاك الا ثمرة من الثمار الطيبة للقيم. إن القيم العليا وهي (الحق والعبودية والعدل والاحسان والحكمة) تجعل من الفرد في مجتمعه إنسانا سويا مطمئن النفس راقي الطباع، ملتزم بالحقوق، قائم بحق الله تعالى وحق عباده ،قائم بالعبودية لله وحده وهذا بلا – ريب – من أهم اسباب استقرار النفس الانسانية. يكون فيها الفرد ملتزما بالعدل في كل أحواله محسنا.

أما القيم الحضارية وهي (الاستخلاف والحرية والمسؤولية والمساواة والعمل والقوة والأمن والسلام والجمال) فهي تكشف عن الجانب الحضاري في المجتمع وتضبط سلوك الأفراد تجاه مجتمعهم سواء كانوا حكاما أو محكومين، فالتزام كل طرف منهم بهذه القيم ينشر السلام في المجتمع ويجعله قويا متماسكا متعاطفا غيورا على مصالح الوطن.

وأما التزام الأفراد بالقيم الخلقيه كالصدق والبر والأمانة والتعاون والوفاء والصبر والشكر والحياء والنصح والرحمة وغيرها فلا يخفى ما فيها من مصالح للفرد والمجتمع معا، فهي تقوى روابط المجتمع وتزكى قيم التعاون والإحترام. وبلا شك فالمجتمع الذي تسوده تلك القيم يعد مجتمعا مطمئنا تكثر فيه الفضيلة وتتضاءل فيه الرذيلة وهذه غاية نبيلة.

ثالثا: مصادر القيم الإسلامية:

هل الدين يدعو للقيم كما يدعو للأخلاق؟

لما كان الدين قيمة عليا في حد ذاته، لذا فهو لا يدعو للقيم فقط. إنما يدعو الناس إلى إختياره طريقا ومنهجا كقيم عليا، ومن ثم تصبح عناصره الكلية ومبادئه السامية قيما، فالعبادة قيمة من قيم الدين، والطاعة من قيمة من قيم الدين، والعدل من قيم الدين والدعوة لمكارم الأخلاق من قيم الدين وهكذا. فدين الإسلام يهدى إلى من يعتنقه مجموعة من القيم تمثل كل قيم الإنسان العليا : **الحق والخير والجمال والرحمة والإحسان والبر والتعاون والأخوة الإنسانية والمساواة والحرية** وغيرها. ففي قوله تعالى : ((إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَائِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ))[1]، فقد أجمعت هذه الآية قيم العدل والحق والخير والإحسان والجمال والتعاون والبر والبعد عن الفواحش التي تقضي على جماليات الحياة، كما أن المفسرين يعدون هذه الآية هي أجمع آية في كتاب الله فقد أخرج البخاري في الأدب وإبن جرير في تفسيره و الطبراني وصححه الحاكم في المستدرك والبيهقي في شعب الإيمان، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال :-"هي أجمع آية في القرآن الكريم للخير والشر[2].

فتلك الآية هي التي تسببت في إسلام كثير ممن عرفوا بالحكمة وحب الخير من العرب قبل الإسلام، ففي جوار جعفر بن أبي طالب مع النجاشي كانت معاني تلك الآية هي محور هذا الحوار الراقي، كما أن كتب السير ذكرت أثر هذه الآية عند أناس بعينهم مثل الصحابى الأنصاري (عثمان بن مظعون) الذي ذكر أن هذه الآية تحديدا وتلك القيم بصفة خاصة هي التي جزبت قلبه نحو اعتناق الإسلام، لأنها جعلته ينسجم مع ما كان يعتقد فيه سابقا، فكما ذكر ابن كثير في تفسيره، وقد روى الحافظ أبو يعلى في كتاب معرفة الصحابة وابن كثير في تفسيره والشوكاني في فتح القدير والآلوسي في روح المعاني أنه حين سمع أكثم بن صيفي هذه الآية قال لقومه "كونوا في هذا الأمر رؤوسا ولا تكونوا فيه أذنابا، وكونوا فيه أولاً ولاتكونوا فيه آخرا [3]. وتلك الآية ذاتها هي التي تعجّب منها الوليد بن المغيرة حين نزولها وقال واصفا القرآن الكريم :"والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أصله لمورق وأعلاه لمثمر وما هوبقول بشر[4]. لأنه أدرك الرجل

---

[1] سورة النحل الآية ٩٠.

[2] رواه البخاري في الأدب – ١٧١- رقم الحديث٤٨٩- وأبن جرير الطبري في تفسيره : ٦٣٤/٧- والطبراني في المعجم الكبير: ١٣٢/٩ – رقم الحديث ٨٦٥٨- والحاكم في المستدرك : ٢/ ٣٨٨- رقم الحديث ٣٣٥٨- والبيهقي في شعب الإيمان : ٢/ ٤٧٣ – رقم الحديث ٢٤٤٠.

[3] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – ١٤/ ٢١٩ ، و تفسير القرآن العظيم – ٧٦٩/٢ ، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من عم التفسير – ٣/ ٢٦٩.

[4] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي – ١٠ / ١٤٧ .

بمعرفته بالقيم العرب التي كان يؤمن بها في وقته أن هذه الآية تدعو إلى ما كانوا عليه من قيم وزيادة. وجاء في السنة كثير من هذه القيم التي كان يعليها بعض الناس فلما شعر أن الدين الجديد يدعو إليها أسلم : فقد جاء (عمرو بن عبسه) يسأل النبي صلى الله عليه وسلم بما أرسله ربه، فيرد النبي الكريم صلى الله عليه سلم : "أرسلنى بصلة الأرحام وكثر الأوثان"[1] فيسلم الرجل. لأن من قيمه العليا صلة الأرحام.

ومما سبق يتضح أن القيم التي جاءت في الإسلام كانت منشأ الإيمان وتثبيته في قلوب المؤمنين الأوائل ، ثم غدا هو ذاته مصدرا للقيم عند المسلم، ولما كان القرآن الكريم والسنة النبوية هما مصدرا هذا الدين العظيم كانا بالتالي مصدر القيم في الإسلام. إضافة ما نتج عنهما من تشريع وأحكام وبالتالي مصادر القيم عند المسلمين هي : القرآن الكريم والسنة النبوية والتشريع الإسلامي بكل مكوناته المعرفية وأدواته الاستنتاجية.

[1] صحيح مسلم، حديث رقم ١٣٨٠ باب اسلام عمرو بن عبسة.

- **المصدر الأول: القرآن الكريم:**

بلا شك أن مفردات التراث الإسلامي خلت من تعريفات ومصطلحات القيم بالطريقة التي تناولها الفكر الغربي الحديث، لكن دون أن تخلو من القيم ذاتها، حيث جاءت متفرقة في ثنايا كتب الأخلاق والفقه والعقيدة والفكر الإسلامي، فمثلا قيم المواطنة، لم تعرفه كتب التراث الإسلامي بهذا المصطلح لكن عرفته بمعنى أخر هو: **البلد** التي تعبر عن مسقط رأس الإنسان، و**ديار المسلمين** التي تعبر عن الوطن ذوو الأغلبية المسلمة، و**مسقط رأس الإنسان**، اجلال لقيمة الوطنية عنده، وجاء لفظ **البلد** في القرآن الكريم خمس مرات منها قوله تعالى تعالى: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ)[1]، ومنها قوله تعالى : (إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)[2]. ثم جاء القسم **بالبلد** وسميت السورة بسورة **البلد** ليؤكد هذه القيمة العليا للوطن وأهميته : (لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ)[3]. وبالتالي لا يعنى عدم وجود المصطلح المستخدم في العصر الحديث أنه لم يكن موجودا في التراث الإسلامي.

فهناك اشارات واضحة في آيات القرآن الكريم تعبر عن قيم الإنسان الروحية والمعنوية والمادية، بل ربما لو تمعنا لوجدنا الجذر اللغوي لكلمة قيمة موجود، وربما بذات الدلالات، فنجد مثلا كلمات **قياما، ومقاما وقواما** التي تدل في جملتها على التعظيم في كلمة قياما، والخوف من الاستمرار في دفع الثمن في كلمة مقاما، والاعتدال والتوازن في كلمة قواما، وكل هذه الكلمات جاءت في آيات متتاليات في سورة الفرقان، ليعلم المسلم أن مصدر التقدير والتقيم هو من عند الله تعالى:

وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (64) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (65) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (66) وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا) ٦٧)[4]. بل عدد القرآن الكرييم كثير من القيم التي يحتاج الإنسان إليها وبين معانيها تفصيليا:

---

[1] سورة ابراهيم ، آية ٣٥.

[2] سورة النمل ، آية ٩١.

[3] سورة البلد ، آيات ١،٢.

[4] سورة الفرقان آيات (٦٣، ٦٧.

- فمن ذلك بلا ريب **قيمة الشورى** التي زكاها الإسلام وجعلها من مبادئه ففي قوله تعالى : وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ[1]. جعل الشورى بين عبادتين هما الصلاة والزكاة.
- كم حث القرآن الكريم على **قيمة التعاون** فجاء قوله تعالى وتكرر معناه : تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ[2].
- كما حث القرآن الكريم على **قيمة الأمانة** في آيات عديدة منها قوله تعالى : "وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ"[3]
- **والإحسان والعدل والبر والعفة** كقيم عليا جاءت مجموعة في آية من آيات القرآن الكريم حيث يقول الحق تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)[4]، وغير ذلك كثير من آيات الذكر الحكيم التي دعت إلى قيما عليا وأخلاق رفيعة يجب على المسلم التحلى بها بل وحملها لناس أيضا.

المصدر الثاني: السنة النبوية.

إذا كان القرآن الكريم دعا إلى تمسك الإنسان بقيم عديدة، فالسنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر الإسلام تشريعا ومنهجا وطريقا ولم تخلو هي أيضا من شرح وبيان وتفصيل لكثير من هذه القيم التي جاءت في القرآن الكريم، فقد فسرت السنة وبينت مراد القرآن منها بل كما جاء في السنة تشريعات جديدة جاء في السنن قيم لم ينص عليها القرآن مباشرة مثل قيمة الاستشفاء فالقرآن لم ينص صراحة على طلب الاستشفاء لكن جاء في السنة النبوية عدد من الأحاديث يطالب المسلم بالإهتمام بصحته ويطلب لذلك كل وسيلة ممكنة منها قول النبي صلى الله عليه وسلم ":((تداوا عباد الله فإن الله ما أنزل من داء إلا وأنزل له دواء)) [5]،لذا قال العلماء أن من التوكل التداوي.

وهناك ما جاءت مجملة فصلتها السنة النبوية، فمثلا قيمة الإحسان التي ذكرت في القرآن الكريم ، شرحت في عشرات الأحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم: هذا الحديث الذي جعل الإحسان قسيم الإيمان والإسلام كما في الحديث المشهور الذي جاء في مسند البزار وغيره: "عَنْ عُمَر رضى الله عنه، أَنَّ

[1] سورة الشورى/ آية ٣٨.
[2] سورة المائدة / آية ٢
[3] سورة المؤمنون ، آية ٨.
[4] سورة النحل ، آية ٩٠.
[5] الترمزى : كتاب الطهارة.

رَجُلا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ : أَدْنُو مِنْكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ قَالَ : فَدَنَا حَتَّى وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ ، فَقَالَ : مَا الإِسْلامُ ؟ قَالَ : تَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ ، قَالَ : فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ فَقَدْ أَسْلَمْتُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللهِ ، فَمَا الإِيمَانُ ؟ قَالَ : تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، وَالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، قَالَ : فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَنَا مُؤْمِنٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : صَدَقْتَ ، قَالَ : فَمَا الإِحْسَانُ ؟ قَالَ : أَنْ تَخْشَى اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ قَالَ : فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ فَقَدْ أَحْسَنْتُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : صَدَقْتَ قَالَ : فَصَدَّقَهُ وَوَلَّى الرَّجُلُ فَقَالَ : عَلَيَّ بِهِ فَنُظِرَ فَلَمْ يُوجَدْ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : هَذَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ جَاءَ لِيُعَلِّمَكُمْ دِينَكُمْ"[1].

ولو جاءت قيمة **الإحسان** في هذا الحديث فقط لكانت تعدل ربع الدين كله، ومع ذلك جاءت عشرات الأحاديث في الإحسان إلى الجار والإحسان إلى الوالدين والإحسان إلى الفقراء واليتامي، والإحسان إلى الحيوان، بل حتى حين ذبح الحيوان يجب الإحسان إليه لكى لا يتألم: وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته[2]. وغير ذلك كثير.

ليست قيمة **الإحسان** وحدها التي نالت شرحا وتفصيلا في السنة النبوية بل كل القيم التي وردت في القرآن الكريم، بل قيما عليا كثر مثل: الأمانة التي جاءت فيها عشرات الأحاديث تحث على جعلها قيمة عليا: فقد قال صلى الله عليه وسلم في ذم الخيانة : (آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان"[3]، وقال صلى الله عليه وسلم في الأمر بردها : " أد الأمانة إلى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك"[4]، وقال صلى الله عليه وسلم : التاجر الأمين مع الصدقين والشهداء . فعَنِ الْحَسَنِ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ"[5].

وَالشُّهَدَاءِ"[5].

وسنرى في حديثنا التفصيلى عن القيم العليا أو القيم الحضارية كثيرا من الأحاديث التي تشرح هذه القيم وتبينها، لذا نكتفي بتلك الإشارة التي سبقت هنا.

---

[1] مسند البزار، ج١، ص ٤٢.

[2] الحديث رواه مسلم في صحيحه.

[3] رواه مسلم في صحيحه باب الإيمان رقم ٥٨.

[4] أخرجه الدارامي حديث رقم ٢٧٦٠.

[5] أخرجه الدارمي حديث رقم: ٢٥٣٩ .

المصدر الثالث : التشريع الإسلامي بمكوناته (الأصولية والفقهية)

يعد التشريع الإسلامي وعلماء المسلمين المعتبرين مصدرا للقيم عن المسلمين. فالمسلم يحترم ويقدر العلماء العاملون والمربين الواعين الذين أناروا بالفهم الصحيح للإسلام الطريق أمام جمهور الأمة، فكانوا بلا ريب قدوة ومثلا يحتزى في الممارسة والتطبيق بعد المصطفى صلى الله عليه وسلم، فلم يكن الأئمة الأعلام (أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد) مجرد نجوم للعلم ومشاهير للدعوة في سلف الأمة، بل كانوا قادة حقيقين في السلوك والعمل مما كان له بالغ الأثر في تربية الأمة ومعرفة طرق تطبيق وممارسة القيم بوسطية واعتدال وفهم صحيح.

ومن دواعي التطرف والغلو في عصرنا نبذ وجحود قيمة هؤلاء العلماء واستصغار شأنهم ودورهم في عصرنا، فهم قد حملوا لنا نصوص القيم مع روح عصر النبوة والرسالة، فكانوا كالسياج الحامي لمعاني القيم الإسلامية من الإفراط والتفريط. فعرفنا تطبيق قيم العبادة والحق والعدل والنظام والاجتهاد والتعاون في زمن مختلف عن زمن الصحابة، حتى لا يقال زمن الصحابة زمن القداسة يصعب ممارستة وتطبيقه، لتدنى رتبتنا عنهم ولبعد المسافة ببيننا وبينهم، فكان هؤلاء بمثابة حجة على من يدعى هذا الفهم المعوج، فهم لم يكونوا صحابة ومع ذلك طبقوا هذه القيم بأحسن فهم، وأصوب طريق.

ومن هنا فالتشريع الإسلامي يصبح مصدرا ثالثا للقيم بعد نصوص الوحي.

رابعا : خصائص القيم الإسلامية

- **ربانية** :القيم في الاسلام ربانية فهي تصدر من مصدر الاسلام ذاته اي انها تستمد من القران الكريم والسنة النبوية.
- **فطرية** : جاء الاسلام في مجال القيم بما يلائم الفطرة والطبيعة البشرية ويكملها،لا بما يضادها ويصدمها، ومن هنا اعترف الاسلام بالكائن الانساني كما خلقه الله بدوافعه النفسية وميوله الفطرية.
- **إنسانية:** يعد تكريم الإنسان وحفظ دينه ونفسه وعرضه وماله من أسس القيم الإسلامية، فبغض النظر عن دينه ولونه ونسبه يجب حفظ حياة الإنسان وتكريمه في حالة السلم، ومع أن الإسلام يأمر المسلمين أن يقاتلوا من يقاتلهم، إلا أنه متى وضع المحارب سيفه أصبح واجب عن المسلمين حماية حياته وصون عرضه ومعالجته إن كان جريحا وإطعامه إن كان جائعا، ومسالمته إن طلب سلاما يقول الله عز وجل : "وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"[1]. لعل الله يجعل بين المسلم ومن عداه من البشر مودة وتقارب إذ يقول الله تعالى: "عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧) لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ"[2]. بل كما جاء في الأية السابقة يأمرهم ببر والقسط مع غير المسلمين الذين لا يحاربون المسلمين.
- **واقعية:** القيم اللإسلامية قيم واقعية ولا تحلق في الخيال النظرى الفلسفي، فعندما تدعو للتعاون والتكافل تأمر أن يبدأ التعاون بالأقرب والأحوج ومع ذلك تأمر المنفق بألا يكون من المبذرين حتى في الإنفاق ذاته، وذلك ليترك لنفسه وولده ما يقتات به ولا يتسول هو بعد الإنفاق، فيقول الله تعالى :" وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا "[3]. وكذلك نرى قيمة أخذ الحق الضائع دون إسراف في قوله تعالى " وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (٣٣) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا "[4].

وقد ظهر جليا من الآية السابقة أن الإنسان الفقير لا يستطيع أن لا يمس مال اليتيم،

---

[1] سورة الأنفال آية ٦١.

[2] سورة الممتحنة آيات: ٧-٨.

[3] سورة الإساراء آية ٢٧.

[4] سورة الإسراء/٣٣-٤٣.

لذا أمرته إذا كان فقيرا أن يأخذ منه بالمعروف، من واقعية التشريع الإسلامي في هذا جعلت هذا الاقتراب باللتي هي أحسن أي بالمعروف ودون ظلم اهدار لمال اليتيم.

كذلك جعلت للمرأة الحق في طلب الطلاق متى وجدت ظلما من زوجها، ولم تجعل لرجل أبا كان أم زوجا أن يعضل المرأة، والعضل هو التضيق عليها، وكذلك في الكفارات نظر الإسلام إلى حال الإنسان، ففي الظهار جعلت الكفارة تبدأ من عتق رقبة، فمن لم يجد عليه صيام شهرين متتابعين، فمن لم يستطع يطعم ستين مسكينا، وذلك حسب حال المظاهر وإمكاناته، فمن لم يستطع بأداء واحدة جُعلت له غيرها، حيث يقول الله تعالى : (فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[1] . وغير ذلك كثير من التدرج الذي يتعامل مع الواقع الإنساني.

- **إيجابية:** والقيم الإسلامية قيم كلها إيجابية من حيث أنها تدعو المسلم للتعاون والتكافل مع الناس أجميعين وتظهر ذلك في شعائرها كالصلاة في جماعة وفي الحج وفي زكاة وفي كل أعمال البر، فالمسلم من سلم الناس من لسانه ويده كما جاء في حيث النبي صلى الله عليه وسلم، والمسلم إيجابي ولو مع الكائنات الحية، بلهو إيجابي ولو مع البيئة التي تحيط به، ففي حديث النبي صلى الله عليه وسلم دخل رجل الجنة في كلب، كما في حديث أبي هريرة؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ إِذِ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْراً. فَنَزَلَ فِيهَا، فَشَرِبَ، وَخَرَجَ. فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ. يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ . فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ مِنِّي. فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ. ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ. فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ»[2]. ليس هذا فحسب، بل ايجابية تجعل المسلم لا يستطيع أن ينام شبعان وجاره جائع، إيجابة تنسجم مع فطرة الإنسان وروحه، فلا يمكن أن يرى خطرا على إنسان أو حيوان أو نبات أو طريق ويمشى بلا مبالاه، فجعل الإسلام المروة والنجده من قيمه والشجاعة والتفاني في خدم الغير من أخلاقه.
- **معيارية:** أما الصفة الرابعة للقيم الإسلامية فهي المعيارية بمعنى أننا يمكننا تطبيقها واقعيها وقياس التزام المسلمين بها وليس خيالا أو مجرد تنظير، فيقاس تقدم المسلمين الحضاري وفق التزامهم بقيمهم، وكلما تخلف المسلمين عن قيم الإسلام ساد الفساد في المجتمع المسلم، ومن معيارية القيم الإسلامية أنها لم تطلق على كل من حكم المسلمين خليفة راشد، بل قصرت هذا المسمى على

[1] سورة المجادلة ، آية ٤.

[2] حديث رقم ٨٨٧٣ مسند الإمام أحمد.

من عدل في نفسه وفي حكمه، فحتى الحاكم العادل الذي لم يتصف بصفات الرشد في نفسه لم يسمى راشدا لمجرد أنه عادلا، وكذلك لم تجعل كل المسلمين أئمة في الدين بالوراثة أو بمجرد المنصب السياسي أو الإجتماعي إنما قدمت حافظ القرآن في الصلاة وفي غيرها، ولو لم يكن من أكابر القوم وأعيانهم، فالمعيار الذي يقدم به المسلم هو دينه وعلمه ثم سنه ومكانته. فحين تقدم شاب قومه أمام عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد، قال يا غلام دع من هو أكبر من سنا يتحدث باسم القوم، فقال يا أمير المؤمنين لو كان التقدم بالسن لكان في الأمة من هو أحق منك بالخلافة، ولكن المرأ بأصغريه؛ قلبه ولسانه، فرضى به عمرا خطيبا للقوم كما ارتضوه من قبل لفصاحته وحسن منطقه.

خامسا: الفرق بين القيم والأخلاق :

هل القيم هي الأخلاق؟

القصد من هذا السؤال هنا هو أن يظهر الفرق بين القيم والأخلاق جليا واضحا، لأن بعض المنشغلين بهذا المجال يخلطون أحيانا- بقصد أو غير قصد – بين الأخلاق التي هي تكاليف شرعية وأوامر دينية في المقام الأول، وبين القيم التي هي اختيارات الإنسان قبل أن يختار دينه أو بعد أن تكون مكونا من مكونات دينه. فالقيم إذا هي اختيارات يرتفع بها مجموع من يؤمن بها عن غيرهم، فإنه حسب ترفع قوم ما في اختيار تلك القيم وحسب بذلهم للمجهود في تحصيلها تزداد قيمتهم عند أنفسهم وعند غيرهم من الأمم، والإنسان حر في اختيار قيمه فمثلا قد كفل ديننا الحنيف للإنسان حرية أن يكون مسلما أو لا يكون، لكن إذا اختار هذا أو ذلك يجب عليه أن يعلم أنه مسؤول عن نتيجة اختياراته تلك. لذا جاء قول الحق تعالى في سورة الكهف مجليا هذا المعنى في أوضح صورة " وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا"[1]: (من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) و أتبعها الجليل سبحانه بقول: (إنا أعتدنا للظالمين نارا).

فطلب الحق، والإحسان، والحكمة، والرحمة، والصدق ، والاستخلاف، والمسؤولية، والنظام والانضباط، والنظافة، والتفاؤل وغيرها، كلها مبادئ وقيم يختارها الإنسان، وتشكل حسب وعيه وفهمه لمقتضياتها طرق تفكيره واختياراته في الزواج وتحصيل الرزق و اختيار العلم وغيره من جميع شئون حياته كلها. وبالتالي فإن الإنسان في اختياره للقيم يعنى ضمنا اختياره لجماعته من البشر، فلو اختار الإسلام يصبح من جماعة المسلمين ولو اختار البوذية يصبح من الجماعة البوذية، ولو اختار اللغة العربية يصبح عروبيا ولو أختار اللغة الهندية يصبح هنديا وهكذا. شرط أن يكون هذا الاختيار مكونا ثقافيا وليس مكونا فكريا نظريا، فالمستشرق الذي يختار دراسة الإسلام لا يعد مسلما إلا إذا اختار الإسلام مكونا لهويته وثقافته.

ومن هنا يتضح الفرق بين الأخلاق والقيم:

- **فالقيم هي** : مبادئ عليا وسمات جلية يختارها الانسان: فالدين قيمة عليا من قيم الإنسان، والعبادة قيمة من قيم الإنسان، وكذلك العدل وغيره قيمة من قيم الإنسان. والدين الإسلامي في جانبه المعرفي يطرح على المسلم قيما كثيرة ترتبط بعقيده وعباداته ومعاملاته وأخلاقه، لذا فهو يفترق هنا عن المنهج الغربي الذي يجعل من الإنسان معيارا لقيمه بعيدا عن الدين.

ومع ذلك هناك نقاط اتفاق بين المنهجين في تصور الفرق بين القيم والأخلاق من ناحية

[1] سورة الكهف، آية ٢٩.

التقسم المنهجي، ومع وجود هذا الاتفاق يجب التنبيه إلى أن هذا الاتفاق هو اتفاق في الشكل وليس المضمون.

- **والأخلاق** عمل جماعي ينشأ في الأساس تظهر صورته عند كل فرد على حده. أما القيم فهي عمل فردي تظهر صورته في شكل جماعي، ومنبع القيم الشخص ثم الجماعة. أما منبع الأخلاق فهو الدين والمعتقد، فالأخلاق مؤسسة على الاعتقاد والقيم في الأساس اختيار الإنسان قبل الاعتقاد، لكن في المضمون يختار المسلم دينه كقيمه ثم يتبع تعاليمه كسلوك ومنهج لا ينفك بعد هذا الاختيار عنه، فلا يستطيع أن يجعل لنفسه قيمة يعارضها الدين أو ينهى عنها الوحي السماوى.

وتلك أهم الفروق بين القيم والأخلاق:

- للقيم جلال وحضر في نفس الإنسان سواء صدرت عن دين أو لا، ولا يكون ذلك للأخلاق إلا أذا كان مصدرها عقيدة ودين.
- القيم ثابتة عند من يؤمن بها ولا يطرأ عليها تغير مهما تكن الظروف والأحوال، لأنها في الأساس نظرية قلبية وليست سلوكية كالأخلاق.
- الأخلاق كلها مؤسسة على دين أو شريعة حاكمة، من مجتمع وعرف.
- الأخلاق راسخة عند الأفراد، لكنها قد تتغير مع تغير أحوال الإنسان دون تغيير ثقافة الإنسان أو قيمه العليا، لأنها ليست نظرية بل هي ممارسة سلوكية، فالصادق قد يضطر للكذب. لكن القيم إذا تغيرت يتغير معها الإنسان نفسه من ثقافة إلى غيرها حسب مجموعة القيم.
- الأخلاق تميز الإنسان لكونها معبرة عن قيمه، لكن القيم تميز الشعوب والأمم في الأساس.
- الأخلاق لها أثر على الطرف المقابل لصحاب الأخلاق، فينتفع البشر بالصادق والأمين والودود والرحيم وغير ذلك. أما القيم فلها أثر على الأمم التي ليس عندها قيم راسخة فيميل الناس ناحية الأمم ذات القيم لينتموا إليها.
- الأخلاق لها تأثير على حاضر الشعوب. أما القيم فلها تأثير أكبر على مستقبل الشعوب.

هل معنى هذا أن من يتعلم لغة أجنبية يصبح أجنبيا؟

طبعا تعلم الشي لا يعد مكونا ثقافيا للإنسان، لكن إذا تعلم أحدنا الفرنسية ليصبح فرنسيا في الثقافة وطريقة التفكير والهوى والطباح يصبح بالفعل فرنسيا، فالمقصود أن تصبح ثقافة الفرنسيين من قيمه العليا، أما لو تعلم العربية لكي يفتش عن نقائص المسلمين ولكي ينقد القرآن الكريم وتاريخ المسلمين فبلا شك لم يصبح عروبيا، بلا محاربا للقيم العرب وبالتالي ليس عربيا في قيمه إنما يعرف لغة العرب.

الوحدة الثانية القيم العليا : (العبادة، الحق، الإحسان، الحكمة، الرحمة، الصدق).

أولا العبادة: يتفق العقلاء على أنه ليس هناك أمة خلت من مفهوم العبادة، لذا سنفصل في قيمة العبادة أكثر من غيرها لأهميتها من جانب ولأنها مطلب لكل إنسان.

- **العبادة لغة :**

في " قاموس المصباح المنير العبادة هي: الانقياد والخضوع، والفاعل عابد، والجمع عباد وعبدة؛ مثل كافر وكفار وكفرة، ثم استعمل فيمن اتخذ إلهاً غير الله، وتقرب إليه، فقيل: عابد الوثن وعابد الشمس وغير ذلك[1]. وفي " كتاب الصحاح": عبد بين العبودة والعبودية، وأصل العبودية الخضوع والذل، والتعبيد التذليل؛ يقال: طريق معبد، والمعبد المهنوء بالقطران المذلل ... والعبادة الطاعة، والتعبد التنسك "[2]. فالعبادة في اللغة إذا هي : الانقياد والخضوع والتذلل.

- **العبادة اصطلاحا:**

تعني العبادة في الاصطلاح العام: (الدين والمعتقد والتشريع)

أما العبادة في اصطلاح المسلمين : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.

ومن هنا ندرك أن العبادة بمعنى المعتقد لا يكاد يخلو منها إنسان –أيا كان معتقده– فهو يعبد ما يعتقد ويحبه ويجله بطريقته المستندة إلى مشرع، أيّا كان سماويا أو وضعيا. بهذا المعنى، فالعبادة إذا قيمة غالية عند العبّاد حيث وجدوا، ولا تختلف هذه القيمة إلا باختلاف مفهوم العقيدة عند كل دين، والإسلام يجعلها الوسيلة الأولى للتقرب لله تعالى، فكل ما يدعو إلى طاعة الله وشكر نعمته والرضى بحكمه وقضائه عباده: فهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث والأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة. وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه، والرضى بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف

---

[1] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية – بيروت مادة "عبد"

[2] صحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق :أحمد عبد الغفور عطار، الناشر :دار العلم للملايين – بيروت الطبعة :الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م. مادة "عبد".

من عذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة لله تعالى[١].

ومن النص السابق نفهم معنى العبادة كقيمة يرفعها الإنسان فوق رأسه إحتراما لعقيدته ودينه الذي يميزه بلا شك بين الناس، فيتمايز الناس بدينهم قبل كل شئ، ولا يوجد أغلى عند الإنسان من دينه ومعتقده، فلا يجل شيئا كما يجل دينه وشريعته، ومنهج دينه، بل يغير كثرا من ثوابته من أجل ارضاء هذا المعتقد.

وتبنى العبادة في الإسلام على الحب الكامل باتباع أمر لله تعالى واجتناب نهيه، فكما قال ابن القيم رحمه الله: العبادة هي: "محبة الله، بل إفراده بالمحبة، وأن يكون الحب كله لله، فلا يحب معه سواه، وإنما يحب لأجله وفيه، كما يحب أنبياءه ورسله وملائكته وأولياءه، فمحبتنا لهم من تمام محبته، وليست محبة معه، كمحبة من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحبه، وإذا كانت المحبة له حقيقة عبوديته وسرها : فهي إنما تتحقق باتباع أمره واجتناب نهيه)[٢]. فهي غاية الحب ومنتهاه.

وكما أجمع فقهاء المسلمين على أن العبادة تجمع أصلين : غاية الحب وغاية الخضوع.

- **أنواع العبادة:**
- العبادة الكونية: تعني الخضوع لأمر الله تعالى الكوني، وهي شاملة لجميع الخلائق مؤمنهم وكافرهم "إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً"[٣]. فلا يستطيع كان من الكون الخروج عن أمر الله تعالى.
- العبادة الشرعية : تعنى الخضزع لأوامر الله تعالى التي جاءت بها الرسل: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ"[٤]. وتلك هي مهمة الإنسان أن يخضع طواعية لله تعالى، لأن الله خير الإنسان، وجعل له ثوابا إذا اختار طاعة الله عز وجل، ووعده بالعقاب لو اختار الإنسان أن يعصى الله تعالى.

---

[١] الفتاوى الفتاوى، ابن تيمية، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م. ج٢ ص ١٢٠.

[٢] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م، ص ١١٩.

[٣] سورة مريم / ٩٣.

[٤] سورة الأنفال بية ٢٤.

- **شروط العبادة في الإسلام:**

تختلف شروط العبادة في الإسلام عن غيرها، لإيمان المسلم بمراقبة الله تعالى في كل عمل، في حين بعض العباد من غير المسلمين يظنون معبودهم يستجيب لهم تارة ويهملهم أخرى، لذا قد لا يلجأون إليه إلا عن الاضطرار كما كان يفعل مشركي مكة مثلا ولها في الإسلام شرطان ضروريان هما : **الإخلاص والإتباع** ومعنى الاتباع هو التسليم لمنهج والطريقة التي سار بها النبي صلى الله عليه سلم في تعبده.

بعض مظاهر الانحراف في مفهوم العبادة وتطبيقها :

بعد أن اتضح لنا مفهوم العبادة الصحيحة عند جمهور المسلمين : فلابد بعد ذلك من عرض هذه المفاهيم العظيمة والحقائق الضخمة على واقعنا نحن المسلمين في هذه الأزمنة المتأخرة، وهل هذا الفهم الصحيح للعبادة هو السائد اليوم بين المسلمين ؟ أم أن هذا الفهم قد اعتراه من الضعف والانحراف الشيء الكثير.

- الانحراف في مفهوم العبادة :

أول صور الإنحراف في فهم العبادة تحولها إلى مجرد أداء للشعائر التعبدية من : صلاة، وصيام، وحج، وذبح، وقراءة قرآن ... فحسب، وأن ما سوى ذلك من معاملات، وأخلاقيات، ومباحات .. وغيرها، كل ذلك لايدخل في العبادة. إذن : فالواجب على كل مسلم أن يعلم أنه مخلوق في الأساس للعبادة، وأن وقته يجب أن يكون في عبادة؛ سواء ما كان منه في الشعائر التعبدية، أو ما كان منه في المعاملات، أو ما كان منه في المباحات، كل ذلك يجب أن يمارسه العبد وشعور العبادة لله (عز وجل) يصاحبه، فيراقب ربه في كل أعماله، وينوي بها التقرب إليه (عز وجل) : { قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ المسْلِمِينَ }[1].

[1] سورة الأنعام آية ١٦٢، ١٦٣.

خصائص العبادة في الإسلام:

- **تكليفية:** أي هي من عند الله لا اختراع للبشر فيها.
- **مستطاعة:** يقوم بها المسلم حسب طاقته، فلا حرج على مريض أو مسافر أو مضطر إلى اتخاذ رخصة الشرع في حالته.
- **توفيقية:** أي يتوقف المسلم فيها على فعل النبي صلى الله عليه وسلم ولا يزيد.
- **دائمة** : فهي مستمرة في كل أوقات وحالات الإنسان.
- **شاملة** : تشمل جميع مجالات حياة الإنسان
- **يقينية** : فالمسلم يوقن بأن الله محيط بهة علما أيا ما كان فلا يملك إلا أن يكون له خاضعا
- **حكمية:** أي ليست خاصة بذاتها إنما لحكمة أطلعنا الله على بعضها في كتابه أو في سنة نبيه، فالتقوى غاية الصيام، وغاية الحج وغاية النسك وغاية الزكاة والصدقة التطهير والسكينة والخشوع غاية العبادات القلبية وهكذا.

ثانيا : الحـــق:

لن نفصل في القيم التالية كما فصلنا في قيمة العبادة لكونها هي أم القيم عند المسلمين بصفة خاصة وعند البشرية بصفة عامة، لذا سنتقتصر على الخطوط العريضة في بقية القيم.

يعد الحق قيمة عليا حيث تبنى عليه الحقوق التي تمكن الناس من العيش في أمن وسلام، والحق: اسم من أسمائه تعالى، والشيء الحق، أي الثابت حقيقة، ويستعمل في الصدق والصواب أيضًا، يقال: قول حق وصواب.

الحق: في اللغة هو الثابت الذي لا يسوغ إنكاره، وفي اصطلاح أهل المعاني: هو الحكم المطابق للواقع، يطلق على الأقوال والعقائد والأديان والمذاهب، باعتبار اشتمالها على ذلك، ويقابله الباطل[1].

وفي اصطلاح، الفقهاء هو "ما ثبت بإقرار الشرع، وأضفى عليه حمايته "[2]. وهذا التعريف جوهر المعاني في فهم قيمة الحق أو الحقوق في الإسلام خاصة.

فالحق كقيمة عليا تتطلب بذل المجهود في الحفاظ على وجوده في الأمم والشعوب وليس في مجرد الإيمان به، مع العلم أن كل إنسان يدعى الحق ويدعي أن مخالفه على باطل، لذلك مسألة الحق تلك يصعب فهما من غير مصدر يحددها، ففي حين يجعل الغربيون من الانتخاب الحر المباشر وما يترتب عليه من برلمانات وهيئهات هي مصدر الحقوق، يجعلها المسلمون لله تعالى وحده. ويجعل دور تلك الهيئات فهم مراد الله وحسن تطبيقه.

الفرق بين قيمة الحق في المسلمين وفي غيره

على الرغم من تعظيم قيمة الحق عند جميع الأمم إلا أنه ثمة خلاف في مصدر قيمة الحق، فهناك من ينسب الحق في التشريع لله وهناك من ينسب الحق في التشريع للإنسان. فالغربيون يعظمون الحقوق بلا شك، لكن يجعلون كل ما يتفق عليه بينهم حقا، فلو اتفقوا على زواج المثلين أو الشذوذ جعله حقا.

في المقابل لا يرى المسلمون الحق إلا باتفاقهم على فهم مراد الله، لذا يكون الإجماع حجة في الشريعة الإسلامية، لكن الإجماع على فهم مراد الله تعالى. فالحق في الشريعة الإسلامية: هو إرادة الشرع، والحقوق في الإسلام منحة من الخالق الذي يعرف بقدرته وحكمته مصلحة العباد، ومن ثَمَّ قامت قواعد الحقوق الإنسانية ومبادئها في الإسلام على مراعاة مصلحة الفرد وعدم الإضرار بمصلحة الجماعة في الآن ذاته.

---

[1] كتاب التعريفات للجرجاني ، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص ٨٩.

[2] الملكية في الشريعة الإسلامية، على الخفيف، ص ٦.

كما أن هناك خلاف في مصدر الحقوق هناك خلاف في طبيعتها، حيث يذهب أصحاب الديانات إلى أن الحق هو ذات الخالق الجليل، لذا كل شئ صادر عنه، وفي المقابل يذهب كثير الدهريين أو ممن عبدوا الطبيعة أن الحق هو الطبيعة والواقع فحسب.

وللحقوق في الإسلام ثلاثة أقسام: القسم الأول هو حقوق الله، وهي الحقوق التي تتعلق بواجبات العبادة أو الصالح العام للأمة، ولا سيما الحدود التي شرعها الله.

أما القسم الثاني وهو ما يسمونه: حقوق العباد.

أما القسم: الثالث وهو ما يعبر عنه بالحقوق المشتركة بين حقوق الله وحقوق العباد وقد فصل الإمام الشاطبي في الموافقات تلك الحقوق[1].

والحق يكون معنويا وماديا في الشريعة الإسلامية، وهو أقرب للمادي في الشرائع الأخرى، فالشرعة الإسلامية كفلت في مبادئها الراسخة أهم الحقوق وجعلتها مبادئ كبرى أو ما يسمى بالكليات الخمس وهي:

حفظ العقل: الذي لم نجد له تشريعا في الغرب حتى اليوم، لذا ضاعت كثير من العقول التي منحها الله للبشر بحلة شرب الخمر والمسكرات والمفترات والشهوات التي لم تدع طريقا للحفاظ على هذ الحق، بل لم نجد تشريعا حتى الآن يحد من هذه الكوارث على العقل حفاظا عليه رغم تمجيد العقل، بل رغم المبالغة في تمجيده لا يصدرون تشريعا لحمايته من هلاكه.

حفظ النفس: أو ما يطلق عليه الغربيون اليوم حق الحياة ومع ذلك لم يصل حق الحياة إلى النظر في حياة الجنين وضع تشريع له حتى عصرنا هذا.

حفظ الدين: وهو ما يسمى عند الغربيين حق التدين أو حرية التدين، وإن سار في طريق مختلف تماما عن طريق الإسلام الذي حافظ على بيع النصارى ومعابد اليهود وتراث الفراعنة وتراث الإنسانية، فلم تحرق مكتبة ولم تهدم صومعة ولم يقتل راهب ولم يمس عابد، في المقابل حرق الغربيون مكتبة الاسكندرية، وحرق المغول مكتبات بغداد، لأنها تعبر عن عقائد مختلفة عن عقائدهم. وقتل العباد في بغداد وهدمت المساجد في الأندلس وغيرها.

حفظ المال: أو ما يطلق عليه المعاصرون حق التملك، وإن كان الاتجاه في حق التملك سار مغايرا لما يرتضيه ضمير الإنسان فزادت الفجوة بين الفقير والغني في عصر الرأسمالية الغربية المتوحشة، فلم تحارب الاحتكار ولم تقضى على البيوع الربوية.

حفظ النسل: الذي يطلق عليه الغربيون اليوم حق الإنجاب أو حفظ النوع وإن طالته يد العبث

---

[1] الموافقات ، للشلطبي، تحقيق **أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص ٤٠**.

بقبول حقوق لا تقدم للإنسانية إلا الهلاك مثل حقوق الشواذ وغيرها.

أنواع الحقوق:

- حقوق لله لا يؤمن به إلا المؤمنون بالله، ومنها تعظيم الله وتعظيم رسله وتعظيم شعائر رسالات الله تعالى.
- حقوق دينية يقبلها معظم البشر بعضهم للبعض الأخر، فالمسلم مع يقينه بأن دينه هو دين الله وأنه الطريق القويم لا يجوز له أن يسب أو يستهزأ بعقيدة غير المسلم، "وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"[1]، فكما جاء في تفسير ابن عطية:" فلا يحل للمسلم أن يسب دينهم ولا صلبانهم ولا يتعرض ما يؤدي إلى ذلك أو نحوه "[2]. وهذه من خصائص هذا الدين العظيم أن لا يبدأ حتى في اظهار المعاداة مع الكفار أملا في أن يعرفوا الحق وحتى لا تكون الخصومة سببا للبغض والحقد المانع من معرفتهم الطريق الصحيح.
- حقوق شخصية تكفلها الشريعة الإسلامية كما يكفل مجملها القانون الغربي.فهناك حقوق كثيرة تكفلها الشريعة الإسلامية للمسلمين وغير المسلمين مثل الحقوق الاقتصادية، واللحقوق الاجتماعية والحقوق المعرفية و الحقوق السياسية ... وغيرها
- حقوق وطنية : يتفق عليه المواطنون وفق نظام سياسي أو إجتماعي يرتضيه عقلاؤهم. ولا يعد حقوق الوطنية مكفول حقا إلا إذا تساوى فيه المواطنون أمام القانون. وسارت الوطنية عزا وكرامة للمواطن.
- حقوق اجتماعية : مثل التعاون والتكافل والتراحم وحق الطريق وحقوق مزاولة المهن وغيرها من الحقوق التي يشعر المجتمع بظلالها عليهم، وأنها وسيلتهم في الترابط والاجتماع.
- حقوق سياسية: مثل حقوق الحاكم وهي مشروطة بالقيام بواجباته، وحقوق الرعية وهي أيضا مشروطة في الشريعة الإسلامية بالقيام بواجباتهم.

---

[1] سورة الأنعام آية ١٠٨.

[2] ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج٢، ص ٣٣٢.

ثالثا: الاحسان :

يعد الإحسان في الإسلام قيمة عليا، حيث جاء في المرتبة الثالثة بعد الإسلام والإيمان في مراتب الدين الإسلامي. فقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالتحلّي بأخلاق جميلة وقيم رفيعه مثل العدل، والمروة والشجاعة والعفة والكرم والحكمة والإحسان.

والإحسان هو بلا ريب من القيم العليا في الإسلام؛ لأنه سيكون وسيلة لتحقيق كل القيم التالية له، فمن لم يحسن في عبادته لا قيمة حقيقة لعبادته وصاحب المروة والعفة والحكمة أن لم يحسن فهم تلك القيم ويحسن ممارستها لا يمكن أن تكون ذات جدوى.

فالإحسان يعني إتقان العمل وتأديته بأكمل وجه، وفي سنّة نبينا محمّد عليه الصلاة والسلام عُرّف الإحسان على أنّه عبادة الله كأنّك تراه، وإن لم تكن تراه فإنّه يراك. ما أجمل الإحسان عندما يزيّن كلّ عملٍ نقوم به سواءً في تعاملنا مع الله سبحانه وتعالى عند تأدية فرائضه وحقّه في العبادة، أو في معاملاتنا مع الإنسان والحيوان والنبات، فالإحسان من أعلى منازل العبودية وأفضلها.

ويبيّن الله تعالى أنّ جزاء الإحسان هو الإحسان لقوله جلّ وعلا: **هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلّا الإِحسَانُ"**[1] ويوم القيامة يجازي الله المحسنين بالجنة والنظر إلى الله وهذا أعظم الجزاء .

صور من قيمة الإحسان في الإسلام:

- الإحسان في عبادة الله تعالى: "لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ"[2]
- الإحسان في التعامل مع الوالدين :وذلك ببرّ الوالدان وطاعتهما، وعدم التأفّف بوجههما، ومعاملتهما برفق وبرحمة عند كبرهما.
- الإحسان إلى اليتامى والمساكين: زمن مظاهر الإحسان إلى اليتامى والمساكين الرفق بهم وبحالهم ثم العمل على مساعدتهم خاصة في تربيتهم، والمحافظة على حقوقهم، ومدّ يد العون لهم، والبر بهم، فالإحسان للمسكين واليتيم يذهب قسوة القلب لقوله صلّى الله عليه وسلّم: "امسح رأس اليتيم، وأطعم المسكيم"[3].

---

[1] سورة الرحمن آية ٦٠.

[2] سورة المائدة آية ٩٣.

[3] مسند الإمام أحمد، مسند أبي هريرة حديث رقم ٩٠١٨.

- الإحسان في التعاملات: أمرنا الله سبحانه وتعالى بالإحسان في المعاملات التجاريّة وغيرها، وسيلة لتحقيق الاتزان والتعاون والثقة بين أفراد المجتمع، كاستيفاء الثمن والسماحة في البيع والشراء، أو الإمهال، والتيسير، أو التسهيل في طلب الدين، وسلامة رأس المال.
- الإحسان في الكلام عامة والجدال خاصة : يكون بالكلام الحسن والكلمة الطيّبة، لقوله تعالى :"وَقُلْ لِعبادِي يَقولوا التي هِيَ أحسنُ إنّ الشيْطانَ يَنزَغُ بَيْنَهمْ إنّ الشيْطانَ كانَ لِلإنسانِ عَدُوّاً مُبيناً"[1]."ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"[2]
- الإحسان إلى المرأة والترفق بضعفها.
- الإحسان إلى الجار أيا كان دينه أو لونه أو جنسه.
- الإحسان إلى ذوى الحاجات من البشر.
- الإحسان إلى البيئة، فلا يجوز قضاء الحاجة في الماء الجاري أو في الظل أو على قارعة الطريق.
- الإحسان في التعامل مع الحيوان.

[1] سورة الاسراء : ٥٣.

[2] النحل آية ١٢٥.

رابعا: الحكمة:

الحكمة في اللغة : الحكمة مأخوذ من الحكَمَة – بفتح الكاف والميم – وهو اللجام الذي يوضع للدابة كي يذللها لراكبها، فيمنع جموحها. ومنه اشتقت الحكمة قالوا: لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأراذل[١].

والحكمة في الاصطلاح : وضع الأشياء في مواضعها في الأقوال والأفعال وسائر التصرفات. وهذا يعنى أن الحكمة هي مدار الاتزان من الأفعال، وهي بلا شك عكس السفه والطيش والتهور والجبن أو هي فضيلة بين رذيلتين وهما التهور والجبن.لذا نجد من مرادفاتها : النبوة، والهدى، والرشاد، والعدل، والعلم[٢].

تمتاز الحكمة بأنها مزيج ما بين المعرفة والخبرة والفهم العميق للتسامح والتوازن، حيث إنّ الحكمة تمتاز بكونها شاملة لكل الخبرات الإنسانيّة التي تم التعرف عليها منذ القدم، ولكن على الرغم من هذا فليست كل التجارب مانحة للحكمة، لأنّ الحكمة تكون ناتج لجميع العمليّات العاطفية والاجتماعية والمعرفية والعلمية، التي تساهم وتعزّز عمليّة تحويل الخبرة إلى حكمة وعمل حكيم.

و قد اشتهر كثيرٌ من النّاس بالحكمة قديماً و حديثاً، فكان الأنبياء عليهم الصّلاة و السّلام من خيرة البشر اصطفاهم الله و طهّرهم و آتهم الحكمة و الشّريعة ليحكموا بين النّاس بالعدل وبمنهج الله سبحانه وتعالى، فقد آتى الله سبحانه و تعالى سيّدنا داود عليه السّلام الحكمة فقال الله تعالى: " وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ"[٣]، وقال ابن عطية في تقسير هذه الأية أن الحكمة هي النبوة والزبور[٤]. أي رسالة الله تعالى إلى داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

والحكمة هي أعلى وسام يطلبه الناس، ولما كان الأنبياء تأتيهم الحكمة من الحكيم الخبير سبحانه، كانوا أشرف الناس، لأن الله اصطفاهم بهذه الحكمة. وفي تفسير قوله تعالى: "يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ"[٥] يقول ابن عطية معنى «الحكمة» في هذه

---

[١] المصباح المنير، مرجع سابق ص، ٥٦.

[٢] مفهوم الحكمة في الدعوة، د صالح بن عبد الله بن حميد، زارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، ص **٩**.

[٣] سورة ص، آية ٢٠.

[٤] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ، ج١، ص ٣٣٧.

[٥] البقرة، آية ٢٦٩.

الآية هو فهم في القرآن، أو القرآن والفقه فيه[1]. وبالتالي تكون الحكمة ليست مصدرها القرآن فحسب، بل هي ذاتها القرآن؛ لأنه أعلى حكمة وأوثق لتأكيد قيمتها.

بل يذكر ابن عطية أن الحكمة هي السنة النبوية أو فهم الدين عموما: "وقال قتادة: الْحِكْمَةَ السنة وبيان النبي صلى الله عليه وسلم الشرائع، وروى ابن وهب عن مالك: أن الحكمة الفقه في الدين والفهم الذي هو سجية ونور من الله تعالى"[2]. ومن هنا فالحكمة هي كل ما أنزله العزيز العليم مباشرة بالوحي أو بالتمكين والفهم.

تطبيقات ضرورية للقيمة الحكم:

أولا: رأس الحكمة مخافة الله تعالى فقد قال بعض المفسرين "العلم رأس الخشية ..... والذي ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «خشية الله رأس كل حكمة» ، وقال صلى الله عليه وسلم: «رأس الحكمة مخافة الله»"[3].

ثانيا: هناك مجالات كثيرة تمارس من خلالها قيمة الحكمة في الشريعة الإسلامية منها:

- الحكمة في فهم الأمور وحسن تقديرها وفي الحوار والتلطف فيه.
- الحكمة في طلب الحق والبحث عن الرزق.
- الحكمة في مزاولة العمل ومع زملاء المهنة.
- الحكمة في احترام الكبير والعطف على الصغير.
- الحكمة في التثبت من الأخبار وعدم بث الإشاعات الكاذبة.
- الحكمة في كظم الغيظ والعفو عند المقدرة.

---

[1] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ج١، ص ٤٠.

[2] المرجع السابق،ج١، ص ٢١٢.

[3] المرجع السابق، ج٤، ص ٤٣٧. وإن كان الحديث موقفا: وتخريجه كالتالي: أخرجه البيهقي في الشعب، حديث رقم ٧٢٩ عن الحاكم، عن أبي العباس السياري، عن عبد الله بن علي الغزَّال، عن علي بن الحسن بن شقيق، عن بشر بن السري، عن الثوري، عن عبد الرحمن بن عابس، عن أبيه، عن ابن مسعود موقوفاً، وإن كان بعض المحدثين لا يرونه حديثا نبويا إنما تفسيرا جاء عن أهل الكتاب.

خامسا: الرحمة :

تُعد الرحمة من القيم العظيمة التي إذا اتصفت بها أمة من الأمم مالت إلي تلك الأمة سائر الأمم، لأنها بمثابة الدواء الذي يحتاجه البشر والسكينة التى يحتاج إليها كل مجتمع.

ومن جماليات الدين الإسلامي أن جعل الرحمة هي عنوان رسالته، حتى أن الحق تعالى حصر رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فيها، يقول الله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ"[١]. وقد كتبها الله على نفسه" قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ"[٢].

وعن أبي هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال: «خلق الله مائة رحمة، فوضع واحدة بين خلقه، وخبأ عنده مائة إلا واحدة» ، قال بعضهم: لأمة محمد صلى الله عليه وسلم منها يوم القيامة النصف كما أنهم نصف أهل الجنة، وهم أرحم الأمم في الدنيا، ولهذا سمي نبي الرحمة، فمن نزعت الرحمة من قلبه خشي عليه أن لا يكون من أمته![٣] صلى الله عليه وسلم.

ومن رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بأمته ما أشار إليه القرآن الكريم في قول الله تعالى: "فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ"[٤].

ومن أمثلة الرحمة ما جاء في السيرة النبوية أن رجلا رأي النبي يقبل الحسن رضى الله عنه، فقال : إنه لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم، فقال صلى الله عليه وسلم: "إنه من لا يَرحم لا يُرحم"[٥] وجاء جماعة يسألون الصحابة فقالوا: أتقبلون صبيانكم، فقالوا الصحابة نعم، فقالوا لكنا لا نقبلهم، فقال صلى الله عليه وسلم: " وما أملك إن كان الله نزع منكم الرحمة"[٦].

ورحمته صلى الله عليه وسلم مع الأمهات حيث يتجوز في الصلاة التي يريد إطالتها لبكاء صبي مخافة وجد أمه عليه، ورحمته بالخدم فقد جاء في الحديث الشريف قول النبي صلى الله عليه وسلم: " هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن جعل الله أخاه تحت يده، فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا يكلفه من العمل ما يغلبه، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه"[٧].

---

[١] سورة الأنبياء، آية ١٠٧.

[٢] سورة الأنعام، آية ١٢.

[٣] مسند الإمام أحمد حديث رقم ٨٤١٥.

[٤] سورة آل عمران ، آية ١٥٩.

[٥] البخاري حديث رقم ٥٦٥١.

[٦] البخاري حديث رقم ٥٦٥٢.

[٧] البخاري، حديث رقم ٣٠.

وتُعدّ الرّحمة خلقًا رفيعًا يتّصف به أصحاب القلوب اللطيفة التي ترقّ لآلام الخَلق، وتتجاوز عن أخطائهم، وتُحسن إليهم، وتعني الرّأفة ولين الجانب والعطف، وقد قيل إنّ الرحمة رقّةٌ في النفس، تبعث الخير في نفس من تصل إليه، وهي عكس القسوة والغِلظة، كما أنّ من أسماء الله الحسنى الرّحمن الرّحيم، وبهما نفتتح كلَّ سورةٍ نتلوها في القرآن الكريم بقولنا: بسم الله الرحمن الرحيم، وفي ذلك دلالةٌ واضحةٌ على تعامل الإسلام بالرّحمة، وتقديمه على غيره من الصّفات.

ويكفي هنا أن نشير إلى أن قيمة الرحمة هي التي جعلت حروب المسلمين مختلفة عن حروب غيرهم، فلا يحق للمسلم من هذه الناحية أن يقتل طفلا أو شيخا أو إمراة أو أن يقطع شجرة أو أن يهدم صومعة أو بيعة وتلك وصية الصديق رضى الله عنه لقائد جيشه يزيد بن أبي سفيان: " لا تقتل إمرأة ولا صبياً ولا كبيراً هرماً ولا تقطع شجراً مثمراً ولا تخرب عامراً ولا تعقر شاة ولا بعيرا إلا لأكل ولا تحرق نخلا ولا تغرق ولا تغلل ولا تجبن"[1]. وعلى هذا المناول سار طريق الجهاد عند المسلمين هو رد كيد المعتدين، وليس تخريب البلاد وقتل الأبراء.

ومن الأثار العظيمة لقيمة الرحمة أنها تُظهر كثير من أخلاق البر والصلة والتعاون والإتلاف والود والتواصل الإجتماعي والتواصل الفكري، وهي عناون التعارف وحسن الجوار ولين الكلام.....إلخ.

وللرحمة مجالات تطبيقية كثيرة لا يمكن أن نعددها هنا لككن نكتفي بأهمها:

- الرحمة بالضعيف والمسكين وابن السبيل، فكان صلى الله عليه وسلم "يزور ضعفاء المسلمين ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم"[2].
- الرحمة بالأرملة واليتم، الرحمة بالوالدين وبالأقارب، الرحمة بطالب العلم، الرحمة بالمرضى وذوى الحاجات.
- الرحمى بالحيوان وبالكائنات الحية، فيقول صلى الله عليه وسلم: "اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة فاركبوها صالحة"[3].

[1] أخرجه مسلم حديث رقم ١٧٣١. وفي سنن أبي داود حديث رقم ٢٤١٣.

[2] الحاكم، حديث رقم ٣٧٩٣

[3] أبو داود حديث رقم ٢٥٤٨.

سادسا: قيمة الصدق :

ولأن الصدق سندرسه في باب الأخلاق من هذا الكتاب فسنكتفي هنا بمقصودنا من قيمة الصدق والفرق بينها وبين خلق الصدق يقول الله تعالى في كتابه الغزيز: "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ"[1]

والصدق من صفات عباد الله المؤمنين المتقين، الذين يبرون ويصبرون في البأساء والضراء، ويلتزمون بالصدق، ويوفون بالعهد، ويجاهدون في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم، ويضحون بالغالي والنفيس في سبيل الله.

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب صديقا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا»[2].

والنبي الكريم يؤكد على قيمة الصدق لكونه طريق النجاة والفلاح حيث يقول صلى الله عليه وسلم: «تحروا الصدق وإن رأيتم أن فيه الهلكة، فإن فيه النجاة، واجتنبوا الكذب وإن رأيتم أن فيه النجاة، فإن فيه الهلكة»[3]. فالصدق طريق النجاة والكذب طريق الهلكة.

وفي حديث أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن العبد الإيمان كله حتى يؤثر الصدق، وحتى يترك الكذب في المزاحة والمراء، وإن كان صادقا»[4]. وما ذلك إلا لتكون قيمة الصدق طريق المؤمنين الدائم مهما يمتلأ بالأشواك والعثرات، لأن النجاة الحقيقة.

هل هناك فرق بين خلق الصدق وقيمة الصدق؟

ليس فارقا بقدر ما أن الأولى خاصة بكل فرد والثانية عامة لأطياف الأمة، فالفرق بين قيمة الصدق وخلق الصدق يكمن في الفرق بين صفة الأمة التي عنوانها الصدق فيصبح الصدق قيمة من قيمها، وبين صدق كل فرد من أفراد الأمة الذين يخشون ربهم ويستجبون لأوامره بترك الكذب فيصدقون من أجل إرضاء الله تعالى.

ولهذا عندما يصدر الصدق من فرد يكون خلقا، وعندما يصدر من جماعة يكون قيمة علت كل أفراد الجماعة، والصدق خلق لكل مسلم على حده وهو في ذات الوقت قيمة يرفعها المسلمون فوق

---

[1] التوبة ١١٩.

[2] مكارم الأخلاق، أبو بكر عبد الله بن محمد البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، المحقق: مجدي السيد إبراهيم، الناشر: مكتبة القرآن – القاهرة حديث ١١٥.

[3] المرجع السابق حديث رقم ١٣٧.

[4] السابق حديث رقم ١٣٨.

رؤيسهم.

الوحدة الثالثة: القيم الإسلامية الحضارية:

- ❖ الاستخلاف.
- ❖ المسؤولية.
- ❖ النظام والانضباط.
- ❖ النظافة.
- ❖ التفاؤل.

أولا: قيمة الاستخلاف:

الاستخلاف في اللغة : يعنى مجيء شيء بعدَ شيءٍ يقومُ مقامَه، ومنه الخلَف: العوض عن شيء فائت، ومنه الخلافة. والاستخلاف: جعل الخَلف عن الشّيء، والسين والتاء فيه للتأكيد.

وفي القرآن الكريم ورد لفظ الاستخلاف ست مرات، وورد من نفس المجال المفهومي ألفاظ: الخليفة والخلفاء والخلائف تسع مرات، ومع أن عدد ورود اللفظ قليل إلا أن دلالاته على قدر كبير من الأهمية.

فالاستخلاف يعنى الوجود الإنساني على الأرض، الذي أعلم الله تعالى الملائكة في قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً"[1] وبموجب هذا الاستخلاف زود الله الإنسان بما يكفل له القيام بهذه المهمة، وفي مقدمة ذلك العلم والمعرفة " وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"[2].

ويعد هذا تشريف عظيما أن يسجد الملائكة الأبرار لأدم عليه السلام، ليكون هذا السجود محورا لما سيجري على الأرض من أمور عظيمة، أهما حمل الرسالة وأداء الأمانة. ثم الوعد بالتمكين في هذه الحالة فقط: قال الله تعالى: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ"[3].

وللاستخلاف معان كثيرة وجليلة منها التمكين، والاستقرار، وعمارة الأرض بل يكاد يكون الاستخلاف محصور على عمارة الأرض لكونها ملائمة لطبيعة الإنسان ولكونه مرتبط بها بخلقه من ترابها. وبالتالي يفنى مع فنائها.

ولأن الاستخلاف مجرد نيابة عن المالك الحقيقي وهو الله تعالى ، فإن من حق المستخلِف أن يبدل المستخلَفين إذا ما أخلوا بشروط الاستخلاف: وهذا جاء في قوله تعالى: إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ"[4]. لذا يكون الإنسان المستخلف في خطر عظيم من هذه الناحية.

---

[1] سورة البقرة آية ٢٩.

[2] البقرة آية ٣١.

[3] النور، آية ٥٣.

[4] الانعام ١٣٣.

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ"[1] . وعلى فهم هذه الآية الكريمة يصبح هذا الاستخلافاستخلافا مؤقتا تتعاقب عليه الأجيال وفق سنن إلهية محكمة وقواعد ربانية منضبطة في مقدمتها استيفاء شرط الإيمان والعمل الصالح كما جاء في أية سورة النور في قوله عز وجل: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ"[2].

ومن خلال هذه الشروط نتبين أن استخلاف الإنسان في الأرض لم يكن مطلقا، وحقيقة الاستخلاف كما أراده الله –عز وجل– المستخلِف هي أنه استخلاف بقصد إصلاح الأرض وعمارها، لا بقصد إفسادها وخرابها، ولذلك شاءت الأقدار الإلهية أن من أفسد في ما استخلف فيه، أتى الله بمن يستخلفه ويصلح ما أفسده . بل أصبح من الخصائص المميزة لقيمة الاستخلاف وأنه مهما طال أمدهما فإلى زوال، ولذلك وجب العمل بمقتضيات هذا الاستخلاف كما يقول الله تعالى في محكم التنزيل: "كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ"[3].

ومن أهم عناصر قيمة الاستخلاف الشعور بالمسؤلية نحو الإنسانية بدعوتها إلى الله تعالى وإتباع طريقه، وكذلك الشعور بالمسؤلية نحو الكائنات الحية بل والنباتات والجماد بحسن التصرف فيها وعدم تعرضها للفساد الذي يضيع على الأجيال القادمة الإفادة منها.

[1] هود ٥٧.

[2] سورة النور ، آية ٥٥.

[3] الدخان ٢٨.

ثانيا :قيمة المسؤولية:

كلمة مسؤولية في اللغة هي مصدر صناعيّ من مسؤول من يقع عليه تبعة ما، والمسئوليَّة تقع على عاتقه والمسؤول هو من يستطيع تحمُّل مسئوليَّات كبيرة وألقى المسئوليَّةَ على عاتقه يعنى حمّله إيَّاها ، ,وهناك مسؤليات كثيرة منها: مسئوليّة أخلاقيّة وهي تعني التزام الشّخص بما يصدر عنه قولاً أو عملاً ،- ومسئوليّة جماعيّة وهي تعنى: التزام تتحمّله الجماعة ، و مسئوليّة قانونيّة وهي التزام بإصلاح الخطأ الواقع على الغير طبقًا للقانون أما اللاَّ مسئوليَّة فهي تعنى شعور المرء بأنه غير ملزَم بعواقب أعماله.

تعد قيمة المسؤولية من المسائل التي يغفل عن أهميتها كثير ممن يدعونا اليوم إلى الدخول إلى عالم التقدم والحربة. فاللحاق بركب الأمم المتطورة في مجالات مهمة كالعلم والتقدم التقني والمادي مهم ولا ينكر أهميته أحد، لكن الأمر الأكثر أهمية –في وجهة نظر الباحث– ونحن نريد اللحاق بركب الأمم يجب أن نسير على خطى الأمة في تراثها حتى يمكننا استلهام القيم والمبادئ التي عاش بها سلفنا الصالح في الوقت الذي نسعى للحصول على هذا التقدم. بل يجب أن نسعى إلى سبق تلك الأمم المتقدمة تقدماً. علماً بأن هذه الأمم قد حافظت وهي في طريقها لتحصيل وسائل التقدم على هويتها التاريخية واستمرت في انجازاتها العلمية والحضارية بمدارسة ماضيها وليس بالتخلي عنه. لذا أردنا أن نؤكد أن الأمم المتقدمة حافظت على مسؤوليتها تجاه تراثها وحضارتها فهذا نعوم تشومسكي يكتب كتابا مهما في أمريكا؛ أم التقدم العلمي المعاصر بعنوان : اللغة والمسؤولية يبحث خلاله أهمية المسؤولية حتى في استخدام الكلام العادي[1]. وهذا يدلل على أهمية المسؤولية التي تبدأ من لسان الأمم وما تقوله قبل الأفعال. وقد وجه الإسلام الطاقة العقلية لمراقبة نظام الحياة الاجتماعية مراقبة توجيه وإصلاح لتسير الأمور على منهج صحيح فقال الله تعالى في محكم التنزيل: "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون"[2]. وحمل الإسلام المسؤولية كل فرد من أفراد المجتمع وهدده بالعقاب إذا علم ولم يصلح ولو كان صالحاً في نفسه[3]. فقال تعالى : (واتقوا فتنةً لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)[4]. بل نعى على من لم يتحمل المسؤولية وأوجب عليهم الطرد من رحمة الله فقال تعالى: (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا

---

1 Chomsky, Noam, **Language and Responsibility**, based on conversations with Mitsou Ronat, Pantheon Boks, 1979.

[2] آل عمران، آية ١٠٤.

[3] سليمان بن صالح الخراشي، نقض أصول العقلانيين دار علوم السنة، ج٣، ص ٢٤.

[4] سورة الأنفال، آية ٢٥

يفعلون)[1] .

فالمسؤولية تعد هي العامل الرئيس في وجود نظام وقانون وإلا لعمت الفوضى وانتشر الفساد: "ذلك أنه إذا لم يعد هناك إلزام فلن تكون هناك مسؤولية، وإذا عدمت المسؤولية، فلا يمكن أن توجد العدالة؛ وحينئذ تتفشى الفوضى، ويفسد النظام، وتعم الهمجية، لا في مجال الواقع فحسب، بل في مجال القانون أيضًا[2]. ولو حدث هذا الخلل وفسد القانون والتشريع ومن يقومون عليه، تكون هذه الأمة قد انتهت بالفعل ولم يعد لها وجود. فالمسؤولية تحفظ وتترعرع عندما يُحترم القانون وعندما يكون هذا القانون عادلا وتنتهك عند عدم ممارسته واقعا، أو عند عدم ضبطه بالعدالة ونزاهة القائمين عليه.

أنواع المسؤلية

لكن هناك من يتحدث عن ثلاث أنواع من المسؤولية وهي : المسؤولية الدينية، والمسؤولية الاجتماعية، والمسؤولية الأخلاقية فيقول العلامة محمد عبدالله دراز: "ما دمنا قد اتفقنا على أن المسؤولية تفترض الإلزام سلفًا، فإن ذلك ينتج عنه، من ناحية، أن الحساب يجب أن يكون موضوعه الطريقة التي تم بها أداء عملي إلزامي، أو إهماله، ومن ناحية أخرى: أن القاضي الذي سوف يمثل المرء أمامه ليس سوى السلطة التي يصدر عنها التكليف. وعليه، فنحن نعرف من هذه السلطة ثلاثة أنواع: فمن الممكن أن يخضع المرء لتكليف يلزم به نفسه، أو يتلقاه عن أناس آخرين، أو عن سلطة أعلى فعلًا. وفي الحالةلأولى تأتينا المسؤولية من داخلنا، فالمرء يجعل من نفسه مسئولًا عن عمل لم يكلفه به أحد. أما في الحالتين الأخريين فنحن نتلقى المسؤولية من خارجنا.ولكن سواء أكان المرء مسئولًا أمام نفسه، أم أمام الإنسان، أم أمام الله سبحانه فإن حكم المسؤولية يصدر دائمًا بوساطة نفس السلطة التي أصدرت الأمر أولًا.ومن هنا نجد ثلاثة أنواع من المسؤولية: المسؤولية الدينية، والمسؤولية الاجتماعية، والمسؤولية الأخلاقية المحضة"[3].

لكن هذه الأنواع الثلاثة إما أن يقوم بها فرد فتسمى مسؤولية فردية حيث المكلف بأدائها فرد واحد. وإما ان تقوم بها أمة او جماعة او دولة او مجتمع ما فتسمى مسؤولية جماعية.

---

[1] سورة المائدة، آية :٧٨،٧٩

[2] دراز، محمد عبدالله دستور الأخلاق في القرآن، تعريب د. عبدالصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، ط١٠، ١٤١٨هـ، ص ٢١.

[3] دراز، محمد عبدالله دستور الأخلاق، مرجع سابق، ص ١٤٠،١٤١.

ثالثا : قيمة النظام والانضباط :

١- النظام

النظام قيمة تعبر عن مدى تحضر أي أمة، فمجرد أن تجد طريقا معبدا وحديقة غناء ونظام جميل يشعر الإنسان بالراحة والإطمئنان وهذه القيمة الحقيقية للنظام.

النظام كما يعرفه التربوين : هو مجموعة من الأجزاء المرتبطة مع بعضها البعض، وتسعى إلى القيام بعدة واجبات، ويعرف أيضاً، بأنه: الوظائف المترابطة، والمتكاملة، والتي تتفاعل معاً من أجل تحقيق مجموعة من الأهداف المعينة خلال فترة زمنية محددة مسبقاً، وحتى يتم تطبيق مفهوم النظام بأسلوب صحيح، من المهم أن يتواجد ضمن بيئة تتميز بالتعاون، والعمل[١].

والنظام في اللإسلام يراه الناظر في ممارسة العبادة واضحا جليا: فالإصطفاف في الصلاة، والانسياب في الطواف والسعي، وتقديم الأولويات في الأحكام وغيره يجعل غير المسلمين ينبهرون بل ويدخلون من هذا الباب في الإسلام. ويعمل النظام على تقوية بعض العناصر المتفرقة، بحيث تظره قوة ومتجانسة، فمثلا عندما تدخل الحرم المكي تجد معاونة قوية من الحجاج لإنجاح موسم الحج : وهذه مجموعة صورة معبرة عن النظام والتعاون بين الحجاج والمسؤلين.

صورة (١) الحجاج يسيرون بنظام ولولا النظام لتعثر تمام أداء الفريضة على الوجه اللائق.

[١] مفهوم النظام، مقال على الشبكة العنقودية تحت هذا الرابط:
http://mawdoo3.com؟/q=%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B8%D8%A7%D9%85

صورة (٢) رجال من الأمن يعانون إمرأة مسنة

صورة رقم (٣) رجل أمن يسقي حاج مسن

أنواع النظم :

لا يكاد يذكر مجال عملي أو تربوى أو مؤسسي إلا يكون له نظامه الخاص لذا نجد عدد هائلا من الأنظمة بعضها ينسب للنظام الإجتماعي، أو النظام السياسي، أو النظام القضائي، **أو** النظام التربوي، لذا تتنوع قيمة النظام حسب المؤسسة أو المشروع أو المنهج أو البيئة: لكن أشهر الأنظمة على الأطلاق هي النظام : السياسي والقضائي والاجتماعي. حيث يحدد الأول شكل الدولة والثاني يحدد منظومة الحقوق والواجبات والثالث يحدد نظام الأسرة.

٢- الانضباط

ولا تنفرد قيمة الانضباط عن قيمة النظام غير أن الأولى متقدمة في الرتبة عن الثانية، فلا يمكن أن يكون هناك إنضباط إلا إذا كان هناك نظام يحدد طرق الانضباط حتى يسير عليه السائرون.

ومن أهم فوائد الانضباط:

حفظ حقوق الأفراد في المجتمع، وحماية الضعيف منهم من سلطة القوي وسلب حقوقه.

تحقيق المساواة بين أبناء المجتمع؛ فعند تطبيق النظام والانضباط على جميع الأفراد لا يشعر أحد بأفضليةٍ للآخرين عليه، مما يحافظ على ترابط الجميع معاً.

أداء الأعمال بالشكل الأفضل وعلى أحسن وجهٍ، فعند تطبيق النظام يستطيع الفرد الإبداع والابتكار في ظل الأمان وحفظ الحقوق.

القدرة على السيطرة على المجتمع وأفراده، وتحديد صلاحيات كل فردٍ أو مجموعةٍ، وحماية المجتمع من الفوضى. فمثلا الإسلام نظام لكن طريقة أدائه تحتاج إلى انضباط، فلا يمكن أن يدخل مليون مسلم المسجد الحرام ويخرجون بسلام وأمن وطمأنينة وسكينة من غير الانضباط والنظام معا.

صورة (٤) التفاف المصلون بشكل منتظم حول الكعبة المشرفة.

رابعا : قيمة النظافة :

تعد قيمة النظافة هي من كبرى ميزات الدين الإسلامي، فالنظافة هي مدخل الصلاة، حيث لا صلاة من غير وضوء وطهارة، ومن هنا فالنظافة قيمة عليا عند المسلمين.

وقيمة النظافة من أهم القيم الإسلامية، والإسلام ينظر إليها على أنها جزء لا يتجزأ من الإيمان، الأمر الذي جعلها تحظى باهتمام بالغ في الشريعة الإسلامية، اهتمام لا يدانيه اهتمام من الشرائع الأخرى، فلم يعد ينظر إليها على أنها مجرد سلوك مرغوب فيه أو متعارف عليه اجتماعياً يحظى صاحبه بالقبول الاجتماعي فقط؛ بل جعلها الإسلام قضية تتصل بالعقيدة، يُثاب فاعلها ويأثم تاركها في بعض مظاهرها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ -أَوْ: بِضْعٌ وَسِتُّونَ- شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»[1].

فإن كانت بعض الأديان أولت النظافة جزء من اهتمامها فقد جعلها الإسلام نصف الإيمان، كما جعلها شرط لبعض العبادات، ويكفي هذا الحديث في الكلام عن اهتمام الإسلام بالنظافة.

ومن خلال ما سبق يتبين لنا مدى تقدير الإسلام للنظافة، لأنها من العوامل الأساسية في الحفاظ على الصحة، والوقاية مما قد يضرُ البدن .مجالات النظافة في الإسلام :الوضوء :شرع الوضوء للصلوات الخمس في اليوم والليلة، بما فيها من تعهَّد للأعضاء الظاهرة من الإنسان الأكثر تعرُّضاً للتلوث، وجعلها شرطاً لقبول الصلاة، قال صلى الله عليه وسلم: «ولا تُقبلُ صلاةٌ بغيرِ طهورٍ، ولا صدقةٌ من غُلولٍ»[2].

وقيمة النظافة في الإسلام أنها عامة تشمل المظاهر المادية كالجسد والمعنوية كالروح، فالإنسان الذي لا يكذب يُوصَف بأنه نظيف اللسان، والذي لا تمتد يده إلى حق غيره يُوصَف بأنه نظيف اليد . والمتأمّل حال الطهارة والنظافة في القرآن الكريم يجد أن الله سبحانه وتعالى يُعاقِب على عدم الالتزام بها أشد وأبلغ عقاب، وقد أهلك الله سبحانه وتعالى أُمَّة كاملة لنجاستهم وعدم طهارتهم وهم قوم لوط عليه السلام.

وجعل علو قيمة النظافة سببا لحب الله تعالى وعد من أنواع النظافة حرّمة إتيان المرأة حال حيضها لأنه أذى، وبعد انتهاء الحيض شريطة الطهارة قال تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}[3].

ولقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم النظافة نصف الإيمان، حيث قال صلى الله عليه وسلم: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن -أو: تملأ- ما بين السماء

---

[1] رواة الترمزى، حديث رقم ٢٦١٤.

[2] رواه مسلم حديث رقم ٢٢٥.

[3] البقرة آية ٢٢٢.

والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حُجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها»[1]. ويرد هذا الحديث على من يعتقدون أن النظافة والطهارة إنما هي من ابتكار الغرب.

وحث النبي صلى الله عليه وسلم على إسباغ الوضوء، قال صلى الله عليه وسلم: «من توضَّأَ للصلاة فأسبغَ الوضوءَ ثمَّ مشى إلى الصلاة المكتوبة فصلاها مع الناس أو مع الجماعة أو في المسجد غفرَ اللَّهُ لَهُ ذنوبَهُ»[2] . كما أوجب الإسلام غسل جميع البدن، بعد الجماع وبعد الحيض والنفاس وغير ذلك من المواطن التي يلزم معها الغسل، وحث عليه وندب إليه في مناسبات عدة وخاصة مواطن الاجتماع والازدحام كالجمع والعيدين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا جاء أحدُكم الجمعةَ فليغتسل»[3].

[1] رواو مسلم حديث رقم ٢٢٣.

[2] رواه مسلم حديث رقم ٢٣٢.

[3] رواه البخارى ، حديث رقم ٨٣٧.

خامسا: قيمة التفاؤل :

فالتفاؤل يصنع المجد ويدفع الإنسان إلى العلا ، فبه تُحل المشكلات، وتُفك المعضلات، وهذا ما حصل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما تفاءل وتعلق برب الأرض والسماوات؛ فجعل الله له من كل المكائد والشرور والكُرب فرجاً ومخرجاً. والتفاؤل عكس خلق التشاؤوم الذي يعد من أخلاق الرذيلة [1].

ثم أن المتفائل لا يبني من المصيبة سجناً يحبس فيه نفسه، لكنه يتطلع للفرج الذي يعقب كل ضيق والمتفائل أسعد الناس؛ فهو يرى الحياة جميلة، بعكس المتشائم الذي لا يرى شيئاً في الحياة جميلاً. كما أن المتفائلين هم أفضل الناس صحة، لأن الشعور بالسعادة والتفاؤل يعكس آثاراً إيجابية على صحة الإنسان.

ومن الصفات النبيلة والخصال الحميدة التي حبا الله بها نبيه الكريم ورسوله العظيم صفة التفاؤل، إذ كان صلى الله عليه وسلم متفائلاً في كل أموره وأحواله، في حلِّه وترحاله، في حربه وسلمه، في جوعه وعطشه، وفي صحاح الأخبار دليل صدق على هذا، إذ كان صلى الله عليه وسلم في أصعب الظروف والأحوال يبشر أصحابه بالفتح والنصر على الأعداء، ويوم مهاجره إلى المدينة فراراً بدينه وبحثاً عن موطئ قدم لدعوته نجده يبشر عدواً يطارده يريد قتله بكنز سيناله وسوار مَلِكٍ سيلبسه، وأعظم من ذلك دين حق سيعتنقه، وينعم به ويسعد في رحابه. فالرسول صلى الله عليه وسلم من صفاته التفاؤل، وكان يحب الفأل ويكره التشاؤم، ففي الحديث الصحيح عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل الصالح: الكلمة الحسنة)[2].

وإذا نظرنا إلى أقوال النبي صلى االه عليه وسلم وأعماله نجدها مملؤة بالتفاؤل: فمن تلك المواقف ما حصل له ولصاحبه أبي بكر رضي الله عنه وهما في طريق الهجرة، وقد طاردهما سراقة، فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم مخاطباً صاحبه وهو في حال ملؤها التفاؤل والثقة بالله : (لا تحزن إن الله معنا). وما ظن باثنين الله ثالهما، لا بأس طهور إن شاء الله. وغيرها كثير.

وهناك فوائد كثيرة لقيمة التفائل منها:

- أن التفاؤل سبب في حصول الخير، فالمتفائل بالخير سيحصد الخير في نهاية الطريق.
- والتفاؤل يدفع بالإنسان نحو العطاء والتقدّم والعمل والنجاح.
- والتفاؤل يدفع الإنسان لتجاوز المحن.
- والتفاؤل يورث طمأنينة النفس وراحة القلب.

---

[1] الوحة الخامسة من القسم الثاني من هذا الكتاب عنوانها نماذج ممن الأخلاق الرذيلة ومنها التشاؤوم وهو ضد التفائل انظر ص

[2] الحديث رواه البخاري حديث رقم ٥٧٧٦ ورواه مسلم حديث رقم ٢٢٢٤.

- والتفاؤل تدريب للنفس على الثقة بالله والرضا بقضائه.
- والتفاؤل يعوِّد المؤمن على النظرة الإيجابية لكل محنة.
- والتفاؤل دليل على التوكل على الله عز وجل .